



كلية الإمام الأوزاعي

لِلدِّرَاسَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ

بيروت - لبنان

الإعجاز العلمي في القرآن الكريم بصورته المعاصرة

بين إثراء النصِّ القرآنيِّ وتعظيمه

رسالة أُعدَّت لنيل درجة الماجستير في الدِّراسات الإسلامية

إعداد

الطَّالبة: آمنة صادق الصَّادق

إشراف

الأستاذ الدكتور: محمّد قاسم الشّوم

أستاذ التفسير والدِّراسات الإسلامية في كلية الإمام الأوزاعي وجامعة بيروت
الإسلامية

٢٠٢٠م / ١٤٤٢هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الإهداء

- إلى روح والدي- رحمه الله وغفر له - الذي غرس فيّ حب العلم والصبر والعزيمة في طلبه.
- إلى الشمعة المتقدة التي لا تزال تثير ظلمة حياتي بدعواتها الصادقة، وكلماتها الدافئة التي تمدني بالقوة والعزيمة لإكمال مسيرتي العلمية، أُمي الغالية.

شكرٌ وتقدير

أتوجه بخالص الشكر والامتنان إلى المشرف الفاضل الأستاذ الدكتور محمد قاسم الشوم على قبوله الإشراف على بحثي هذا، وتقديمه كل أسباب المساعدة والتوجيه، وإلى أصحاب الفضيلة أعضاء لجنة المناقشة الذين تكرموا بالموافقة على قراءة الرسالة ومناقشتها فضيلة الدكتور إبراهيم أدهم، وفضيلة الأستاذ الدكتور محمد خير فرج فلا حرمهم الله الأجر والثواب.

وإلى القائمين على كلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية ومؤسسيها ومجلس الأمناء والمجلس العلمي على ما يقومون به من خدمة العلم وأهله وطلابه.

وأخص بالشكر وقف العلوم الذي لم يأل جهداً في مساعدة طلبة العلم عامة وطلبة العلم الشرعي خاصة، فجزاهم الله عنا خيراً.

كما لا يفوتني أن أقدم امتناني لكل من ساعدني في إعداد هذا البحث، وأعانني بتقديم الإرشاد والنصح، إليهم جميعاً خالص شكري وامتناني، والله الموفق من قبل ومن بعد.

مقدمة

الحمد لله نعمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلَّ فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، المبعوث بالدين القويم، والمنهج المستقيم؛ أرسله الله رحمة للعالمين، وإماماً للمتقين، وحُجَّةً على الخلائق أجمعين.

أما بعد:

إنَّ القرآن الكريم كتاب الله تعالى، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، أنزله الله تبياناً لكل شيءٍ وهدىً ورحمةً للعالمين لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٥٢]. وهو كتاب أحكامه صائبة، وحقائقه ثابتة، وفيه الكثير من الذخائر والكنوز والعلوم التي تنفع البشرية قال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمٌّ أَمْثَلُكُمْ مَا قَرَّظْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٨].

والقرآن الكريم معجزة الإسلام الخالدة والباقية إلى يوم القيامة، والتي لا يزيدها التطور والتقدم العلمي إلا ثباتاً ورسوخاً في الإعجاز، ووجوه إعجاز القرآن الكريم كثيرة، وهي تدرك، ولا يمكن وصفها والإحاطة بها، وبالرغم من أن القرآن الكريم هو كتاب هداية وإرشاد، إلا أن فيه إشارات علمية ثابتة، أثبتتها العلم الحديث لم تكن معروفة وقت نزول القرآن الكريم.

وبعد التّقدم العلمي الحديث في عصرنا الحاضر - عصر المعرفة - والذي ترك آثاره على الفكر البشري، كان لا بد من مخاطبة الناس بلغة العصر التي هي لغة العلم، فغدت الكتابة في مجال الإعجاز العلمي ضرورة ملحة بهدف الدّعوة إلى الله بأسلوب يتماشى مع عصرنا الحالي، ولإظهار أن القرآن الكريم حق في كلّ ما جاء به من حقائق علمية ثابتة وقاطعة.

ومع كثرة المشتغلين بالإعجاز العلمي في القرآن الكريم، ووجود الكثير منهم ممن لا صلة له بالدراسات الشرعية وعلوم القرآن، كان لا بد من التنبيه إلى أن الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، لا يكون باشماله على النظريات العلمية التي تتجدّد وتتغير باستمرار كلما تقدّم العلم، فلا يجوز

أخذ النظريات العلمية الحديثة ونسبتها إلى القرآن الكريم وتفسيره بها، بدعوى إظهار إعجاز القرآن الكريم، الأمر الذي يؤدي إلى تعطيل النص القرآني والخروج به عن إطاره الواسع، الذي لا يمكن في أي حال من الأحوال مقارنته بنظريات وضعية تتغير وتتطور مع تطور العلوم، فالحقائق العلمية مهما كانت قطعيتها فإنها قابلة للتطور باستمرار.

أما القرآن الكريم فحقائقه ثابتة قاطعة لا رجعة فيها أبداً، وكل مسألة من مسائل العلم وقاعدة من قواعده ثبت رسوخها، وتبين يقينها، تكون محققة لما جاء به القرآن الكريم، هذا وإن غاية الإعجاز العلمي في القرآن الكريم هي حث الناس على التفكير والتفكير والنظر في الكون وتدبر آياته، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۚ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ فِيمَا وُقُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١].

فالإعجاز العلمي في القرآن الكريم حث المسلمين على التفكير، وفتح لهم أبواب المعرفة، ودعاهم إلى التقدم، وقبول كل ما هو راسخ من العلوم. والإشارات العلمية في القرآن الكريم جاءت في سياق الهداية، وحث الناس على تدبر آيات القرآن الكريم، ولم ولن تتعارض مع ما أثبتته المنهج العلمي المعاصر من حقائق علمية.

أهمية البحث:

تظهر أهمية هذا البحث كونه يتناول بالدراسة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم بصورته المعاصرة، وأثر هذا الإعجاز على النصوص القرآنية إن كان يثريها أو يعطلها ويحصرها في نطاق ضيق في ظل النظريات العلمية الحديثة التي لم تثبت قطعيتها.

كما يوضح البحث الفرق بين مصطلحي الإعجاز العلمي والتفسير العلمي والعلاقة بينهما، بالإضافة إلى عمل مقارنة بين آراء المانعين والمجيزين للإعجاز العلمي، وترجيح أقوى الأدلة، ثم بيان ضوابط البحث في الإعجاز العلمي للقرآن الكريم.

وفي النهاية قمت بعمل دراسة تطبيقية على بعض وجوه الإعجاز العلمي المقبولة والمردودة، وبهذا تكمن أهمية هذا البحث بالتركيز على ضرورة توظيف الإعجاز العلمي في فهم النص

القرآني، وعدم تعطيله والخروج به عن سياق الهداية الذي جاء من أجله، وذلك بعد عرض آراء وأدلة المانعين والمجيزين للإعجاز العلمي في القرآن الكريم، وإجراء مقارنة بينهما، وترجيح ما قويت حجته.

مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة البحث في بيان أهمية الإعجاز العلمي في فهم النص القرآني كالتالي:

- ١- هل الإعجاز العلمي بصورته المعاصرة يفيد في إثراء النص القرآني أم يعطله ويخرجه عن هدفه الأسمى في هداية الناس؟
- ٢- هل يمكن الاستعانة بالنظريات العلمية في إظهار الإعجاز العلمي للنصوص القرآنية؟
- ٣- هل الحقائق العلمية مطلقة أم مقيدة بحدود تجاربها وتطورها التاريخي؟
- ٤- ما هي أوجه الاختلاف بين مصطلحي الإعجاز العلمي والتفسير العلمي؟
- ٥- ما هي أوجه الاختلاف بين الحقيقة القرآنية والحقيقة العلمية؟

فرضيات البحث:

- ١- يمكن أن يعتبر الإعجاز العلمي إثراءً للنص القرآني.
- ٢- يمكن أن يؤدي الإعجاز العلمي إلى تعطيل النص القرآني إن تم قصر مدلولات الآيات القرآنية على النظريات العلمية.
- ٣- يوجد اختلاف بين مصطلحي الإعجاز العلمي والتفسير العلمي للقرآن الكريم.

أسباب اختيار البحث:

يمكن تلخيص أسباب اختيار البحث في الآتي:

- ١- الرغبة في اختيار موضوع جديد ومعاصر يخدم القرآن الكريم، ويساهم في إثراء المكتبة الإسلامية.
- ٢- ضرورة تأصيل المنهج المتبع في أبحاث الإعجاز العلمي في القرآن الكريم.

٣- التفريق بين مصطلحي التفسير العلمي والإعجاز العلمي في القرآن الكريم، وتبسيط الضوء على التفسير العلمي المعاصر.

٤- التأكيد على أهمية توظيف الإعجاز العلمي في فهم النص القرآني، وعدم تعطيله والخروج به عن سياق الهداية الذي جاء من أجله.

٥- التركيز على ضرورة عدم ربط النص القرآني بالنظريات العلمية الحديثة التي لم تثبت قطعيتها.

٦- التأكيد على أن النص القرآني لا يتعارض مع الحقائق العلمية الثابتة.

٧- تقريب وجهات النظر بين المجيزين والمانعين للإعجاز العلمي في القرآن الكريم، وتوظيف ذلك في الدعوة إلى الله بطريقة تتماشى مع لغة العصر.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى تحقيق الأمور التالية:

١- خدمة كتاب الله تعالى، والعمل على إيضاح مفهوم الإعجاز العلمي في القرآن الكريم.

٢- التمييز بين التفسير العلمي والإعجاز العلمي للقرآن الكريم.

٣- بيان أهمية الإعجاز العلمي في القرآن الكريم وتوظيفه في إثراء النص القرآني.

٤- بيان أن أبحاث الإعجاز العلمي في القرآن الكريم لا يجوز لها أن تُخرج النص القرآني عن مقصده الأسمى، وألا تحصره في نطاق ضيق.

٥- ضرورة النأي بالإعجاز العلمي عن المفهوم المادي البحث للعلم، وعدم ربطه بالنظريات العلمية الحديثة.

٦- عرض آراء المجيزين والمانعين للإعجاز العلمي في القرآن، وإجراء مقارنة بينهما بغرض تقريب وجهات نظر كلا الفريقين.

منهج البحث:

اعتمدت في إعداد هذا البحث على المنهج الاستقرائي والتحليلي والمقارن، واتبعت القواعد

العلمية في إعداد الرسائل الجامعية من خلال الخطوات التالية:

١. تأصيل منهج الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، وبيان أهميته في الدعوة إلى الله بأسلوب يتناسب ولغة العصر، وصولاً إلى الهدف الأساسي منه، وهو فهم النص القرآني وإثرائه، والحرص على عدم تعطيله، وإخراجه عن سياق الهداية التي جاء لأجلها.
٢. دراسة واستعراض آراء وأدلة كل من المجيزين والمانعين للإعجاز العلمي في القرآن الكريم، ومناقشة آراء كل فريق وإجراء مقارنة بينهما، ثم نقد ما يحتاج إلى نقد وبيان وجه الحق فيه.

طريقة العمل في البحث:

- اتبعت في إعدادي لهذا البحث القواعد التالية:
١. كتابة الآيات القرآنية بالرسم العثماني.
 ٢. عزو الآيات التي وردت في الرسالة إلى مواضعها من السور القرآنية.
 ٣. تخريج الأحاديث النبوية من مصادرها الأصلية. إن كان في البخاري أو مسلم أو أحدهما أخرجه منهما، أو من أحدهما. وإلا خرجته من الكتب السبعة، ثم من الصحاح.
 ٤. عزو كل قول سأخذه بنصّه إلى قائله محصوراً بين علامتي التنصيص "..."، أما ما سأقتبسه دون التقيد بألفاظه فلن أجعل له علامات تنصيص، وإنما سأضع رقماً على آخر الكلام، ورقماً مثله في الهامش، وأضع ينظر قبل التخرج.
 ٥. تعريف الأعلام غير المعروفين الواردة أسماؤهم في البحث.
 ٦. توضيح غريب الكلمات بالرجوع إلى معاجم اللغة العربية، وغرائب الكتب كل في فنّه.
 ٧. إضافة ملحق لأبرز العلماء المجيزين والمانعين للإعجاز العلمي حسب درجة تأييدهم أو منعهم للإعجاز العلمي.
 ٨. تذييل الرسالة بفهارس علمية: فهرس للمصادر والمراجع التي تمّ البحث بها خلال تلك الدراسة، فهرس للآيات القرآنية مرتبة حسب ورودها في الرسالة، فهرس للأحاديث مرتبة حسب ورودها في الرسالة، فهرس للأعلام المترجم لهم في متن الرسالة مرتباً حسب ما اشتهروا به من لفظ على الترتيب الأبجدي أيضاً، فهرس للألفاظ الغريبة، فهرس للموضوعات.

الدراسات السابقة:

من خلال بحثي في الكتب والمقالات والشبكة العنكبوتية، وفي أبحاث هيئة الإعجاز العلمي للقرآن الكريم، فيما يتعلق بموضوع الإعجاز العلمي في القرآن الكريم وأثره على النص القرآني، وجدت الكثير من الكتب والمؤلفات التي عُيّنت بالإعجاز العلمي ومجالاته، بالإضافة إلى ضوابطه، وبالنظر فيما تضمنته هذه الكتب من عناوين، وجدت أنّ معظمها قد اقتصر على التعريف بالإعجاز العلمي ونشأته وعرض وجوه الإعجاز المعاصرة، وبيان مواقف وآراء المجيزين والممانعين، دون إجراء دراسة مقارنة بين كلا الفريقين، ودون ذكر أثر الإعجاز العلمي على النص القرآني سواءً بإثرائه أو تعطيله. وقد وجدت بعض الدراسات السابقة في موضوع الإعجاز العلمي في القرآن وهي:

١- التفسير العلمي والإعجاز العلمي في القرآن الكريم^(١):

تحدّث فيه المؤلف عن التفسير العلمي والإعجاز العلمي والفرق بينهما، بالإضافة إلى ذكره نشأة التفسير العلمي وأهم ضوابطه، دون التعرّض إلى ضوابط الإعجاز العلمي وأثره على النص القرآني.

٢- الإعجاز العلمي في القرآن والسنة تاريخه وضوابطه^(٢):

كتب فيه المؤلف عن تاريخ الإعجاز العلمي والفرق بينه وبين التفسير العلمي، ثم ذكر أهم ضوابط الإعجاز العلمي، دون التعرّض لمواقف العلماء، أو مناقشة أقوالهم، أو توضيح أثر تلك الدراسة على النصوص القرآنية.

٤- الإعجاز العلمي وعلاقته بالمنهج التجريبي المعاصر^(٣):

تطرّقت هذه الدراسة لأهمية الإعجاز العلمي في العصر الحديث، وأثر المنهج التجريبي في كشف الإعجاز القرآني، كما أوضحت الدراسة ضوابط البحث في الإعجاز العلمي، دون عمل دراسة تطبيقية أو بيان أثر الإعجاز العلمي على النصوص القرآنية.

(١) السّقا، مرهف عبد الجبار، التفسير العلمي والإعجاز العلمي في القرآن الكريم، دمشق، دار محمّد الأمين، ط١، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

(٢) المصلح، عبد الله، الإعجاز العلمي في القرآن والسنة تاريخه وضوابطه، ط٢، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

(٣) الرّاوي، قتيبة فوزي، الإعجاز العلمي وعلاقته بالمنهج التجريبي المعاصر، وهي دراسة منشورة في مجلة الأستاذ، الفلوجة، العدد ٢٠١، ١٤٣٣هـ.

وبالنظر في هذه الدراسات وجدت أنها لم تعقد مقارنة بين آراء وأدلة العلماء المجيزين للإعجاز العلمي والمعارضين له، كما أنها لم تبحث في أثر الإعجاز العلمي على النصوص القرآنية سواء في إثراء معانيها ودلالاتها ومفاهيمها، أو بتعطيل هذه النصوص وتحميلها ما لا تحتمله من المعاني والدلالات التي لا تتفق وروح القرآن الكريم.

أما الجديد في هذه الدراسة التي قمت بها فهو بيان أثر الإعجاز العلمي على النص القرآني، وعمل دراسة مقارنة بين فريقَي العلماء المجيزين والمانعين للإعجاز العلمي في القرآن الكريم، ثم نقد ما يحتاج إلى نقد فيها وتبيين الحق فيها، ثم بيان الرأي الراجح في نظر الباحث، وبعدها القيام بعرض نماذج عن الإعجاز العلمي المقبول والإعجاز العلمي المردود.

صعوبات البحث:

من أهم الصعوبات التي واجهتني في كتابة هذه الرسالة، هي صعوبة الحصول على بعض المراجع الحديثة - التي لم يتم نشرها إلكترونياً بعد- في ظل ظروف الحرب الحالية.

خُطّة البحث:

تعتبر هذه الدراسة محاولة من المحاولات لإلقاء الضوء على ما كتب في الإعجاز العلمي مع ضرب الأمثلة والشواهد لذلك. وقد قسمتها إلى أربعة فصول كالتالي:

الفصل الأول: يبحث في نشأة التفسير والإعجاز العلمي وما يتعلق بهما من تعاريف والفرق بينهما. كما عرضت لوجوه إعجاز القرآن الكريم الأخرى.

وفي الفصل الثاني: عرضت لأبرز العلماء المجيزين مع تأصيل منهجهم وكيفية توظيف الإعجاز العلمي في فهم النص القرآني وإثرائه.

أما الفصل الثالث: فقد عرضت فيه لأثر الإعجاز العلمي في تعطيل النص القرآني، وذلك بعد عرض آراء وأدلة أبرز العلماء المانعين له من القدامى والمعاصرين.

وفي الفصل الرابع: أجريت مقارنة بين آراء وأدلة كلا الفريقين ورجحت ما قويت حجته وثبت دليله، ثم قمت بعمل دراسة تطبيقية على الإعجاز العلمي المقبول والمردود.

وأملّي إلى أن أوفق إلى السير في خطوط هذا المنهج، وأن يكون في هذا البحث ما يلفت النظر إلى أهم ما يمكن اعتباره في الإعجاز العلمي للآيات الكونية في القرآن الكريم، وفي معرفة أصالة الحقائق القرآنية، والفرق بينها وبين الحقائق العلمية.

الفصل الأول

الإعجاز العلمي في القرآن نشأته وأبرز من كتب فيه

المبحث الأول: تعريف الإعجاز العلمي في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: نشأة الإعجاز العلمي في القرآن وأبرز من كتب فيه.

المبحث الثالث: التفسير العلمي والإعجاز العلمي والفرق بينهما.

المبحث الأول

تعريف الإعجاز العلمي في القرآن الكريم

المطلب الأول: تعريف الإعجاز لغةً واصطلاحاً

الإعجاز لغةً:

عجز: هي الجذر الثلاثي لكلمة إعجاز، و (عجز) العين والجيم والزاي أصلان صحيحان، يدل أحدهما على الضعف، والآخر على مؤخر الشيء.

فالأول عجز عن الشيء يعجز عجزاً، فهو عاجز، أي ضعيف. وقولهم إن العجز نقيض الحزم فمن هذا؛ لأنه يضاعف رأيه. ويقولون: " المرء يعجز لا محالة ". ويقال: أعجزني فلان إذا عجزت عن طلبه وإدراكه. ولن يعجز الله تعالى شيء، أي لا يعجز الله تعالى عنه متى شاء قال تعالى: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا﴾ [الجن، ١٢]. وقال تعالى: ﴿وَمَا أَنشُم بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [العنكبوت، ٢٢].

وأما الأصل الآخر فالعجز: مؤخر الشيء، والجمع أعجاز، حتى إنهم يقولون: عجز الأمر، وأعجاز الأمور^(١).

والعجز أصله التأخر عن الشيء، وحصوله عند عجز الأمر، أي: مؤخره، وصار في التعارف اسماً للقصور عن فعل الشيء، وهو ضد القدرة. وأعجزت فلانا وعجزته وعاجزته: جعلته عاجزاً، قال تعالى: ﴿...وَأَعْلَمُوا أَنكُم عِزُّ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ﴾ [التوبة: ٢]. والعجوز سميت لعجزها في كثير من الأمور، قال تعالى: ﴿قَالَتْ يَوَاسِيَ أَأَلِدُ وَأَنَاْ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ [هود: ٧٢]^(٢).

(١) ينظر: ابن فارس، أحمد بن فارس القزويني الرازي (٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ج ٤، ص ٢٣١-٢٣٢.

(٢) ينظر: الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد (٥٠٢هـ)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دمشق، دار القلم، ط ١، ١٤١٢هـ، ج ١، ص ٥٤٧-٥٤٨.

وأطال ابن منظور حول معنى العجز واشتقاقاتها وتعريفاتها في لسان العرب، وخلاصة كلامه:

١- العجز: نقيض الحزم. تقول عجز عن الأمر يعجز عجزاً فهو عاجز. ويقال: عَجَزَ فلان

رأي فلان: إذا نسبه إلى خلاف الحزم، كأنه نسبه إلى العجز، ويقال: أعجزت فلاناً إذا وجدته عاجزاً.

٢- العجز: الضعف. تقول عجزت عن كذا، أعجز: أي ضعفت عنه.

٣- التعجيز: التثبيط: تقول عَجَزَ الرجل غيره وعاجزه: أي سبقه، فصار الآخر ضعيفاً عاجزاً عن متابعته.

٤- الإعجاز: هو الفوت والسبق. يقال: أعجزني فلان أي سبقني وفاتني وجعلني عاجزاً عن طلبه.

٥- أعجاز الأمور: أواخرها. وعُجَزَ الشيء آخره والعُجُز: ما بَعُدَ الظهر منه، وجمعها أعجاز (١).

الإعجاز اصطلاحاً:

تنوعت تعريفات الإعجاز بين العلماء القدامى والمعاصرين. فقال الجرجاني في تعريف الإعجاز عموماً: "الإعجاز في الكلام هو أن يؤدي المعنى بطريق هو أبلغ من جميع ما عداه من الطرق (٢). وعرفه الزرقاني بأنه: "مركب إضافي معناه بحسب أصل اللغة إثبات عجز الخلق عن الإتيان بما تحداهم به، فهو من إضافة المصدر إلى فاعله، والمفعول وما تعلق بالفعل محذوف للعلم به، والتقدير: إعجاز القرآن خلق الله عن الإتيان بما تحداهم به" (٣).

وعرفه الخالدي: "عجز العرب المعاصرين لنزول القرآن الذين كفروا به عن معارضته مع توفر ملكتهم البيانية وموهبتهم البلاغية، وقيام الداعي على المعارضة، ووجود الباعث وهو استمرار التحدي، واستمر هذا العجز من الكافرين جميعاً على اختلاف الأماكن والأقوام حتى قيام الساعة" (٤).

(١) ينظر: ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي (-٧١١هـ)، لسان العرب، بيروت، دار صادر، ط ٨، ١٤١٤هـ، ج ٥، ص ٣٧٠-٣٧٢.

(٢) الجرجاني، علي بن محمد (-٨١٦هـ)، التعريفات، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ج ١، ص ٣١.

(٣) الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، تحقيق: فواز زمرلي، بيروت، دار الكتاب العربي، ط ١، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ج ٢، ص ٢٥٩.

(٤) الخالدي، صلاح، البيان في إعجاز القرآن، عمان، دار عمار، ص ٣٢.

وعرفه الرافعي ^(١) بقوله: "وإنما الإعجاز شيطان: ضعف القدرة الإنسانية في محاولة المعجزة، ومزاولته على شدة الإنسان واتصال غايته، ثم استمرار هذا الضعف على تراخي الزمن وتقدمه" ^(٢).

وعرفه أرناؤوط بأنه: إثباتُ عجز البشر - متفرقين أو مجتمعين - عن الإتيان بمثل القرآن الكريم، وإعجاز الناس عن أن يأتوا بسورة من القرآن الكريم مع شدة عداوتهم وصددهم عنه ^(٣).

وهنا لا بد من الإشارة إلى أنه ليس المقصود من الإعجاز إعجاز البشر لذات التعجيز، فإن ذلك معلوم لدى كل عاقل، وإنما المقصود "لأزمه"، وهو إظهار أن الكتاب حق، وأن الرسول الذي جاء به رسول صدق" ^(٤).

فجميع معجزات الأنبياء لم يكن المقصود منها تعجيز البشر لذات التعجيز، وإنما لإثبات صدقهم فيما يبلغون عن ربهم، وأن ما جاؤوا به ما هو إلا وحي من الله تعالى، وأن ليس لهم إلا الإخبار والتبليغ.

ويمكن أن نعرف إعجاز القرآن قائلين: هو إثبات العجز البشر عن الإتيان بمثل هذا القرآن، واستمرار هذا العجز على مر العصور حتى قيام الساعة. فالإعجاز في الأصل هو إثبات العجز، وإثبات عجز مستلزم لإظهاره، والمراد إثبات صدق النبي في دعوى الرسالة بإظهار عجز العرب عن معارضته ^(٥).

(١) مصطفى صادق الرافعي: ولد ١٨٨١م، عالم بالأدب، شاعر، من كبار الكتاب، أصله من طرابلس الشام، توفي في طنطا (بمصر) سنة ١٩٣٧م، أصيب بصمم فكان يكتب له ما يراد مخاطبته به، شعره نقي الديباجة، له العديد من الكتب: "ديوان شعر" ثلاثة أجزاء، و"تاريخ آداب العرب" جزآن، وكتاب "من وحي القلم"، و"إعجاز القرآن والبلاغة النبوية". الزركلي، خير الدين، الأعلام، ج ٧، ص ٢٣٥.

(٢) الرافعي، مصطفى صادق (١٣٥٦هـ)، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، بيروت، دار الكتاب العربي، ط ٨، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م، ج ١، ص ٩٨.

(٣) أرناؤوط، محمد السيد، مجالات الإعجاز في القرآن الكريم، القاهرة، دار الأندلس الجديدة، ط ١، ٢٠٠٩م، ج ١، ص ٦٢، الصابوني، محمد علي، التبيان في علوم القرآن، جاكرتا، الدار العالمية، ط ١، ٢٠١٦م، ص ١٦٤.

(٤) الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ج ٢، ص ٢٥٩.

(٥) ينظر: سلامة، محمد علي، منهج الفرقان في فهم القرآن، تحقيق: محمد سيد المسير، القاهرة، دار نهضة مصر، ط ١، ٢٠٠٢م، ص ١٤٤.

المطلب الثاني: الفرق بين الإعجاز والمعجزة

إن الفرق بين الإعجاز والمعجزة ينطلق من حقيقة الكلمتين لغوياً:

المعجزة لغة:

"مفعلة من العجز: عدم القدرة، وقيل: أراد بالعجز ترك ما يجب فعله بالتسوية، وهو عام في أمور الدين والدنيا"^(١).

والمعجزة اسم فاعل من الإعجاز والإعجاز مصدر للفعل أعجز، فالفارق بين المعجزة والإعجاز "كون المعجزة اسم فاعل، واسم الفاعل يرتبط بفاعله، أما المصدر فهو ما كان مطلق الحدث غير مقيد بزمان، وهذا ما يوصف به القرآن، فالقرآن معجزة ونصه إعجاز، وهذا ما لا يتصف به في الوقت ذاته بهاتين الصفتين أي كتاب إلا القرآن الكريم"^(٢).

المعجزة اصطلاحاً:

عرفها السيوطي في الإتقان بأنها: "أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي، سالم عن المعارضة"^(٣).

وعرفها الزرقاني بقوله: "أمر خارق للعادة، خارج عن حدود الأسباب المعروفة، يخلقه الله على يد مدعي النبوة عند دعواه إياها شاهداً على صدقه"، فيخرج من هذا التعريف القرآن لأنه كلام الله وغير مخلوق^(٤).

فالمعجزة برهان من الله تعالى إلى عباده بصدق رسله فيما يبلغوا عنه، وتكون من باب يرى فيه قومه أنهم قادرون عليه وناصبون به، وتكون على وجه يعجز المنكرون متفرقين أو مجتمعين عن الإتيان بمثله. وقد تكون المعجزة فعلاً أو تركاً أو تعطيلاً أو قولاً، فأما الفعل (مثل إحياء الموتى بإذن الله على يد عيسى عليه السلام)، وأما الترك (مثل عدم إحراق النار لإبراهيم)، وأما القول (كمعجزة القرآن الكريم)^(٥).

(١) ابن منظور، لسان العرب، ج ٥، ص ٣٦٩.

(٢) سيبوكر، إسماعيل الحاج عبد القادر، الإعجاز في القرآن الكريم، ماهيته وتناوله في الدراسات السابقة (اللغوي والعلمي)، عمان، دار المعزز، ط ١، ١٤٣٨ هـ/٢٠١٧ م، ص ١٢.

(٣) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، القاهرة، المكتبة التوفيقية، ط ٢، ٢٠١٤ م، ج ٤، ص ٥.

(٤) الزرقاني، مناهل العرفان، ج ١، ص ٦٣.

(٥) ينظر: دحروج، علي وكامل موسى، التبيان في علوم القرآن، بيروت، دار بيروت المحروسة، ط ١، ١٤١٢ هـ/١٩٩٢ م، ص ١٩٩-٢٠٠، عباس، فضل، إعجاز القرآن الكريم، ص ٢١-٢٢.

والمعجزة هي: "ما يدل على تصديق الله للمدعي في دعواه الرسالة، أو هي تأييد الله مدعي النبوة بما يؤيد دعواه ليصدق المرسل إليهم"^(١).

وللمعجزة شروط يجب توافرها وهي:

الأول: أن تكون خارقة للعادة ويخرج بذلك ما لم يكن خارقاً للعادة، ذلك أن الحياة ارتبطت فيها الحوادث بأسبابها وهذا ما اعتاده الناس وألفوه، والمعجزة لا بد أن تكون خارجة عن هذا المألوف، وهذا شأن معجزات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. فلم يألف الناس أن تتحول العصا إلى حية، أو أن النار لا تحرق، أو أن البلغاء يعجزون عن أن يأتوا بمثل كلام بليغ.

الثاني: أن تكون فعلاً لله تبارك وتعالى، ذلكم أن المعجزة تصديق للرسول الذي أرسله الله، فلا بد أن تكون المعجزة آية من الله، وهذه الآية قد تكون قولاً كالقرآن الكريم أو تركاً كعدم إحراق النار لسيدنا إبراهيم عليه السلام.

الثالث: أن تكون مقترنة بدعوى النبوة والرسالة ويخرج بذلك الإرهاص وهو ما كان قبل الرسالة، ومثال ذلك كلام عيسى عليه السلام في المهد.

الرابع: أن تكون موافقة للدعوة، ويخرج منها ما كان مخالفاً للدعوة، فلو قال معجزتي إحياء الموتى لكن الذي حصل على يديه نطق الحجر مثلاً لم تكن هذه معجزة.

الخامس: ألا تكون مكذبة لمدّعيها، ويخرج بذلك ما كان مكذباً له. فلو قال مثلاً معجزتي نطق الجبل ونطق الجبل وقال أنت كاذب، لا تكون هذه معجزة.

السادس: أن تتعذر معارضتها بمعنى أن الناس لا يقدرون أن يأتوا بمثلاً، إذ لو أمكن الإتيان بمثلاً لم تصلح أن تكون معجزة.

السابع: أن تكون في زمن نقض العادة، ويخرج بذلك ما يقع من الدجال كأمره للسماء أن تمطر وللأرض أن تنبت^(٢).

(١) عباس، فضل، إعجاز القرآن الكريم، د. م، د. ت، ص ٢١.

(٢) ينظر: دحروج، علي وكامل موسى، التبيان في علوم القرآن، بيروت، دار بيروت المحروسة، ط ١، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ص ١٩٩-٢٠٠، عباس، فضل، إعجاز القرآن الكريم، ص ٢١-٢٢.

والمعجزة إما حسية تجابه بالحواس، وقد كانت معظم معجزات الأنبياء السابقة من هذا النوع، وإما أن تكون عقلية تواجه العقل وتتحداه بكل ما فيه من قوى الإدراك، ومعجزة القرآن الكريم التي خصَّ الله بها الأمة الإسلامية هي معجزة عقلية لأنها باقية أبد الدهر، يقول السيوطي: "وأكثر معجزات بني إسرائيل كانت حسية لبلادهم وقلة بصيرتهم، وأكثر معجزات هذه الأمة الإسلامية عقلية لفرط ذكائهم وكمال أفهامهم، ولأن هذه الشريعة لما كانت باقية على صفحات الدهر إلى يوم القيامة خصَّت بالمعجزة العقلية الباقية ليراها ذوو البصائر"^(١).

وقد بنيت نبوة النبي محمد ﷺ على معجزة القرآن الكريم، وإن كان قد أُيد بعد بعثته بمعجزات كثيرة، إلا أن تلك المعجزات قامت في أوقات وأماكن وأحوال خاصة ومنها:

١- انشقاق القمر.

٢- تسليم الشجر والحجر عليه.

٣- حنين الجذع إليه.

٤- تسبيح الحصى في كفه.

٥- ردّ عين قتادة حين سألت على خده بوقايته السهام عن رسول الله ﷺ.

٦- شهادة الضّب بنبوته.

وغيرها من المعجزات الحسية، ولا يشترط في كل معجزة وقوع التحدي بها إلا معجزة القرآن الكريم كما يقول ابن تيمية: "لم ينقل عن النبي التحدي إلا في القرآن الكريم، وما كان يظهر على يد النبي في كل وقت من الأوقات، لم يكن دليلاً على نبوته لأنه لم يكن كلما ظهر شيء من ذلك احتج به وتحدى الناس بالإتيان بمثله، بل لم ينقل عنه التحدي إلا في القرآن خاصة"^(٢). ولا شك أن معجزة الرسول محمد ﷺ هي القرآن الكريم كما صرح بذلك القرآن نفسه بقوله تعالى:

﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرًا لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت، ٥٠-٥١].

(١) السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، ج ٤، ص ٦.

(٢) ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم (٧٢٨هـ)، النبوات، تحقيق: عبد العزيز الطوقان، الرياض، أضواء السلف، ط ١، ١٤٢هـ/٢٠٠٠م، ج ١، ص ٥٦١.

ومعجزة القرآن الكريم فهي كما يقول الباقلاني: "معجزة عامة عمّت الثقلين، وبقيت بقاء العصرين، ولزوم الحجة بها من أول وقت ورودها إلى يوم القيامة على حدّ واحد"^(١).

"وقد أكد العلماء على وجود التحدي في القرآن الكريم مستنديين في ذلك إلى ما يسمونها بآيات التحدي"^(٢)، حيث حمل القرآن الكريم دعوة التحدي به إلى الخلق عامة وإلى العرب خاصة، وجاء التحدي بصور متعددة وأساليب متنوعة تهز كيانه هزاً وتدفعهم إلى ميدان التحدي وهم أهل الفصاحة والبلاغة، وقد "عمّ التحدي به للجميع لرفع الإشكال، وجاء على جهة الإخبار بأنه لا تقع المعارضة لأجل الإعجاز"^(٣). قال تعالى: ﴿قُلْ لِّينِ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ [الإسراء، ٨٨]. وقال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ [الطور: ٣٣-٣٤]. ثم تحداهم على أن يأتوا بعشر سور مثله، قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٦﴾ فَإِنَّهُمْ يَسْتَعْجِلُونَ لَكُمْ فَاَعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [هود: ١٣-١٤]. فجعل عجزهم عن الإتيان بمثله دليلاً على أنه منه وعلى وحدانيته.

ثم تحداهم على أن يأتوا ولو بسورة من مثله فعجزوا وانقطعوا دونه، وقد بقي النبي ﷺ يطالبهم به مدة ثلاثة وعشرين سنة مظهراً لهم النكير، زارياً^(٤) على أديانهم، مسفهاً آراءهم وأحلامهم قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُوْرَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [يونس: ٣٨]. وكرر هذا التحدي وقرعهم على ترك الإتيان بمثله قال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُوْرَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ

(١) الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب (٤٠٣هـ)، إعجاز القرآن، تحقيق: أحمد صقر، القاهرة، دار المعارف، ط ٥، ١٩٩٧م، ص ١٠.

(٢) التركي، إبراهيم، وصف القرآن الكريم بالمعجزة في التراث العربي، الرياض، دار كنوز إشبيليا، ط ١، ١٤٣٩هـ/٢٠١٨م، ص ١٠٦.

(٣) الزماني، علي بن عيسى بن عبد الله (٣٨٤هـ)، النكت في إعجاز القرآن، تحقيق: محمد خلف الله ومحمد زغلول إسلام، القاهرة، دار المعارف، ط ٣، ١٩٧٦م، ج ١، ص ٩٧.

(٤) زارياً: متهمكاً ومستهنئاً. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج ١٢، ص ٦١٢.

اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ
وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾ [البقرة، ٢٣-٢٤].

مما سبق نجد أن الفارق الأساسي بين الإعجاز والمعجزة: أن المعجزة لا توجب التحدي بينما الإعجاز فيه تحدٍ لخلق الله عن الإتيان بمثله، وفيه إثبات لعجز البشر متفرقين أو مجتمعين عن الإتيان بمثله رغم كونه ضمن نطاق المقدرة البشرية بخلاف المعجزة التي تكون خارقة لنواميس الكون، واستمرار هذا العجز مع تقدم الزمن فهو غير مخصوص بزمن معين كالمعجزة، كما يقول الرافعي: "وإنما الإعجاز شئان: ضعف القدرة الإنسانية في محاولة المعجزة، ومزاولته على شدة الإنسان واتصال غايته، ثم استمرار هذا الضعف على تراخي الزمن وتقدمه"^(١).

كما أن إعجاز القرآن هو دليل النبي ﷺ على صدق نبوته، وعلى أنه رسول الله يوحى إليه هذا القرآن، وأن النبي كان يعرف إعجاز القرآن من الوجه الذي عرفه منه سائر من آمن به من قومه العرب.

المطلب الثالث: وجوه إعجاز القرآن الكريم

اختلف العلماء قديماً وحديثاً في وجوه إعجاز القرآن، فمنهم من اكتفى بالإعجاز البياني، وجعله هو الوجه الوحيد في الإعجاز الذي كان به تحدي الكفار وقت نزول القرآن. ومنهم من أضاف وجوهاً أخرى مثل الإعجاز الغيبي والإعجاز العلمي والإعجاز التشريعي والإعجاز النفسي والإعجاز العددي وغير ذلك. ونجد وجوهاً كثيرة تدور حول الأداء البياني وأسلوب القرآن المتميز في ذلك، ونجد وجوهاً تنصب على الهدايات في القرآن الكريم، ووجوه تتعلق بالإخبار عن الغيوب، ووجوه تتعلق بالإشارات والإيحاءات إلى سنن الله في الكون والطبيعة والحياة التي خلقها الله سبحانه وتعالى.

ومن تتبع هذه الوجوه التي ذكرها العلماء قديماً وحديثاً نجد أن كثيراً منها تتشابه وتتداخل، وبعد الاستقراء والتحقق يمكن أن نجمع بينها في أربعة وجوه: الإعجاز البياني، الإعجاز التشريعي، الإعجاز الغيبي، الإعجاز العلمي^(٢).

(١) الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ج ١، ص ٩٨.

(٢) ينظر: الخالدي، صلاح، البيان في إعجاز القرآن، ص ١٣٥، مسلم، مصطفى، مباحث في إعجاز القرآن، ص ١٢١.

أولاً: الإعجاز البياني

إن أعظم وجوه إعجاز القرآن الإعجاز البياني، وذلك أنه ينتظم القرآن الكريم كله، سورة على اختلافها طولاً وقصرًا، أما الوجوه الأخرى فليس الأمر فيها كذلك، فالإعجاز الغيبي ليس موجوداً في كل الآيات وأيضاً الإعجاز العلمي والتشريعي. والإعجاز البياني عام في القرآن كله لا تخلو منه سورة على قصرها بل هو في كل آية، وليس الأمر كذلك في الوجوه الأخرى من إعجاز القرآن^(١).

ويقوم الإعجاز البياني على فصاحة القرآن وبلاغته، وعلى جزالة النظم القرآني وتناسقه، بالإضافة إلى الأسلوب القرآني الفريد. فإذا استعرضنا القرآن من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة الناس لوجدنا أن كل آية قد تحققت فيها الفصاحة والبلاغة في أبهى صورها، ولوجدنا أن معاني الكلمات تنساب إلى القلب قبل أن تبهرنا الألفاظ بجمالها الساحر سواء في ذلك السور والآيات المتعلقة بالآفاق وبدائع خلق الله، أو الآيات المتعلقة بالبعث والنشور والحساب، أو ما يتعلق منها بتنظيم شؤون الحاكم مع رعيته، أو الأسرة وحقوق أفرادها، وغيرها من الأمور التي تولى القرآن الكريم الحديث عنها^(٢).

والقرآن الذي عجز العرب عن معارضته لم يخرج عن سنن كلامهم، ألفاظاً وحروفاً، وتركيباً وأسلوباً، ولكنه في اتساق حروفه، وطلاوة عبارته، وحلاوة أسلوبه، وجرس آياته، ومراعاة مقتضيات الحال في ألوان البيان في الجمل الاسمية والفعلية، وفي النفي والإثبات، وفي الذكر والحذف، وفي التعريف والتذكير، وفي التقديم والتأخير، وفي الحقيقة والمجاز، وفي الإطناب والإيجاز، وفي العموم والخصوص، وفي الإطلاق والتقييد، وفي النص والفحوى - وهلمّ جزأً - ولكن القرآن في هذا ونظائره قد بلغ الذروة التي تعجز أمامها القدرة اللغوية لدى البشر^(٣).

وإن كل شيء يتناوله القرآن يتخير له أشرف المواد، وأنسها رحماً بالمعنى المراد، وأجمعها للشوارد، وأقبلها للامتزاج، ويضع كل مثقال ذرة في موضعها الذي هو أحق بها وهي أحق به، بحيث لا يجد المعنى في لفظه إلا مرآته الناصعة وصورته الكاملة، ولا يجد اللفظ في معناه إلا وطنه الأمين، وقراره المكين. لا يوماً أو بعض يوم، بل على أن تذهب العصور وتجيء العصور.

(١) ينظر: عباس، فضل، إعجاز القرآن، ص ١٦٥.

(٢) ينظر: مسلم، مصطفى، مباحث في إعجاز القرآن، الرياض، دار المسلم، ط ٢، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ص ١٢٧-١٢٨.

(٣) ينظر: القطان، مناع، مباحث في إعجاز القرآن، القاهرة، مكتبة المعارف، ط ٣، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ص ٢٥٨.

فلا المكان يريد بساكنه بدلاً ولا الساكن يبلغ عن منزله حولاً.. وعلى الجملة يجيئك من هذا الأسلوب بما هو المثل الأعلى في صناعة البيان^(١).

ولا سبيل لمعرفة سبق القرآن الكريم وبلوغه الغاية في الإعجاز اللغوي، إلا بأخذ حكمه مُسَلِّماً من أهله وبشهادة العارفين به، ومثال على هذه الشهادة:

جاء الوليد بن المغيرة إلى الرسول ﷺ فقرأ عليه القرآن، فكأنه رق له فبلغ ذلك أبا جهل، فأثاه فقال: يا عم، إن قومك يرون أن يجمعوا لك مالاً. قال: لم؟ قال: ليعطوكه فإنك أتيت محمداً لتعرض لما قبله قال: قد علمت قريش أنني من أكثرها مالاً. قال: فقل فيه قولاً يبلغ قومك أنك منكر له أو أنك كاره له قال: وماذا أقول «فوالله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برجز ولا بقصيدة مني ولا بأشعار الجن والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا والله إن لقوله الذي يقول حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه مغدق أسفله، وإنه ليعلو وما يعلو وإنه ليحطم ما تحته» قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه. قال: فدعني حتى أفكر، فلما فكر قال: " هذا سحر يؤثر يآثره من غيره فنزلت قَالَ تَعَالَى: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ [المدثر: ١١]^(٢).

وقال القاضي أبو بكر الباقلاني في كتابه إعجاز القرآن: فالذي يشتمل على بديع نظمه المتضمن للإعجاز وجوه: منها ما يرجع إلى الجملة، وذلك أن نظم القرآن على تصرف وجوهه، وتباين مذاهبه خارج عن المعهود من نظام جميع كلامهم، ومباين للمألوف من ترتيب خطابهم، وله أسلوب يختص به ويتميز تصرفه عن أساليب الكلام المعتاد. وذلك أن الطرق التي يتقيد بها الكلام البديع المنظوم تنقسم إلى: أعاريض الشعر على اختلاف أنواعه، ثم إلى أنواع الكلام الموزون غير المقفى، ثم إلى أصناف الكلام المعدل المسجع، ثم إلى معدل موزون غير مسجع، ثم إلى ما يرسل إرسالاً، فتطلب فيه الإصابة والإفادة، وإفهام المعاني على وجه بديع وترتيب لطيف، وإن لم يكن معتدلاً في وزنه، وذلك شبيهه بجملة الكلام الذي لا يتعمل فيه، ولا يتصنع له. وقد علمنا أن القرآن خارج عن هذه الوجوه ومباين لهذه الطرق.^(٣)

فليس من باب السجع وليس من قبيل الشعر، وتبين بخروجه عن أصناف كلامهم، وأساليب خطابهم أنه خارج عن العادة وأنه معجز، وهذه الخصوصية ترجع إلى جملة القرآن وتميز حاصل

(١) ينظر: دراز، عبد الله، النبأ العظيم، الكويت، دار القلم، ص ٩٢.

(٢) الحاكم، محمد بن عبد الله بن حمدويه بن نعيم النيسابوري (٤٠٥هـ)، المستدرک علی الصحیحین، تحقیق: مصطفى عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ/١٩٩٠م، كتاب التفسير، باب تفسير سورة المدثر، ج ٢، ص ٥٥٠، حديث رقم: ٣٨٧٢، حكمه: صحيح على شرط البخاري.

(٣) ينظر: الباقلاني، إعجاز القرآن، ص ٣٥.

في جميعه، وليس للعرب كلام مشتمل على هذه الفصاحة والغرابة، والتصرف البديع، والمعاني اللطيفة، والفوائد الغزيرة، والحكم الكثيرة، والتناسب في البلاغة، والتشابه في البراعة على هذا الطول وعلى هذا القدر، وإنما تنسب إلى حكيمهم كلمات معدودة وألفاظ قليلة، وإلى شاعرهم قصائد محصورة يقع فيها الإخلال والاختلاف والتكلف والتعسف، وقد جاء القرآن على كثرتة وطوله متناسباً في الفصاحة على ما وصفه الله عز وجل قال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ ۖ﴾ [الزمر: ٢٣]. قال تعالى: ﴿...وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ۖ﴾ [النساء: ٨٢].

وعجيب نظم القرآن، وبديع تأليفه لا يتفاوت ولا يتباين على ما يتصرف إليه من الوجوه التي يتصرف فيها من ذكر قصص ومواظ، واحتجاج وحكم وأحكام، وإعذار وإنذار، ووعد ووعيد، وغير ذلك من الوجوه التي يشتمل عليها. وقد تأملنا نظم القرآن، فوجدنا جميع ما يتصرف فيه من الوجوه على حد واحد في حسن النظم وبديع التأليف والرصف، لا تفاوت فيه، ولا انحطاط عن المنزلة العليا، ولا إسفاف فيه إلى الرتبة الدنيا.

وقد وقع موقعاً من البلاغة يخرج عن عامة كلام الجن كما يخرج عن عامة كلام الإنس، فهم يعجزون عن الإتيان بمثله كعجزنا ويقصرون دونه كقصورنا، قال تعالى: ﴿قُلْ لِّينِ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ ۚ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨] ^(١).

ويرى الرافعي أن القرآن كان نمطاً واحداً في القوة والإبداع، وأن مرد ذلك إلى روح التركيب التي تتعطف عليها جوانب الكلام الإلهي، وهذه الروح لم تعرف قط في كلام عربي غير القرآن، وبها انفرد نظمه وخرج مما يطيقه الناس، ولولاها لم يكن بحيث هو كأنما وضع جملة واحدة ليس بين أجزائها تفاوت أو تباين إذ تراه ينظر في التركيب إلى نظم الكلمة وتأليفها، ثم إلى تأليف هذه النظم، فمن هنا تعلق بعضه على بعض، وخرج في معنى تلك الروح صفة واحدة هي صفة إعجازه في جملة التركيب كما عرضت. ^(٢)

(١) ينظر: الباقلاني، إعجاز القرآن، ص ٣٦-٣٨.

(٢) ينظر: الرافعي، مصطفى، تاريخ آداب العرب، د. م، دار الكتاب العربي، ج ٢، ص ١٦٢.

وإن كان فما وراء ذلك متعدد الوجوه التي يتصرف فيها من أعراض الكلام ومناحي العبارات على جملة ما حصل به من جهات الخطاب كالقصص والمواعظ والحكم والتعليم وضرب الأمثال إلى نحو ما يدور عليه (١).

ثانياً: الإعجاز التشريعي

المقصود بالإعجاز التشريعي تشريعات القرآن ونظمه، ومناهجه، والمبادئ التي قررها، والقيم التي دعا إليها، والأسس التي أرساها، والهداية التي هدف إليها. فقد تضمن القرآن الكريم تشريعات ومناهج ومبادئ ونظماً شملت كافة مجالات الحياة، سواء حياة الفرد أو حياة المجتمع، وسواء الجانب العقيدي أو العبادي أو الأخلاقي أو الاجتماعي أو الاقتصادي أو السياسي أو الدولي أو الدستوري أو العسكري أو غير ذلك.

واشتمل القرآن على الأنظمة التي يحتاجها البشر في حياتهم المعاشية، ولم يدع جانباً من جوانب الحياة إلا كان له تشريعه المستقل بحيث ينتج من مجموع أنظمته تشريع متكامل لمناحي الحياة كلها قال تعالى: ﴿...الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا...﴾ [المائدة: ٣]. ونتج عن تطبيقه على الناس أمة متكاملة الشخصية متميزة الملامح والسلوك عن سائر الأمم قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ...﴾ [آل عمران: ١١٠]. فالأسس الأخلاقية والقواعد التشريعية السامية التي تضمنها القرآن تخرج عن طوق البشر إحاطة ودقة وشمولاً (٢).

ويظهر الفرق البعيد بين تشريعات القرآن، وتشريعات البشر عند المقارنة بين ما أقره القرآن من المبادئ والتشريعات في تلك المجالات والجوانب المختلفة، وبين ما أقرته البشرية في تاريخها الطويل، وما اهتمت إليه عقول عباقرتها ومفكرها وعلمائها (٣).

في العقيدة:

جاء القرآن بعقيدة سهلة خالية من التعقيد وملائمة للفطرة الإنسانية، ووضحها بأسلوب عذب جذاب لا يمكن لتاليه أو سامعه إلا أن يستجيب لنداء الفطرة ونداء الحق بأنه تنزيل من حميد مجيد.

(١) ينظر: الرفاعي، مصطفى، تاريخ آداب العرب، د. م، دار الكتاب العربي، ج ٢، ص ١٦٢.

(٢) ينظر: مسلم، مصطفى، مباحث في إعجاز القرآن، ص ٢٤٩-٢٥٠.

(٣) ينظر: الحامدي، صلاح، البيان في إعجاز القرآن، ص ٣٢١.

١- ففي مجال بيان توحيد الله والاستدلال عليه من خلال مخلوقاته وآثار الإبداع في خلقه وهي الطريقة الفطرية في الإقناع قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ [الأنعام: ٩٥]. كما ردَّ شبه المنحرفين وزيع الزائعين عن عقيدة التوحيد بالبراهين العقلية الدامغة، قال تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَأَبْتَغُوا إِلَيَّ الْعَرْشَ سَيِّئًا﴾ [الإسراء: ٤٢]. وقال تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ [المؤمنون، ٩١].

٢- وقرر وحدة الرسالات السماوية في أهدافها ومنطلقاتها ووسائلها، وإن اختلفت في جزئيات تشريعاتها، قال تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ٢١٣]. وقرر القرآن أن الميثاق الذي أخذ على الأنبياء وأقوامهم أن يؤمنوا بخاتم الأنبياء ويجاهدوا معه لنصرة دعوته إن أدركوا زمان بعثته التي يتم بها صرح النبوات قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّنَ لَمَا ءَاتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١].

٣- وقرر القرآن عقيدة البعث بعد الموت والحساب والجزاء يوم القيامة أوضح تقرير وأدقه، فالיום الآخر من مستوجبات العدل الإلهي المطلق فلا بد من التمييز بين المحسن والمسيء والصالح والطالح قال تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ [ص: ٢٨] ^(١).

(١) ينظر: مسلم، مصطفى، مباحث في علوم القرآن، ص ٢٥١-٢٥٤.

وفي الشريعة:

أرسى القرآن الكريم دعائم المجتمع الإسلامي على أسس متينة، وشرع لنا من التشريعات المستمدة من العقيدة الراسخة ما يوفر له السعادة والطمأنينة ويسمو نحو الكمال البشري. والتشريعات القرآنية متعددة الجوانب منها ما اصطلح على تسميته بالعبادات: وهي الطهارة والصلاة والزكاة والحج، ومنها المعاملات: كالبيع، والإجارة وهي ما تعرف بالقانون المدني، ومنها الأحوال الشخصية: ومنها التشريعات التي تتصل بالعقوبات وهي ما تعرف بالقانون الجنائي، ومنها ما يعرف بالسير: وهي التي تسمى في لغة القانون العلاقات الدولية... إلى غير ذلك من التشريعات.

ولقد كان للقرآن الكريم سبق في تلك التشريعات، والمتأمل في أي جانب من هذه الجوانب وهو يقارن ويوازن بينها وبين شبيهاها من القوانين يدرك صعوبة أحقية التشريعات القرآنية وجدارتها بتبوء المكانة العليا قال تعالى: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الإسراء: ١٠٥]. فالقرآن حق من عند الله تعالى، وكل ما فيه من حقائق وتشريعات وأخبار حق لا يتطرق إليه باطل، وهو في أعلى رتب الحق لا يجارى في قضاياه، ولا يدانيه كتاب آخر في أحكامه^(١).

ومن مزايا التشريعات القرآنية المعجزة:

١- هي مظهر لهداية القرآن ذلك أن الهدف الأساسي لهداية القرآن، هو هداية الناس إلى الله، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٩].

٢- هي حق وصدق وخير وصواب؛ لأنها من عند الله العليم الحكيم، قال تعالى: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾ [البقرة: ١٣٨].

٣- ونظراً لذلك لا يجوز أن نتعالم عليها أو ننقدها أو نزن عدم صلاحيتها لنا في هذا العصر العلمي المتقدم، والقرآن يواجهنا بهذا السؤال قال تعالى: ﴿...قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ...﴾ [البقرة: ١٤٠].^(٢)

(١) ينظر: عباس، فضل، إعجاز القرآن الكريم، ص ٣٠٠.

(٢) ينظر: الخالدي، صلاح، البيان في إعجاز القرآن، ص ٣٢٣-٣٢٤.

٤- شاملة لحياة الأفراد والجماعات وكل مجالات الحياة سواء في العقيدة أو العبادة أو الاقتصاد أو السياسة أو الاجتماع، وفي هذا يقول القرآن الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ^ط وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ^ط إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ

٥- يجب التزامها وتطبيقها ومراعاتها وإلغاء النظرة المزاجية لتلك التشريعات، فلا يجوز للمسلم أن يأخذ منها ما يتفق مع هواه، وأن يختار ما يتفق مع مزاجه قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ^ط وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا

٦- إن هذه التشريعات مظهر من مظاهر اليسر الرباني، فالله أراد لنا الخير وأراد بنا اليسر ولم يرد إيقاعنا بالحرَج، وكل هذه التشريعات تدخل ضمن الوسع والطاقة والاستطاعة قال تعالى: ﴿...يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ...﴾ [البقرة: ١٨٥]. وقال تعالى: ﴿...هُوَ أَجْتَبَكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ...﴾ [الحج: ٧٨] ^(١).

٧- إن الذين يدرسون النظم الاجتماعية والأصول التشريعية، ويدرسون النظام الذي جاء به هذا القرآن يدركون أن النظرة فيه إلى تنظيم الجماعة الإنسانية، ومقتضيات حياتها من جميع جوانبها، والفرص المدخرة فيه لمواجهة الأطوار والتقلبات في يسر ومرونة.. كل أولئك أكبر من أن يحيط به عقل بشري واحد، أو مجموعة العقول من جيل واحد، أو في جميع الأجيال ومثلهم الذين يدرسون النفس الإنسانية ووسائل الوصول إلى التأثير فيها وتوجيهها ثم يدرسون وسائل القرآن. فليس هو إعجاز اللفظ والتعبير وأسلوب الأداء وحده، ولكنه الإعجاز المطلق الذي يلمسه الخبراء في هذا وفي النظم والتشريعات ^(٢).

(١) ينظر: الخالدي، صلاح، البيان في إعجاز القرآن، ص ٣٢٤-٣٢٥.

(٢) ينظر: قطب، سيد، في ظلال القرآن، القاهرة، دار الشروق، ط ٣٢، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م ج ٣، ص ١٧٨٥.

ثالثاً: الإعجاز الغيبي

من وجوه إعجاز القرآن التي ذكرها العلماء الإعجاز الغيبي، ويقصد به كل ما كان غائباً عن محمد صلى الله عليه وسلم، ولم يشهد حوادث الواقعة ولم يحضر وقتها، ولم يكن على علم بتفصيلاتها، فيدخل في الغيب بهذا المفهوم كل ما ورد في القرآن عن بداية نشأة الكون، وما وقع من خلق آدم عليه السلام إلى مبعث الرسول من عظيمات الأمور ومهمات السير، وكذلك يشمل ما غاب عن محمد في وقته من الحوادث التي كانت تحدث ويخبر بها عن طريق الوحي؛ كإخبار الله سبحانه وتعالى له بما يكيد اليهود والمنافقون، ويشمل أيضاً ما تضمنه من الأخبار عن المستقبل. فالإعجاز الغيبي يتضمن: غيب الماضي، وغيب الحاضر، وغيب المستقبل (١).

غيب الماضي:

أخبار الأمم السابقة، وتدل هذه الأخبار على صدق الرسول ﷺ وعلى كون القرآن منزل بوحي من الله سبحانه وتعالى، فكثيراً ما يفتح القرآن القصة أو يختتمها بالإشارة إلى أن هذه الأمور هي وحي من عند الله، فمثلاً بعد ذكر قصة مريم وكفالة نبي الله زكريا لها قال تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُونَ أَقْلَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [آل عمران: ٤٤]. وقوله تعالى بعد ذكر قصة نوح عليه السلام، قال تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَقِيبَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود: ٤٩]. وقوله تعالى بعد ذكر قصة يوسف عليه السلام قال تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ [يوسف: ١٠٢]. وإن ورود أخبار الأمم الماضية والقرون الخالية بهذا الشكل المفصل الدقيق في القرآن الكريم دليل على أنه وحي من عند الله سبحانه وتعالى وليس من عند البشر، لأن من ترعرع في بيئة مثل البيئة التي نشأ فيها محمد ﷺ لا يمكنه أن يطلع على مثل هذه الأمور التي لا سبيل للحصول عليها إلا بالتلقي، ولم يكن في تلك البيئة الأمية من يعرف هذه الأنباء على هذا الوجه الدقيق (٢).

(١) ينظر: مسلم، مصطفى، مباحث في إعجاز القرآن، ص ٢٧٩.

(٢) ينظر: المرجع السابق، ص ٢٨١-٢٨٢.

غيب الحاضر:

ما جرى على عصر الرسول ﷺ من حوادث لم يحضرها ثم نزل القرآن الكريم متضمناً لها ومخبراً بحقيقة ما جرى. وفي تنبيه القرآن الكريم الرسول ﷺ ومعه المؤمنون على الحقيقة وتوجيههم إلى ما ينبغي اتخاذه حيال الوقائع ضمان لسلامة سير الدعوة، وتجنب لها عن الوقوع فيما يخطط له أعداؤها من الكفار والمنافقين. فالغاية الأساسية من الغيب الحاضر هو تأييد الدعوة والأخذ بيدها والسير بها على بينة من أمرها إضافة على التأكيد على صدق الرسول ﷺ فيما يبلغ به عن ربه، حيث لم يكن له علم فيما دار بغيابه حتى أُمط القرآن اللثام عن هذه الأمور. وإن أغلب هذه الحوادث تتعلق بكشف خطط أعداء الله وكيدهم للقضاء على جماعة المسلمين وإطفاء نور الله سبحانه وتعالى ومن ذلك:

١- ما جاء في شأن اليهود قال تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُجِبُونَ أَنَّ

يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

[آل عمران: ١٨٨]. فعن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ «دعا يهود فسألهم

عن شيء كتموه إياه، وأخبروه بغيره. فأروه أن قد استحمدوا إليه بما أخبروه عنه فيما

سألهم، وفرحوا بما أوتوا من كتمانهم»^(١). فنزلت هذه الآية تخبر الرسول ﷺ بذلك.

٢- ما جاء في شأن المنافقين وتخاذلهم ومحاولتهم تشييط المسلمين عن الخروج للجهاد في

غزوة تبوك، وتبرير أعدائهم بالقعود وعدم الخروج قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ

لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَآزَوَاتٌ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾

وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنَّ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا

مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا أُضْعِفُوا خِلَلَكُمْ

يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمْعُونُ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ لَقَدْ ابْتَغُوا الْفِتْنَةَ

مِنْ قَبْلُ وَقَالُوا لَكَ الْأُمُورُ حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ

﴿[التوبة: ٤٥-٤٨] (٢)﴾.

(١) البخاري، صحيح البخاري، كتاب: تفسير القرآن، باب: لا يحسن الذين يفرحوا بما أتوا، ج ٦، ص ٤٠،

حديث رقم: ٤٥٦٨.

(٢) ينظر: مسلم، مصطفى، مباحث في إعجاز القرآن، ص ٢٨٥.

غيب المستقبل:

ما ذكره القرآن من حوادث ستقع في المستقبل، ومن هذه الحوادث التي أخبر القرآن أنها ستقع ووقعت بالفعل فكان وقوعها دلالة على صدق الرسول ﷺ، ومنها ما تنتظر دورها والزمن كفيل بإظهار ذلك للأجيال القادمة. قال تعالى: ﴿عَلَيْتِ الرُّومُ ۚ فِي أَذْنِ الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَلَيْهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۚ فِي بَضْعِ سِنِينَ ۚ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدِ وَيَوْمَئِذٍ يَقَرُّحُ الْمُؤْمِنُونَ ۚ يَنْصُرِ اللَّهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۚ﴾ [الروم: ٢-٥]. وقد حدث بالفعل ما أخبر به القرآن فقد دارت رحى الحرب من بعد ذلك وهزم الفرس في بضْع سنين، ولم يكن النبي ﷺ ممن حضر هذه الحرب، وعرف سبب الغلب وما يتوقع بعده، وقد تفاعل المشركون من هزيمة الروم وهم أهل الكتاب، وعلو الفرس وهم أهل الشرك وحسبوا من ذلك أن دعوة محمد ﷺ مآلها الخسران، وتضمنت آخر الآيات بشارة للمؤمنين لم ينتبهوا لها إلا بعد وقوعها وهذه البشارة هي قوله تعالى: ﴿فِي بَضْعِ سِنِينَ ۚ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدِ وَيَوْمَئِذٍ يَقَرُّحُ الْمُؤْمِنُونَ ۚ يَنْصُرِ اللَّهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۚ﴾ [الروم: ٤-٥]، ولقد بينت مجريات الحوادث أن ذاك انتصار المسلمين على المشركين التي سماها الله فتحاً مبيناً، وفرحهم بذلك كان في نفس الوقت الذي تحققت فيه نبوة القرآن بتغلب الروم على الفرس (١).

ومنها ما أخبر الله به من كشوف في آفاق هذا الكون، وآفاق النفس البشرية، قال تعالى: ﴿سَرِّبْهُمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۚ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۚ﴾ [فصلت: ٥٣]. ومنها ما أخبر الله به عن مكنونات هذا الكون ذكرت إشارات إليها ونبهت إليها بعض آيات القرآن، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَتَعْلَمَنَّ نَبَأُورَ بَعْدَ حِينٍ ۚ﴾ [ص: ٨٨] (٢).

(١) ينظر: مسلم، مصطفى، مباحث في إعجاز القرآن، ص ٢٩٣-٢٩٤.

(٢) ينظر: عباس، فضل، إعجاز القرآن الكريم، ص ٣٤١.

وآيات الإخبار عن المغيبات كثيرة وكثرتها دليل على الإعجاز الغيبي للقرآن، لأنه مع كثرتها لم تكذب منها نبوءة واحدة بل وقعت جميعها وصدقت كما أنبأ القرآن بها، ولو تخلفت واحدة من هذه النبوءات الكثيرة لقامت الدنيا وقعدت، ولهلل أعداء الإسلام فرحاً بذلك. ومما يزيد في أمر هذا الإعجاز أن المتحدث بهذه الغيبات كان أمياً نشأ بين الأميين^(١).

ومما ينبغي الإشارة إليه أن هذا الوجه من وجوه إعجاز القرآن لا يستقل وحده في إثبات إعجاز القرآن جملة، فالقرآن معجز في كل آية من آياته وفي كل سورة من سورته وإن كانت لا تتطوي على الإخبار بالمغيبات، فهذا الوجه يثبت إعجاز القرآن بانضمامه إلى باقي الأوجه لا منفرداً بنفسه^(٢). وهذا ما أشار إليه الخطابي^(٣) بقوله: "ولا يشك في أن هذا وما أشبهه من أخباره نوع من أنواع إعجازه، ولكنه ليس بالأمر العام الموجود في كل سورة من سور القرآن، وقد جعل سبحانه في صفة كل سورة أن تكون معجزة بنفسها لا يقدر أحد من الخلق أن يأتي بمثلها، قال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٣]. من غير تعيين، فدل على أن المعنى فيه غير ما ذهبوا إليه^(٤).

رابعاً: الإعجاز العلمي

امتازت معجزة الرسول الكبرى (القرآن الكريم) بالكثير من المعجزات التي افتقدتها الكتب السماوية السابقة ومنها: نصوص الكتب السابقة محدودة لا تصلح إلا لأهل الزمان الذي نزلت فيه، فقد نزلت لتخاطب عقولاً معينة لها فكر معين وثقافة محددة، بينما القرآن الكريم نزل ليخاطب العقل الإنساني على مر العصور، ومن هنا امتازت نصوصه بعطائها اللامحدود يأخذ أهل كل عصر ما يناسب حياتهم، فهي نصوص كلية صالحة للانطباق على جزئيات كثيرة وفي الوقت

(١) ينظر: صالح، سعد الدين، المعجزة والإعجاز في القرآن الكريم، القاهرة، دار المعارف، ط ٢، ١٩٩٣م، ص ١٤٢.

(٢) ينظر: المرجع السابق، ص ١٤٣.

(٣) الخطابي: حمد بن محمد بن إبراهيم ابن الخطاب البستي، أبو سليمان: فقيه محدث، من مصنفاته: "بيان إعجاز القرآن"، و"تفسير أحاديث صحيح البخاري"، و"معالم السنن". توفي في بست سنة ٣٨٨هـ/٩٩٨م. الزركلي، خير الدين، الأعلام، ج ٢، ص ٢٧٣.

(٤) الخطابي، حمد بن محمد بن الخطاب البستي (٣٨٨هـ)، بيان إعجاز القرآن، تحقيق: محمد خلف الله ومحمد سلام، القاهرة، دار المعارف، ط ٣، ١٩٧٦م، ج ١، ص ٢٤.

نفسه يخاطب القرآن الناس على قدر عقولهم من غير مخالفة للحقائق العلمية فيفهمون من نصوص الآيات بقدر ما يتيسر لهم من العلم في كل زمان^(١).

ومن هنا امتاز القرآن على هذه الكتب بالإعجاز العلمي الذي سنتناوله بالبحث والدراسة في الفصول اللاحقة، كما سندرس أثره على النصوص القرآنية بالإثراء والتعطيل في الفصلين الثاني والثالث.

المطلب الرابع: تعريف الإعجاز العلمي في القرآن الكريم

لقد تم استخدام مصطلح الإعجاز العلمي في القرآن الكريم للدلالة على أوجه إعجاز القرآن التي كشفت عنها العلوم الكونية، وشاع استخدام هذا المصطلح مع بدايات القرن العشرين بعد التقدم العلمي الهائل في مختلف ميادين المعرفة، وذلك في محاولة لتقرير احتواء القرآن الكريم على مبادئ العلوم وسبقه إليها، وعدم التعارض بين العلم والدين، ويعتبر البحث في الإعجاز العلمي مجالاً جديداً مقارنة بغيره من مجالات الدراسات القرآنية، وهذا ما يفسر عدم وجود تعريف واضح لمصطلح الإعجاز العلمي، فقد اختلفت أقوال العلماء في تعريف الإعجاز العلمي للقرآن الكريم، فذهب الغزالي إلى أنه: "يعني أن القرآن الكريم اكتشف كنه شيء ما، كان الناس لا يستطيعون أن يعرفوه في حينها"^(٢). فإثبات أن القرآن الكريم الذي أوحى به إلى نبي أمي في أمة كانت غالبيتها الساحقة من الأميين من قبل أربعة عشر قرناً، يحوي من حقائق هذا الكون ما لم يتمكن الإنسان من معرفته إلا بعد قرون طويلة وتجارب كثيرة، لا يمكن أن يكون مصدره إلا وحياً من الله تعالى.

فالإعجاز العلمي هو: "إثبات سبق القرآن الكريم بالإشارة إلى حقيقة من حقائق الكون، أو تفسير ظاهرة من ظواهره قبل وصول العلم المكتسب إليها بعدد متطاوّل من القرون"^(٣). ولكن هذه الحقائق يجب أن تكون قطعية الثبوت، ومن الخطأ تضمين القرآن كل نظرية علمية، وتحميل الآيات ما لا تحتمله من النظريات والاكتشافات العلمية التي يمكن أن تنتزع بعد ثبوت أو تنقوض بعد رسوخ، ثم يستأنف الباحثون تجاربهم فيها مرةً أخرى، فالإعجاز العلمي

(١) ينظر: صالح، سعد الدين، المعجزة والإعجاز في القرآن الكريم، ص ١٤٢.

(٢) الغزالي، محمد، كيف نتعامل مع القرآن دراسة أجراها عمر عبيد حسنة، القاهرة، دار نهضة مصر، ط ٧، ٢٠٠٥م، ص ١٣٨.

(٣) النجار، زغلول، من آيات الإعجاز العلمي السماء في القرآن الكريم، بيروت، دار المعرفة، ط ٤، ١٤٢٨هـ، ص ٧٢.

للقرآن " ليس في اشتماله على النظريات العلمية التي تتجدد وتتبدل وتكون ثمرةً للجهد البشري في البحث والنظر، وإنما في حثه على التفكير فهو يحث الإنسان على النظر في الكون وتدبره، ولا يشل حركة العقل في تفكيره"^(١).

وبناءً عليه:

لا يجوز توظيف الحقائق غير الثابتة في الإعجاز العلمي للقرآن الكريم، وهذا ما ذهب إليه ثلة من علماء المسلمين المعاصرين كالزندانى والنايلسي وعبد الله المصلح في تعريفهم لمصطلح الإعجاز العلمي بأنه: "إخبار القرآن الكريم أو السنة النبوية بحقيقة أثبتتها العلم التجريبي، وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية في زمن الرسول ﷺ، وهذا مما يظهر صدق الرسول فيما أخبر به عن ربه سبحانه"^(٢).

مناقشة التعاريف:

يلاحظ أن بعض هذه التعاريف كانت غير واضحة كتعريف الإمام الغزالي بقوله: "أن القرآن اكتشف كنه شيء ما". وبعض هذه التعاريف لم يفرق بين التفسير العلمي والإعجاز العلمي كقول زغلول النجار بأن الإعجاز هو إثبات سبق القرآن الكريم بالإشارة إلى حقيقة من حقائق الكون، أو تفسير ظاهرة من ظواهره، فاكتشاف العلوم الكونية يدخل في مجال التفسير العلمي للآيات، وليس في إعجازها.

كما أن بعضها لم تطابق المعنى اللغوي للإعجاز كما في تعريفهم بأنه: إخبار القرآن الكريم أو السنة النبوية بحقيقة أثبتتها العلم التجريبي، والإعجاز لغة يأتي بمعنى السبق أو الفوت

(١) القطان، مباحث في علوم القرآن، ص ٢٣٩.

(٢) ينظر: الزندانى، عبد المجيد، تأصيل الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، بيروت، المكتبة العصرية، د. ت، ص ١٥، المصلح، عبد الله، الإعجاز العلمي في القرآن والسنة تاريخه وضوابطه، د. م، ط ٢، ١٤٢٧هـ، ص ١٨، النايلسي، راتب، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، دمشق، دار المكتبي، ط ٢، ١٤٢٦هـ، ص ١٠.

في الإخبار وليس الإخبار فقط، كما يؤخذ عليهم تضمين التعريف لثمره الإعجاز العلمي في قولهم: وهذا مما يظهر صدق الرسول فيما أخبر به عن ربه سبحانه (١).

رأي الباحثة:

لعل ما جاء في تعريف زغلول النجار (٢) كان الأقرب إلى الواقع العملي للإعجاز العلمي للقرآن الكريم، ولكن يؤخذ عليه قوله أن: الإعجاز هو تفسير للظواهر الكونية، فهذا يدخل ضمن التفسير العلمي على خلاف الإعجاز العلمي الذي يكون في حث الإنسان على التفكير والتدبر لهذه الظواهر الكونية، وتفتيق مدارك العقل للبحث والاستدلال بهذه الظواهر الكونية على الخالق، كما يؤخذ عليه قوله: إثبات السبق فهذا أيضاً يدخل في التفسير العلمي أما الإعجاز فهو السبق وهو نتيجة للتفسير العلمي.

ومن خلال مناقشتنا للتعريف السابقة نجد أنه: لا بد لنا من الأخذ بعين الاعتبار الأمور التالية عند تعريف الإعجاز العلمي وهي:

- ١- موافقة المعنى الاصطلاحي للمعنى اللغوي.
- ٢- عدم الخلط في التعريف بين الإعجاز العلمي والتفسير العلمي.
- ٣- عدم تضمين ثمره الإعجاز العلمي في التعريف.

وبناءً عليه ترى الباحثة أن الإعجاز العلمي هو: سبق القرآن الكريم بالإشارة إلى حقائق علمية ثابتة أثبتتها العلم التجريبي الحديث قبل اكتشافه لها بقرون عديدة.

(١) ينظر: السقا، مرهف عبد الجبار، التفسير العلمي والإعجاز العلمي في القرآن الكريم، دمشق، دار محمد الأمين، ط ١، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، ص ٩١-٩٢.

(٢) زغلول النجار: مصري، ولد سنة ١٩٣٣م، داعية إسلامي، يركز في أبحاثه على الإعجاز العلمي، باحث جيولوجي، تخرج من كلية العلوم جامعة القاهرة، ثم حصل على الدكتوراه. www.wikipedia.org.

المبحث الثاني

نشأة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم وأبرز من كتب فيه

المطلب الأول: نشأة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم

لقد كان الذوق العربي السليم يساعد صحابة رسول الله ﷺ وتابعيهم على إدراك أساليب القرآن الكريم في خطابه، وكانت عظمة القرآن الكريم قد سيطرت على نفوسهم، وكان الإقرار والعجز كامناً في قلوبهم.

فلم يذكر مصطلح الإعجاز في القرآن ولا في السنة ولا في كلام الصحابة والتابعين، وكانت تستعمل كلمة آية في معظم الأحيان للدلالة على هذا المصطلح بدلاً من كلمتي المعجزة والإعجاز كقوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٩].

جاء في تفسير ابن كثير: "يقول تعالى إخباراً عن المشركين: إنهم أقسموا بالله جهد أيمانهم، أي: حلفوا أيماناً مؤكدة ﴿لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ﴾ أي: معجزة وخارق، ﴿لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا﴾ أي: ليصدقنها"^(١).

ولم يول المسلمون اهتماماً للإعجاز العلمي في زمن الصحابة والتابعين لعدة أسباب أهمها^(٢):

١- لمشاهدتهم أو قربهم من عجز الخصوم عن المعارضة، وإذعانهم لتصديق القرآن.

٢- لانشغالهم بالدعوة والجهاد.

٣- لبعدهم عن القضايا الجدلية الشائكة التي لا ينبغي عليها عمل.

ولكن بعد الفتوحات الإسلامية، ودخول أمم جديدة في الإسلام كالفرس والروم بدأت ثقافات هذه الأمم بالدخول إلى المجتمع المسلم والتأثير به، مما دفع بأهل العلم من المسلمين إلى التصدي لتأثير هذه الثقافات الدخيلة بعدة أساليب ومنها تبيان أوجه إعجاز القرآن العديدة، ولعل

(١) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (-٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي سلامة، دار طيبة، ط ٢، ١٤٢٠هـ، ج ٣، ص ٣١٦.

(٢) ينظر: المصلح، عبد الله، الإعجاز العلمي في القرآن والسنة تاريخه وضوابطه، ط ٢، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ص ١١.

الفكرة نشأت في القرن الثاني الهجري حيث كانت البصرة تموج بالتيارات الفكرية المختلفة من فقهاء ومحدثين وفلاسفة متكلمين، وقد تطور علم الكلام خلال هذه الفترة تطوراً كبيراً اتصل بالعلوم الدينية والكونية، ووضع المتكلمون القرآن الكريم موضع بحوثهم وجعلوه محور جدالهم ونقاشهم^(١).

وشهدت هذه الفترة مقولة إبراهيم بن يسار النّظام^(٢) المتوفى سنة ٢٢٤هـ حيث زعم أن إعجاز القرآن الكريم بالصرف (أي أن الله قد صرف العرب عن معارضته وسلب عقولهم حتى لا يأتوا بمثله، وكان ذلك مقدوراً لهم لكن عاقهم أمر خارجي فصار كسائر المعجزات)^(٣)، فكان النظام أول من استخدم مصطلح إعجاز القرآن، وما إن ظهرت هذه المقولة حتى قام العلماء بردها وبيان بطلانها وإبراز أوجه إعجاز القرآن المتعددة، ومنهم أبو عثمان عمرو بن الجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥هـ، حيث يعتبر أول من تصدى لهذه المقولة وجعلها موضوعاً خاضعاً للنظر والدراسة، وهو يرى أن: "المعجزة في القرآن هي نظمه لا بالصرفة مخالفاً بذلك رأي أستاذه النظام ناقضاً لرأيه بهذا الرد العلمي"^(٤).

وفي أواخر القرن الثالث الهجري ألف أبو عبد الله محمد بن زيد الواسطي^(٥) المتوفى سنة ٣٠٦هـ كتاباً أسماه إعجاز القرآن في نظمه وتأليفه، ويعتبر امتداداً لما ابتدأه الجاحظ، وينسب الرافعي إلى الواسطي السبق في بسط إعجاز القرآن بقوله: "بيد أن أول كتاب وضع لشرح الإعجاز وبسط العقول إنما هو كتاب إعجاز القرآن لأبي عبد الله محمد بن يزيد الواسطي"^(٦).

(١) ينظر: العبيدي، خالد، القرآن منهل العلوم، بيروت، دار الكتب العلمية، ص ٣١٢.

(٢) النّظام: إبراهيم بن سيار بن هانئ البصري، أبو إسحاق النّظام: من أئمة المعتزلة، تبحر في علوم الفلسفة واطلع على أكثر ما كتبه رجالها من طبيعيين وإلهيين، وانفرد بأراء خاصة تابعته فيها فرقة من المعتزلة سميت (النظامية) نسبة إليه. الزركلي، خير الدين، الأعلام، ج ١، ص ٤٣.

(٣) ينظر: السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، ٧/٤، الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين بن محمد (٧٩٤هـ)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل، ط ١، ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م، بيروت، دار المعرفة، ج ٢، ص ٩٤.

(٤) ينظر: الخطيب، عبد الكريم، الإعجاز في دراسات السابقين، القاهرة، دار الفكر العربي، ط ١، ١٩٧٤م، ص ٣٦٨-٣٧٠.

(٥) الواسطي: محمد بن زيد بن علي بن الحسين الواسطي، أبو عبد الله: من كبار علماء الكلام. معتزلي أصله من واسط. سكن بغداد وتوفي بها. من كتبه: "إعجاز القرآن" و"الإمامة" و"الزمام" في علوم القرآن. الزركلي، خير الدين، الأعلام، ج ٦، ص ١٣٢.

(٦) الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص ١٠٦.

وفي القرن الرابع الهجري ألف أبو الحسن علي بن عيسى الرمانى المتوفى سنة ٣٨٦هـ كتاب النكت في إعجاز القرآن لخص فيه وجوه إعجاز القرآن الكريم وذكر أن إعجاز القرآن يظهر في سبع جهات: ترك المعارضة مع شدة الحاجة، التحدي للكافة، الصرفة، البلاغة، الأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلية، نقض العادة، قياسه على كل معجزة^(١)، وقد عاصر الرمانى أبو سليمان أحمد بن محمد الخطابي (٣٨٨هـ)، وألف كتاب بيان إعجاز القرآن ناقش فيه القول بالصرفة وتعرض لما تضمنه القرآن من أخبار الغيوب، ثم انتقل إلى البلاغة، ثم التفت إلى وجه من وجوه إعجازه وهو صنيع القرآن في القلوب وأثره في النفوس، كما ظهر في هذا القرن أبي الحسن الأشعري وتلميذه الباقلاني (٤٠٣هـ) الذي ألف كتاب إعجاز القرآن.

وفي نهاية القرن الرابع الهجري ومع وفاة الباقلاني أخذت أكثر نظريات الإعجاز في علم الكلام شكلها النهائي، وسادت الأعصر التالية على غرار الأولى في التأليف، وظهر أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني (٤٧١هـ) وألف كتاب دلائل الإعجاز كشف فيه عن وجوه إعجاز القرآن الكريم، ورد فيه على المعتزلة القائلين بإعجاز القرآن في الصرفة.

أما جار الله أبو القاسم الزمخشري^(٢) (٥٣٨هـ) فقد انفرد عن غيره بالاتجاه إلى الجانب التطبيقي لإعجاز القرآن، وذلك من خلال تفسير القرآن بطريقة تكشف عن أسرار إعجاز القرآن، والصور البلاغية التي تضمنها نظمه المعجز من خلال تفسيره الكشاف عن حقائق لتنزيل وعيون الأقاويل بوجود التأويل.

وفي القرن السابع الهجري ظهر أبو عبد الله محمد الأنصاري القرطبي^(٣) (٦٧١هـ) فكتب في مقدمة كتابه الجامع لأحكام القرآن ذكر فيه نكتاً في إعجاز القرآن ووجوهه، وجعلها في عشرة وجوه ومنها: "النظم البديع المخالف لكل نظم معروف في لسان العرب وغيرها، الأسلوب المخالف

(١) الرمانى، علي بن عيسى (٣٨٤هـ)، النكت في إعجاز القرآن، تحقيق: محمد خلق الله، ومحمد سلام، القاهرة، دار المعارف، ط ٣، ١٩٧٦م، ص ٧٥.

(٢) الزمخشري: محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري، جار الله، أبو القاسم: من أئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والآداب. ولد في زمخشري، وسافر إلى مكة فجاور بها زمناً فلقب بجار الله. أشهر كتبه: "الكشاف" و"أساس البلاغة" و"المقامات". الزركلي، خير الدين، الأعلام، ج ٧، ص ١٧٨.

(٣) القرطبي: أحمد بن عمر بن إبراهيم، أبو العباس الأنصاري القرطبي: فقيه مالكي، من رجال الحديث. ولد في قرطبة سنة ٥٧٨هـ/١١٨٢م. من كتبه: "المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم"، و"اختصار صحيح البخاري"، و"مختصر الصحيحين" توفي في الإسكندرية سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م. الزركلي، خير الدين، الأعلام، ج ٦، ص ١٨.

لجميع أساليب العرب، الجزالة التي لا تصح من مخلوق بحال، الأمور التي تعرف في أول الدنيا إلى وقت نزوله من أمي ما كان يتلو من قبله من كتاب ولا يخطه بيمينه، الإخبار عن المغيبات في المستقبل التي لا يطلع عليها إلا بالوحي، ما تضمنه القرآن من العلم الذي هو قوام جميع الأنام، والتناسب في جميع ما تضمنه ظاهراً وباطناً من غير اختلاف^(١).

وفي القرن الثامن الهجري ألف بدر الدين محمد الزركشي^(٢) (٧٩٤هـ) كتاب البرهان في علوم القرآن، وذكر فيه بعض وجوه الإعجاز ومنها: إعجاز متعلق بنفسه، التأليف الخاص به لا مطلق التأليف، الإخبار عن العيوب المستقبلية، نظمه وصحة معانيه، الفصاحة وغرابة الأسلوب والسلامة من العيوب، البلاغة وإخباره عن الضمائر من غير أن يظهر ذلك منهم كقوله تعالى: ﴿...وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوكَ بِمَا لَمْ يُحْيِكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُكُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَيُشْسِ الْمَصِيرُ﴾ [المجادلة: ٨]^(٣).

وفي القرن العاشر الهجري ألف جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت-٩١٠هـ) كتابه: معترك الأقران في إعجاز القرآن، وكذلك الإتقان في علوم القرآن وضمنه ثمانين نوعاً من مباحث القرآن، وخصص نوعاً لإعجاز القرآن.

أما في القرن الرابع عشر الهجري والذي شهد نهضة علمية واسعة فقد كتب الكثيرون في إعجاز القرآن وفي مقدمتهم: مصطفى صادق الرافعي (ت-١٣٥٦هـ)، حيث تكلم عن معنى الإعجاز ومذاهب القدماء فيه.

وأبرز من جاء بعد الرافعي من العلماء المتكلمين في إعجاز القرآن: الزرقاني في مؤلفه مناهل العرفان في علوم القرآن، ومحمد عبد الله دراز^(٤) ومن مؤلفاته: النبأ العظيم، الدين،

(١) ينظر: القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة، دار الكتب المصرية، ط ٢، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م، ج ١، ص ٩٥-١٠١.

(٢) الزركشي: محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، أبو عبد الله، بدر الدين: عالم بفقهاء الشافعية والأصول. له تصانيف كثيرة منها: "البحر المحيط"، و"الديباج في توضيح المنهاج"، و"البرهان في علوم القرآن". الزركلي، خير الدين، الأعلام، ج ٦، ص ٦٠.

(٣) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج ٢، ص ٩٥-١٠١.

(٤) محمد عبد الله دراز: فقيه متأدب مصري أزهري. كان من هيئة كبار العلماء بالأزهر، ولد في مصر سنة ١٨٩٤م، وتوفي في بلده سنة ١٩٥٨م. الزركلي، خير الدين، الأعلام، ج ٦، ص ٢٤٦.

دراسة تمهيدية لتاريخ الإسلام. الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) ^(١) في الإعجاز البياني، ومن مؤلفاتها: التفسير البياني للقرآن الكريم، القرآن وقضايا الإنسان، الشخصية الإسلامية دراسة قرآنية. سيد قطب ^(٢)، وكتبه كثيرة مطبوعة متداولة منها: التصوير الفني في القرآن، ومشاهد القيامة في القرآن، وفي ظلال القرآن، وهؤلاء جميعهم قالوا بالإعجاز البياني للقرآن الكريم.

كما ظهر آخرون ممن قالوا بالإعجاز العلمي ولعل أبرزهم: طنطاوي جوهري ^(٣) ومن أشهر كتبه: الجواهر في تفسير القرآن، ونهضة الأمم وحياتها. عبد المجيد الزنداني ^(٤)، أبرز مؤلفاته: علم الإيمان، التوحيد، التبيين العلمية في القرآن الكريم، بالإضافة إلى مقالات وأبحاث في الإعجاز العلمي. زغلول النجار ^(٥) من كتبه: التفسير العلمي للقرآن في أربعة مجلدات، مدخل إلى دراسة الإعجاز العلمي في القرآن. محمد راتب النابلسي ^(٦)، وله العديد من المؤلفات مثل موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، ونظرات في الإسلام. وعبد الله المصلح ^(٧) الأمين العام لهيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، ومن مؤلفاته: الإعجاز العلمي في القرآن والسنة تاريخه وضوابطه، قواعد تناول الإعجاز العلمي والطبي في السنة وضوابطه، وغيرهم.

(١) عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ): مفكرة وكاتبة مصرية، وأستاذة جامعية وباحثة، ولدت سنة ١٣٠٣هـ/١٩١٣م، توفيت سنة ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، www.wikipedia.org

(٢) سيد قطب: مفكر إسلامي مصري، ولد في القاهرة سنة ١٣٢٤هـ/١٩٠٦م، تخرج بكلية دار العلوم (بالقاهرة) سنة ١٣٢٤هـ/١٩٠٦م، توفي سنة ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م. الزركلي، خير الدين، الأعلام، ج ٣، ص ١٤٧.

(٣) طنطاوي جوهري: فاضل، له اشتغال بالتفسير والعلوم الحديثة. ولد في قرية الشرقية بمصر سنة ١٢٨٧هـ/١٨٧٠م، توفي سنة ١٣٥٨هـ/١٨٧٠م. الزركلي، خير الدين، الأعلام، ج ٣، ص ٢٣٠.

(٤) عبد المجيد الزنداني: داعية إسلامي يمني، ولد في محافظة إب في اليمن عام ١٩٤٢م، مؤسس الهيئة العامة للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، www.wikipedia.org.

(٥) سبق تخريجه، ص ٣٢.

(٦) النابلسي: داعية إسلامي سوري معاصر له دروس ومحاضرات في الإعجاز العلمي، وهو رئيس الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، www.wikipedia.org.

(٧) المصلح: ولد في الرياض سنة ١٣٧٦هـ، نال شهادة الماجستير والدكتوراة من كلية الشريعة في الرياض، وهو الأمين العام لهيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، www.wikipedia.org.

المطلب الثاني: مصادر أبحاث الإعجاز العلمي في القرآن الكريم

مصادر الإعجاز العلمي:

هي العناصر التي يستعان بها في إظهار إعجاز النصوص القرآنية وذلك لارتباطها القوي وتأثيرها المباشر في تبيان مقاصد الآيات ومدلولاتها، ويمكن تلخيص مصادر الإعجاز العلمي للقرآن الكريم بالتالي ^(١):

١- القرآن الكريم: إن كل موضوع تحدث فيه القرآن الكريم في أي مجال من مجالات العلم التي ظهرت حقيقتها القطعية والتي لا يمكن نسبة خبرها الذي جاء به الوحي إلا لله تعالى يعتبر مصدراً من مصادر الإعجاز العلمي للقرآن الكريم.

٢- التفسير وشروح الحديث: لما كانت أبحاث الإعجاز العلمي متعلقة بالتفسير العلمي للآيات الكونية ومتصلة بشروح الأحاديث المتصلة بها في هذه المجالات، فإن التفسير العلمي، وشروح الحديث يعتبر من أهم مصادر الإعجاز العلمي.

٣- العلوم التجريبية وتاريخها: لا بد من تحديد مصادر المادة العلمية التي تستخدم في الإعجاز العلمي بدقة من الكتب والمراجع العلمية مثل: كتب الفلك بالنسبة للآيات التي أشارت إلى الأفلاك وحركاتها، وكتب علم الأجنة بالنسبة للآيات التي أشارت إلى تطور خلق الجنين وهكذا، كذلك لا بد من دراسة تاريخ هذه العلوم ومراحل تطورها وتقدمها، فكلما تقدم العلم كشف جانباً من جوانب الإعجاز العلمي للقرآن الكريم.

٤- علوم اللغة العربية: تعتبر العلوم اللغوية كالصرف والنحو والبيان والمعاني من المصادر الضرورية لفهم النصوص القرآنية واستنباط الإعجاز العلمي من آياتها.

٥- علم أصول الدين والفقه: وهي القواعد التي يتوصل بها المجتهد إلى استنباط الأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية.

(١) ينظر: النابلسي، محمد راتب، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، دمشق، دار المكتبي، ط ٢، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ج ٢، ص ٩٤، رجب، محمود، بحوث في منهج تفسير القرآن، بيروت، ط ١، ٢٠٠٧م، ص ٢٧٩. الزنداني، عبد المجيد، تأصيل الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، بيروت، المكتبة العصرية، د. م، د. د، د. ت، ص ٢٥.

المطلب الثالث: أبرز من كتب في الإعجاز العلمي من القدماء والمعاصرين

على الرغم من أن عصرنا الحالي قد شهد طفرة هائلة من المؤلفات في الإعجاز العلمي للقرآن الكريم، إلا أن بدايات ظهور هذا المصطلح ترجع إلى القرن الخامس الهجري، ولم يكن هناك تمييز واضح بين التفسير العلمي والإعجاز العلمي، وإنما اقتصر العلماء على القول بوجود إشارات لبعض العلوم الكونية في القرآن الكريم، ولعل أبرز من كتب في هذا المجال من العلماء القدماء:

أولاً: أبو حامد الغزالي (٥٠٥هـ/١١١١م)

يرى الغزالي أن القرآن الكريم يحتوي على أصناف كثيرة من العلوم منها من لم يخرج إلى الوجود بعد، ولكن في قدرة الإنسان الوصول إليها ومنها ليس في قدرة البشر الإحاطة بها وإدراكها، كما يشير إلى وجود حقائق علمية في القرآن الكريم " ولا يعرف حقيقة سير الشمس والقمر بحسبان وخسوفهما وولج الليل في النهار وكيفية تكور أحدهما على الآخر إلا من عرف هيئات تركيب السماوات والأرض"^(١).

وقد أفرد الغزالي الفصل الخامس من كتابه جواهر القرآن لكيفية انشعاب سائر العلوم من القرآن الكريم " فالعلوم كلها داخلة في أفعال الله ﷻ وصفاته وهذه العلوم لا نهاية لها وفي القرآن الكريم إشارة إلى مجامعها والمقامات في التعمق في تفصيله راجع إلى فهم القرآن... في القرآن رموز ودلالات علمية يختص أهل الفهم بإدراكها"^(٢)، وهذه الإشارات والدلالات لم يكن المسلمون يعرفونها وقت نزولها، كما قرر الغزالي اشتغال القرآن الكريم على بعض أنواع الإعجاز العلمي كإعجاز الله في خلق الذباب والعنكبوت والنمل^(٣).

ثانياً: الفخر الرازي (٦٠٦هـ/١٢٠٩م)

يعتبر من أكبر أعلام التفسير العلمي للقرآن من خلال تفسيره الكبير (مفاتيح الغيب)، حيث فسر فيه القرآن الكريم تفسيراً علمياً، واشتد على من لم يأخذ بالعلوم في تفسير كتاب الله ووصفه بالجهل فقال: "وربما جاء بعض الجهال والحمقى، وقال إنك أكثر في تفسير كتاب الله

(١) الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد (٥٠٥هـ)، جواهر القرآن، تحقيق: محمد القباني، بيروت، دار إحياء العلوم، ط ٢، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ج ١، ص ٤٦.

(٢) الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد (٥٠٥هـ)، إحياء علوم القرآن، بيروت، دار المعرفة، ج ١، ص ٢٨٩.

(٣) الغزالي، جواهر القرآن، ص ٦٧.

من علم الهيئة والنجوم، وذلك على خلاف المعتاد! فيقال لهذا المسكين: إنك لو تأملت في كتاب الله حق التأمل لعرفت فساد ما ذكرته"^(١).

ويرى الرازي أن كتاب الله مليء بالآيات الدالة على أحوال السماوات والأرض وتعاقب الليل والنهار وأحوال الشمس والقمر، ولو لم يكن البحث عنها والتأمل في أحوالها لما ملأ الله كتابه منها قال تعالى: ﴿ أَقَلَّمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴾ [لق: ٦]. وحث الإنسان على التدبر والتفكير فيها قال تعالى: ﴿ لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [غافر: ٥٧]. ومدح المتفكرين في خلق السماوات والأرض بقوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ فِيمَا وَفُوعُوا وَعَلَىٰ جُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ [آل عمران: ١٩] ^(٢).

ثالثاً: بدر الدين الزركشي (-١٧٩٤هـ/١٣٩١م)

ظهر الزركشي في القرن الثامن الهجري كمؤيد قوي للتفسير العلمي، حيث أفرد في كتابه (البرهان في علوم القرآن) فصلاً بعنوان: في القرآن علم الأولين والآخرين قال فيه: "في القرآن علم الأولين والآخرين وما من شيء إلا يمكن استخراجه منه لمن فهمه الله تعالى"^(٣).

رابعاً: جلال الدين السيوطي (-٩١١هـ/١٥٠٥م)

أفرد السيوطي باباً في كتابه الإتيان في علوم القرآن للحديث عن العلوم المستنبطة من القرآن الكريم، كما ذكر فيه أن القرآن اشتمل على كل شيء، وأنواع العلوم ليس فيها باب ولا مسألة هي أصل إلا وفي القرآن ما يدل عليها، وفيه عجائب المخلوقات، وملوك السماوات والأرض، وبدء خلق الإنسان إلى موته^(٤).

(١) الفخر الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر التيمي (-٦٠٦هـ)، مفاتيح الغيب بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط ٣، ١٤٢٠هـ، ج ٤، ص ٣٢٤.

(٢) ينظر: الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ص ٢٧٤.

(٣) الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد (-٧٩٤هـ)، البرهان في علوم القرآن، بيروت، دار إحياء الكتب العربية، ط ١، ج ٢، ص ١٨١.

(٤) السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، ج ٣، ص ٣٨-٣٩.

ومن خلال استعراضنا لأبرز العلماء القدماء الذين قرروا اشتغال القرآن الكريم على علوم كونية ولكنهم لم يسيروا بوضوح إلى مصطلح الإعجاز العلمي فإننا نجزم أن مصطلح الإعجاز العلمي يعتبر من الاتجاهات الحديثة في علوم القرآن، وقد كثر المهتمون به في العصر الحديث.

ومن أبرز من كتب في الإعجاز العلمي في القرآن الكريم من المعاصرين:

أولاً: محمد رشيد رضا (١) (- ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م)

تعرض في كتابه (تفسير المنار) إلى إعجاز القرآن الكريم ووجوهه، وأفرد فصلاً في تحقيق وجوه إعجاز القرآن الكريم، وذكر سبعة أوجه من وجوه إعجازه وهي:

الوجه الأول: اشتغاله على النظم الغريب والوزن العجيب والأسلوب المخالف لما استنبطه العلماء من كلام العرب في مقاطعه وفواصله.

الوجه الثاني: بلاغته التي تقاصرت عنها بلاغة سائر البلغاء قبله، وفي عصر تنزيهه وفيما بعده.

الوجه الثالث: اشتغاله على الإخبار بالغيب من ماض كقصص الأنبياء، ومن حاضر في عصر تنزيهه كقوله تعالى: ﴿عُلِّيَّتِ الْأُمُورُ ۖ فِي آدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَلَيْهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بَضْعِ سِنِينَ ۖ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾﴾ [الروم: ٢-٤]. وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُخْلَقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح، ٢٧]. (٢)

(١) محمد رشيد رضا: محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين، صاحب مجلة (المنار) وأحد رجال الإصلاح الإسلامي. من الكتاب، العلماء بالحديث والأدب والتاريخ والتفسير، ولد سنة ١٢٨٢هـ/ ١٨٦٥م، توفي في القاهرة سنة ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م. أشهر آثاره مجلة "المنار" أصدر منها ٣٤ مجلداً، و"تفسير القرآن الكريم" أصدر منه اثنا عشر مجلداً منه، ولم يكمله. الزركلي، خير الدين، الأعلام، ج ٦، ص ١٢٦.

(٢) ينظر: رضا، محمد رشيد (- ١٣٥٤هـ)، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م، ج ١، ص ١٦٥-١٧٣.

الوجه الرابع: سلامته على طوله من التعارض والتناقض والاختلاف خلافاً لجميع كلام البشر، وهو المراد بقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْعَانَ^١ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿[النساء: ٨١].

الوجه الخامس: اشتماله على العلوم الإلهية وأصول العقائد الدينية وأحكام العبادات وقوانين الفضائل والآداب وقواعد التشريع السياسي والمدني والاجتماعي الموافقة لكل زمان ومكان.

الوجه السادس: اشتماله على الكثير من آيات الله في جميع أنواع المخلوقات من الجماد والنبات والحيوان والإنسان ووصف خلق السماوات وشمسها وقمرها والأرض والهواء والرياح والسحاب والماء من بحار وأنهار وعيون وينابيع.

الوجه السابع: اشتمال القرآن على تحقيق كثير من المسائل العلمية والتاريخية التي لم تكن معروفة في عصر نزوله، ثم عرفت بعد ذلك، ثم الكشف للباحثين والمحققين من طبيعة الكون وتاريخ البشر، ومنها قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاحٍ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴿[الحجر: ٢٢]. وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا^٢ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿[الأنبياء: ٣٠]. ومنه الآيات الواردة في خراب العالم عند قيام الساعة، وكون ذلك يحصل بقارعة ترفع الأرض قرعاً، وتسخها فترجها رجاً، وتبث جبالها بثاً فتكون هباءً منبثاً.

فهذا النوع من المعارف التي جاءت في سياق آيات الله وحكمه كانت مجهولة للعرب ولجميع البشر حتى أن المسلمين أنفسهم كانوا يتأولونها ويخرجونها عن ظواهرها لتوافق الموقف عندهم في كل عصر وفي كل نظرية من نظريات العلوم، وإظهار ترقى العلم لحقيقتها المبينة مما يدل على أنها موحى بها من الله تعالى (١).

ثانياً: الرافعي (-١٣٥٥هـ/١٩٣٧م)

صنف كتاب (إعجاز القرآن والبلاغة النبوية) وتحدث فيه عن الإعجاز وأوجهه، ومما جاء فيه: "إن القرآن الكريم معجز بالمعنى الذي يفهم من لفظ الإعجاز على إطلاقه، حين ينفي الإمكان بالعجز عن غير الممكن، فهو أمر لا تبلغ منه الفطرة الإنسانية مبلغاً وليس إلى ذلك

(١) ينظر: رضا، محمد رشيد (-١٣٥٤هـ)، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م، ج ١، ص ١٧٤-١٧٧.

مأتى ولا وجهة، وإنما هو أثر كغيره من الآثار الإلهية يشاركها في إعجاز الصنعة وهيئة الوضع، وينفرد عنها بأن له مادة من الألفاظ كأنها مفرعة من نوب تلك المواد كلها... فالقرآن معجزة في تاريخه دون سائر الكتب، ومعجزة في أثره الإنساني، ومعجز كذلك في حقائقه، وهذه وجوه عامة لا تخالف الفطرة في شيء فهي باقية ما بقيت^(١).

فالرافعي يرى أن وجوه إعجاز القرآن ثلاثة وهي: تعلقه بغيره، وتاريخه دون سائر الكتب، وحقائقه العلمية.

وقد قرر الرافعي احتواء القرآن الكريم على إشارات للعلوم الحديثة بقوله "ولو أن متحققاً بهذه العلوم الحديثة لو تدبر القرآن وأحكم النظر فيه، وكان لا تعوزه أداة الفهم ولا يلتوي عليه أمر من أمره لاستخرج منه إشارات كثيرة تومئ إلى حقائق العلوم، وإن لم تبسط من أبنائها وتدل عليها وإن لم تسمها بأسمائها"^(٢).

ثالثاً: طنطاوي جوهري (١٣٥٨هـ/ ١٩٤٠م)

ألف تفسيره (الجواهر في تفسير القرآن الكريم) المشتمل على عجائب بدائع المكونات وغرائب الآيات الظاهرات) حيث مزج فيه الآيات القرآنية بالعجائب الكونية، وجعل آيات الوحي مطابقة لعجائب الصنع، ووضع في هذا التفسير ما يحتاج المسلم من "الأحكام والأخلاق وعجائب الكون، وأثبت فيه غرائب العلوم وعجائب الخلق مما يشوق المسلمين والمسلمات إلى الوقوف على حقائق معنى الآيات البينات في الحيوان والنبات والأرض والسموات"^(٣).

وقد ملأ كتابه بالكثير من الصحائف العلمية التي تتحدث عن مظاهر الكون حديث الفيزيائي والكيميائي والطبيعي والفلكي والجغرافي... وبهذا ندرك أن طنطاوي جوهري من أشد علماء العصر للنزعة التفسيرية العلمية وما يتبعها من إعجاز^(٤).

(١) الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ج ١، ص ١٠٩.

(٢) الرومي، فهد، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، د. ن، ط ١، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م، ج ٢، ص ٥٦٩.

(٣) جوهري، طنطاوي، الجواهر في تفسير القرآن، القاهرة، مصطفى البابي الحلبي، ط ٢، ١٣٥٠هـ، ج ١، ص ٣.

(٤) اللوح، عبدالسلام، الإعجاز العلمي في القرآن الكريم (رسالة ماجستير)، غزة، آفاق، ص ١٥٤.

المبحث الثالث

التفسير العلمي والإعجاز العلمي والفرق بينهما

المطلب الأول: تعريف التفسير العلمي للقرآن الكريم

التفسير لغةً:

التفسير مصدر الفعل فسّر -بتشديد السين-، مضاعف فسر -بتخفيفها- والتضعيف فيه ليس للدلالة على التعدية بل هو للدلالة على التكثر من المصدر، وقد يكون التكثر في ذلك مجازياً واعتبارياً بأن ينزل كدّ الفكر في تحصيل المعاني الدقيقة، ثم في اختيار أضبط الأقوال لإبانته منزلة العمل الكثير^(١).

وفي لسان العرب: التفسير أصله من الفسر وهو الإبانة وكشف المغطى، أو كشف المراد عن المشكل^(٢).

والتفسير في المبالغة كالفسر، والتفسير قد يقال فيما يختص بمفردات الألفاظ وغريبها^(٣).

التفسير اصطلاحاً:

من خلال تتبع أقوال العلماء الذين عرفوا التفسير نجدهم قد عرفوه بتعاريف كثيرة بعضها مطول وبعضها مختصر، ولكن وإن اختلفت ألفاظها فيمكن إرجاعها إلى واحد منها فهي مقاربة المعنى والهدف.

فقد عرفه بعض العلماء حسبما نقله السيوطي في الإتيان بأنه: "علم نزول الآيات وشؤونها وأقاصيصها والأسباب النازلة فيها، ثم ترتيب مكّيها ومدنيها، ومحكمها ومتشابهها، وناسخها ومنسوخها، وخاصها وعامها، ومطلقها ومقيدها، ومجملها ومفسرها، وحلالها وحرامها، ووعداها ووعيدها، وأمرها ونهيها، وعبرها وأمثالها"^(٤).

(١) ينظر: عاشور، محمد الطاهر (١٣٩٣هـ)، التحرير والتنوير، تونس، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م، ج ١، ص ١٠-١٢.

(٢) ينظر: الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج ١، ص ٤٥٦. ابن منظور، لسان العرب، ج ١، ص ٥٥.

(٣) ينظر: الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ج ١، ص ٦٣٦.

(٤) السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، ج ٤، ص ١٩٤.

وعرفه أبو حيان بأنه: "علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن، ومدلولاتها، وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب، وتتمت لذلك"^(١).

وعرفه الزركشي والسيوطي بأنه "علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد ﷺ واستخراج أحكامه وحكمه واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات ويحتاج إلى معرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ"^(٢).

وقد ركزت هذه التعريفات على علوم القرآن التي يحتاجها التفسير دون تعريف التفسير نفسه.

وعرفه الزرقاني بأنه: "علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالاته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية"^(٣).

وهذا التعريف بجانب إيجازه فقد جعل هدفه الأعلى إبراز هداية القرآن وتعاليمه وبيان مراد الله حسب الطاقة البشرية، وهذا قيد مهم لأن المفسر لا يمكنه القطع بأن هذا المراد من كلام الله تعالى وإلا كان من التفسير بالرأي المنهي عنه^(٤).

وتتفق هذه التعاريف على أن التفسير علم يقصد به الوصول إلى معرفة المراد من كلام الله تعالى من خلال الكشف عن دلالاته اللفظية والبيانية واستنباط الأحكام الشرعية وذلك بحسب القدرة البشرية.

أما التفسير العلمي:

فقد وقع الخلاف بين العلماء في هذا النوع من التفسير من فترة طويلة ولازال الخلاف قائماً حتى هذه الساعة^(٥). وبناءً عليه يكون عندنا اتجاهان في تعريف التفسير العلمي حيث عرفه كل اتجاه وفق ما يتناسب مع رأيه. فقد عرفه المؤيدون بأنه: "اجتهاد المفسر في كشف الصلة

(١) ينظر: أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف بن علي (٧٤٥هـ)، البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي جميل، بيروت، دار الفكر، ١٤٢٠هـ، ج ١، ص ٢٦.

(٢) ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج ١، ص ١٣. السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، ج ٤، ص ١٩٥.

(٣) الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ج ٢، ص ٣.

(٤) ينظر: أبو حجر، أحمد، التفسير العلمي للقرآن في الميزان، بيروت، دار قتيبة، ط ١، ١٤١١هـ/١٩٩١م، ص ١٧-١٨.

(٥) المصلح، عبد الله، الإعجاز العلمي في القرآن والسنة تاريخه وضوابطه، ص ٣٨.

بين آيات القرآن الكونية ومكتشفات العلم التجريبي على وجه يظهر به إعجاز القرآن، ويدل على مصدره وصلاحيته لكل زمان ومكان^(١).

وعرفه المعارضون للتفسير العلمي بأنه: "التفسير الذي يحكم الاصطلاحات العلمية في عبارات القرآن، ويجتهد في استخراج مختلف العلوم والآراء الفلسفية منها"^(٢).

وبهذا نجد أن الفريق المؤيد للتفسير العلمي اعتبره سبيلاً لفهم النص القرآني على مَرَّ العصور، وطريقاً للوصول إلى إعجاز القرآن الكريم، أما الفريق المعارض فاعتبره تحكيمياً للنظريات العلمية في عبارات القرآن واجتهاداً في استخراج مختلف العلوم منها، ويمكن ترجيح تعريف الاتجاه المؤيد للتفسير العلمي بأنه لا يعتبر النظريات العلمية في تفسير القرآن، وإنما يعتبر الحقائق العلمية ويوفق بينها وبين الآيات القرآنية وصولاً إلى الإعجاز العلمي للقرآن.

المطلب الثاني: نشأة التفسير العلمي

تمتد نزعة التفسير العلمي للقرآن الكريم من عصر النهضة العباسية إلى أيامنا هذه، وقد كانت هذه النزعة بمثابة المحاولة للتوفيق بين الإسلام وبين ثقافات الأمم الأخرى بعد دخولها في الإسلام إبان الفتوحات الإسلامية.

وتبلورت هذه النزعة في القرن الخامس الهجري، واتفق العلماء على أن الإمام الغزالي (ت-٥٠٥هـ) يعتبر من أوائل المؤيدين والمروجين للتفسير العلمي للقرآن الكريم^(٣)، ففي كتابه الإحياء ينقل عن بعض العلماء القول: "القرآن يحوي سبعة وسبعين ألف علم ومائتي علم إذ كل كلمة علم ثم يتضاعف ذلك أربعة أضعاف إذ لكل كلمة ظاهر وباطن وحد ومطلع، ثم ينقل بعد ذلك حديث ابن مسعود رضي الله عنه من أراد العلم فليثور القرآن فإن فيه علم الأولين والآخرين^(٤)، وذلك لا يحصل بمجرد تفسير الظاهر وبالجمل فالعلوم كلها داخلة في أفعال الله عز وجل وصفاته وفي القرآن شرح ذاته وأفعاله وصفاته وهذه العلوم لا نهاية لها وفي القرآن

(١) الرومي، فهد، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، ج٢، ص ٥٤٩.

(٢) الذهبي، محمد، التفسير والمفسرون، القاهرة، مكتبة وهبة، ج٢، ص ٣٤٩.

المحتسب، عبد المجيد، اتجاهات التفسير في العصر الراهن، عمان، مكتبة النهضة الإسلامية، ط ٣،

١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص ٢٧٤.

(٣) ينظر: الرومي، فهد، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، ص ٢٤٥. المحتسب، عبد المجيد، اتجاهات

التفسير في العصر الراهن، ص ٢٤٧. الذهبي، محمد، التفسير والمفسرون، ج٢، ص ٣٤٩.

(٤) الطبراني، سليمان بن أحمد اللخمي الشامي (٣٦٠هـ)، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي السلفي، القاهرة،

مكتبة ابن تيمية، ط ٢، د. ت، ج ٩، ص ١٣٦، حديث رقم ٨٦٦٦.

إشارة إلى مجامعها والمقامات في التعمق في تفصيله راجع إلى فهم القرآن ومجرد ظاهره التفسير لا يشير إلى ذلك بل كل ما أشكل فيه على النظار واختلف فيه الخلائق في النظريات والمعقولات ففي القرآن إليه رموز ودلالات عليه يختص أهل الفهم بدركها^(١).

وزاد الغزالي في إيضاح تأييد للتفسير العلمي للقرآن الكريم في كتابه جواهر القرآن حيث عقد فصلاً منه لكيفية انشعاب سائر العلوم من القرآن ومما جاء فيه: "ولعلك تقول: إن العلوم وراء هذه كثيرة، كعلم الطب والنجوم، وهيئة العالم، وهيئة بدن الحيوان وتشريح أعضائه، وعلم السحر والطلسمات^(٢)، وغير ذلك"^(٣).

كما يرى أن جميع هذه العلوم مغترفة من بحر واحد من بحار معرفة الله تعالى، وهو بحر الأفعال، ثم مثل لبعض الآيات التي لا يمكن تفسيرها إلا لمن له علم بمعرفة بعض العلوم كعلم الطب كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء، ٨٠]، وعلم الهيئة والفلك كقوله تعالى: ﴿وَخَسَفَ الْقَمَرُ﴾ [القيامة، ٨]، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ أَلِيلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي أَلِيلٍ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [لقمان، ٢٩]، فلا يعرف حقيقة سير الشمس والقمر وخسوفه وولج الليل في النهار والنهار في الليل إلا من عرف هيئات تركيب السماوات والأرض، ولا يعرف كمال معنى قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا عَزَاكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ [الذي خلقك فسوَّك فعدلك ٧] في أي صورة ما شاء ربك﴾ [الانفطار: ٦-٨] إلا من عرف تشريح أعضاء الإنسان ظاهراً وباطناً، وتعتبر هذه العلوم من علوم الأولين والآخرين وفي القرآن الكريم إشارة إلى مجامعها^(٤).

(١) الغزالي، إحياء علوم الدين، ج ١، ص ٢٨٩.

(٢) الطلسمات: هي خطوط وكتابات لا تحتوي على معنى واضح ومفهوم يستخدمها السحرة أو أتباع بعض المعتقدات وتكون تعويذة ما يُزعم أنها تدفع كل مؤذٍ و/أو تجلب الحظ السعيد. www.wikipedia.org

(٣) الغزالي، جواهر القرآن، ج ١، ص ٤٤.

(٤) ينظر: المرجع السابق، ج ١، ص ٤٥.

المطلب الثالث: الفرق بين التفسير العلمي والإعجاز العلمي

يعتبر التفسير العلمي أعمّ من الإعجاز العلمي، فكل تفسير علمي هو إعجاز علمي وليس العكس صحيحاً، ومن خلال العلاقة بينهما نلاحظ الفروق التالية^(١):

١- يعتبر التفسير العلمي مثاراً للبحث والمناقشة بينما الإعجاز العلمي فيعتبر قضية مسلّمة لا نزاع فيها ذلك أن المؤيدين، والمعارضين للتفسير العلمي كلهم يقرون ويعترفون بأن القرآن لم ولن يصادم أي حقيقة علمية.

٢- الإعجاز العلمي في القرآن متحقق مدرك ثابت لا خلاف فيه على خلاف التفسير العلمي الذي لا يزال حتى وقتنا الحالي محط خلاف بين العلماء.

أما الفرق بين التفسير العلمي والإعجاز العلمي فقد عرفته بأنه: اجتهاد المفسر في كشف الصلة بين آيات القرآن الكونية ومكتشفات العلم التجريبي على وجه يظهر به إعجاز القرآن، ويدل على مصدره وصلاحيته لكل زمان ومكان.

أما الإعجاز العلمي فهو: سبق القرآن الكريم بالإشارة إلى حقائق علمية ثابتة أثبتتها العلم التجريبي الحديث قبل اكتشافه لها بقرون عديدة، وبالنظر في هذين التعريفين نجد الفوارق التالية بينهما:

١- التفسير العلمي مدخل للوصول إلى الإعجاز العلمي، وما يشترط لصحة التفسير العلمي يشترط لصحة الإعجاز العلمي.^(٢)

٢- التفسير العلمي يأخذ بالفروض والنظريات العلمية التي يمكن أن تتغير بعد ثبات وتتقوض بعد رسوخ، أما الإعجاز العلمي فلا يأخذ إلا الحقائق قطعية الثبوت ولا يخوض في نظريات العلوم وفروضه التي تبقى عرضة للزلل مهما تقدمت هذه العلوم فهذه النظريات لا تطبق على الآيات لإثبات الإعجاز العلمي فيها حتى لو اتفقت مع ظاهرها وإنما يطبق منها ما يكون قد اجتاز دور النظريات وصار حقيقة لا شك فيها.^(٣)

(١) ينظر: السّقاء، مرهف عبد الجبار، التفسير العلمي والإعجاز العلمي في القرآن الكريم، ص ٩٧-٩٨.

المصلح، عبد الله، الإعجاز العلمي في القرآن والسنة تاريخه وضوابطه، ص ٤٢-٤٣.

(٢) ينظر: الرومي، فهد، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، ج ٢، ص ٥٤٩، الذهبي، محمد، التفسير والمفسرون، ج ١، ص ١٠٩.

(٣) ينظر: الرومي، فهد، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، ج ٢، ص ٧٥١.

٣- التفسير العلمي يدخله الاجتهاد في العلوم المستخدمة فيه، وقد تكون سبباً في الوقوع بالخطأ في تفسير الآيات وفهمها ولا شك أن المجتهد يمكن أن يخطئ ويصيب، فقد يتم الربط بين النص القرآني ونظريات علمية خاطئة تتجدد مع مرور الزمن وهذا إسراف وإخراج للنص القرآني عن مقصده الذي نزل من أجله وتحييد له عن هدفه الذي رمى إليه.

٤- التفسير العلمي قد يكون مدعاة للزلل وتجاوز الحدود التي تحتملها ألفاظ القرآن وذلك لأخذه بفروض العلوم ونظرياته القابلة للتغيير والتعديل والتطوير، بينما إعجاز القرآن ثابت وغني عن أن يسلك في بيانه نظريات العلوم وفروضه

٥- الإعجاز العلمي هو ثمرة التفسير العلمي ونتيجته (١).

(١) ينظر: الرومي، فهد، دراسات في علوم القرآن، ط٢، ١٤٢٤هـ، ج١، ٢٩٦ص.

الفصل الثّاني

المجيزون للإعجاز العلمي في القرآن الكريم وأدلتهم

المبحث الأول: أبرز المجيزين للإعجاز العلمي في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: تأصيل منهج الإعجاز العلمي عند العلماء وأهميته

وتوظيفه في فهم النصّ القرآني.

المبحث الأول

أبرز المجيزين للإعجاز العلمي في القرآن الكريم

المطلب الأول: أبرز العلماء القدماء المجيزين للإعجاز العلمي في القرآن الكريم

توسع معظم العلماء القدماء في إظهارهم للإعجاز العلمي، وكانت فكرتهم الأساسية إبراز الجانب الإعجازي للقرآن الكريم، واعتقد المؤيدون أن القرآن الكريم قد حوى جميع العلوم دون استثناء، فأضافوا للقرآن الكريم كل العلوم ولم يتركوا صغيرة ولا كبيرة من جزئيات العلوم إلا جعلوها في القرآن الكريم ونسبوها إليه، وسنعرض في هذا المطلب لأبرز العلماء القدماء المؤيدين للإعجاز العلمي.

أولاً: أبو حامد الغزالي (-٥٠٥هـ/١١١١م)

يعتبر الغزالي من أوائل العلماء الذين قرروا احتواء القرآن الكريم على كافة أنواع العلوم واصفاً إياه بالبحر المحيط الذي ينطوي على أصناف الجواهر والنفائس ومنه تتشعب علوم الأولين والآخرين^(١).

واستطرد في ذكر الكثير من العلوم التي أضافها للقرآن الكريم كعلم الطب والنجوم وهيئة العالم وهيئة بدن الحيوان وتشريح أعضائه وعلم السحر. وأشار إلى أن وراء هذه العلوم علوم أخرى بعضها لم تخرج إلى الوجود، وفي قدرة الإنسان الوصول إليها وبعضها الآخر خرج للوجود واندرس، وعلوم ليس في قدرة البشر إدراكها والإحاطة بها، وهذه العلوم جميعها مغترفة من بحر واحد من بحار معرفة الله تعالى وهو بحر الأفعال.

وذكر الكثير من أفعال الله والآيات الدالة على العلوم الكونية، وأن هذه الآيات لا يتمكن من فهمها إلا من عرف العلوم المرتبطة بها كعلم الطب والتشريح وهيئات تركيب السماوات والأرض. وفي القرآن الكريم مجامع علم الأولين والآخرين وجملة أوائله داعياً إلى التفكير في القرآن للتوصل من جملته إلى تفصيله فهو البحر الذي لا شاطئ له^(٢).

ودعا الغزالي إلى تدبر القرآن الكريم من خلال دراسة العلوم التي يتضمنها القرآن الكريم وعدم الاكتفاء بتفسير القرآن الكريم بظاهر اللفظ كما جاء في كتابه إحياء علوم الدين "من أراد العلم فليثور القرآن فإن فيه علم الأولين والآخرين"^(٣)، وذلك لا يحصل بمجرد تفسير الظاهر وبالجمل

(١) ينظر: الغزالي، جواهر القرآن، ج ١، ص ٢١.

(٢) ينظر: المرجع السابق، ج ١، ص ٤٤-٤٧.

(٣) سبق تخريجه، ص ٤٨.

فالعلوم كلها داخلية في أفعال الله عز وجل وصفاته وفي القرآن شرح ذاته وأفعاله وصفاته، وهذه العلوم لا نهاية لها وفي القرآن إشارة إلى مجامعها^(١).

كما اتجه الغزالي اتجاهاً صوفياً حيث ربط ظهور العلوم في القرآن الكريم بالذات الإلهية، وجعل الطريق إلى إدراك أسرار القرآن غزارة العلوم وصفاء القلوب^(٢).

ثانياً: الفخر الرازي (-٦٠٦هـ/١٢٠٩م)

آمن الرازي بأن الحكمة القرآنية أسمى وأسلم من جميع الطرائق الكلامية والمذاهب الفلسفية، وقد نادى بفكرته هذه متحدياً بها أهل المعارف الطبيعية والعلوم الفلسفية، فكانت طريقته المثلى في نظره لإدراك أسرار القرآن الحكيم، وبث ما تضمنه القرآن الكريم من مطالب فلسفية ومعارف طبيعية، إنما هي طريقته الكلامية المختارة المتبعة لمنهج الغزالي وأبي بكر الباقلاني.

وناشد نفسه والناس أن يغوصوا في مضامين القرآن ليستنبطوا منها معانٍ يستطيعوا أن يغترفوا منها حكمة صافية هي روح الهداية التي جاء بها القرآن لينير العقول ويشرح الصدور.

وصنف كتاباً في تفسير سورة الفاتحة استهله بمقدمات ذات خطط منهجية تنتهي إلى إثبات

أنه لا عجب في أن يستنبط مسائل كثيرة من ألفاظ قليلة، فأخذ مثلاً قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]. وبين أن الوجود ليس محصوراً في العالم الذي ضببطت أحواله المخاوف الإنسانية، لأن الخلاء الذي لا نهاية له خارج هذا العالم صالح لأن يشتمل على الآلاف من العوالم الأخرى، وأن يحصل في كل واحد من تلك العوالم مثل ما حصل في عالمنا هذا وأعظم وأجسم من ذلك، وأن الإنسان لو ترك تلك العوالم واقتصر على أن يحيط علمه من هذا العالم فقط بعجائب المعادن، وأن يعرف عجائب النبات والحيوان لنفد عمره في أقل القليل من هذه المطالب فلا ينتهي إلى غورها، مع أن ذلك كله بعض قليل مما يندرج تحت قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]. ثم تناول تفسير سورة الفاتحة مبتدئاً بتفسير الاستعاذة والبسملة ومتتبعاً السورة بالتحليل وتقليب الأوجه وبيان معاهد المعاني وطرق استنباطها حتى أخرج في تفسيرها كتاباً كاملاً. ثم شرع بتأليف كتب أخرى لتفسير باقي السور جاعلاً لكل سورة كتاباً مستقلاً على ترتيب المصحف الشريف، وسائراً على نفس المنهج الذي اتبعه في تفسير سورة الفاتحة^(٣).

(١) الغزالي: إحياء علوم الدين، ج ١، ص ٢٨٩.

(٢) ينظر: شلبي، هند، التفسير العلمي للقرآن الكريم بين النظريات والتطبيقات، تونس، رفع المساهم، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م، ص ٤٥.

(٣) ينظر: عاشور، محمد الفاضل، التفسير ورجاله، القاهرة، مجمع البحوث العلمية في الأزهر، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م، ص ٧٢-٧٥.

وقد ردّ الإمام الرازي على من اعترض عليه لإيراده في تفسيره ما أورده من مسائل العلم وقضايا الكون، وعرض بأصحاب التفاسير الأخرى وردّ عليهم ^(١) بقوله: "وربما جاء بعض الجهال والحمقى ^(٢)، وقال إنك أكثرت في تفسير كتاب الله من علم الهيئة والنجوم، وذلك على خلاف المعتاد! فيقال لهذا المسكين: إنك لو تأملت في كتاب الله حق التأمل لعرفت فساد ما ذكرته... إن الله تعالى ملأ كتابه من الاستدلال على العلم والقدرة والحكمة بأحوال السماوات والأرض وتعاقب الليل والنهار، وكيفية أحوال الضياء والظلام، وأحوال الشمس والقمر والنجوم، وذكر هذه الأمثلة في أكثر السور وكررها وأعادها مرة بعد أخرى، فلو لم يكن البحث عنها والتأمل في أحوالها جائزاً لما ملأ الله كتابه منها" ^(٣).

وبين الرازي في تفسيره عجائب الخلق، ومدح المتفكرين فيها، وأن الناس في ذلك التفكر على درجتين: فمنهم من يكتفي بالاستدلال الإجمالي، ومنهم من يسمو إلى الاستدلال التفصيلي، وأن لكثرة الدلائل وتواليها أثراً في تقوية اليقين وإزالة الشبهات، وختم هذا البيان بقوله: "فإذا كان الأمر كذلك ظهر أنه تعالى إنما أنزل هذا الكتاب لهذه الفوائد والأسرار، لا لتكثير النحو الغريب والاشتقاقات الخالية من الفوائد والحكايات الفاسدة نسأل الله العون والعصمة" ^(٤).

وببيان هذا المنهج الذي سار عليه الرازي، يتضح أن إعجاز القرآن غير محصور في الإعجاز البلاغي، وأنه يتجلى في أوجه أخرى منها الإعجاز العلمي والبياني.

ثالثاً: ابن أبي الفضل المرسى ^(٥) (٦٥٥هـ/١٢٥٧م)

نقل عنه السيوطي في الإتيان قوله: "جمع القرآن علوم الأولين والآخرين بحيث لم يحط بها علماً حقيقةً إلا المتكلم بها ثم رسول الله خلا ما استأثر به سبحانه وتعالى ثم ورث ذلك عنه معظم سادات الصحابة وأعلامهم مثل الخلفاء الأربعة وابن مسعود وابن عباس حتى قال: لو ضاع لي

(٢) ينظر: عباس، فضل، إعجاز القرآن الكريم، د. م، د. ت، ص ٢٥٩، عاشور، محمد الفاضل، التفسير ورجاله، ص ٧٥.

(٢) الأولى عدم استخدام الكلمات الجارحة عند مخالفة الآخر.

(٣) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ج ٤، ص ٣٢٤.

(٤) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ج ١٤، ص ٢٧٤.

(٥) ابن أبي الفضل المرسى: محمد بن عبد الله بن محمد بن أبي الفضل السلمي المرسى، عالم بالأدب والتفسير والحديث، من كتبه: "التفسير الكبير" يزيد على عشرين جزءاً، و"التفسير الأوسط" عشرة أجزاء، و"التفسير الصغير" ثلاثة، و"الكافي" في النحو. توفي سنة ٦٥٥هـ/١٢٥٧م. الزركلي، خير الدين، الأعلام، ج ٦، ص ٢٣٣.

عقال بغير لوجدته في كتاب الله تعالى^(١)، ثم ورث عنهم التابعون بإحسان ثم تقاصرت الهمم وفترت العزائم وتضاءل أهل العلم وضعفوا عن حمل ما حمله الصحابة والتابعون من علومه وسائر فنونه^(٢).

كما نقل عنه السيوطي قوله باحتواء القرآن على علوم الطب والجدل والهيئة والهندسة والجبر والمقابلة، وفي القرآن أصول الطبائع وأسماء الآلات التي تدعو إليها الضرورة كالخياطة والحدادة والبناء والنجارة والغزل والنسج... وفيه من أسماء الآلات وضروب المأكولات والمشروبات والمنكوحات، وجميع ما وقع ويقع في الكائنات ما يحقق قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمُّ أَمْثَالِكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام، ٣٨]^(٣).

رابعاً: البيضاوي^(٤) (١٣٨٨هـ/١٣٨٨م)

صنف تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل، واستمدته من التفسير الكبير المسمى مفاتيح الغيب للفخر الرازي، واختصره من تفسير الكشاف للزمخشري، ولكنه ترك ما فيه من اعتزالات، وضمَّ لذلك بعض الآثار الواردة عن الصحابة والتابعين رضي الله عنهم^(٥).

وقد سرت إلى هذا التفسير نزعة علمية مستمدة من تفسير مفاتيح الغيب، فالبيضاوي لا يترك الآيات الكونية عندما تعرض له دون الخوض في مباحث الكون الضيق فنجد مثلاً في تفسير قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ [الصافات، ١٠]. يعرض لحقيقة الشهاب فيقول: الشهاب ما يرى كأن كوكباً انقضَّ ثم يرد على من يخالف ذلك فيقول: وما قيل إنه بخار يصعد إلى الأثير ثم يرتد فتخمين^(٦).

(١) بعد التحقيق والبحث عن هذا الأثر لم أجد أصلاً له.

(٢) السيوطي: الإتيان في علوم القرآن، ج ٤، ص ٣٠.

(٣) ينظر: المرجع السابق، ج ١، ص ٣٣-٣٦.

(٤) البيضاوي: عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي، أبو سعيد، أناصر الدين البيضاوي: قاض، مفسر، علامة. ولد في المدينة البيضاء. من تصانيفه: "أنوار التنزيل وأسرار التأويل" يعرف بتفسير البيضاوي، و"طوالع الأنوار" في التوحيد، و"منهاج الوصول إلى علم الأصول". الزركلي، خير الدين، الأعلام، ج ٤، ص ١١٠.

(٥) ينظر: البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر (٦٨٥هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد المرعشلي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط ١، ١٤١٨هـ، ج ١، ص ٨٣، اتجاهات التفسير في العصر الراهن، ص ٢٥٣.

(٦) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج ١، ص ١٣.

خامساً: السيوطي (٩١١هـ/١٥٠٥م)

عقد السيوطي باباً خاصاً في كتابه الإتقان في علوم القرآن تحت عنوان: العلوم المستنبطة من القرآن الكريم، حيث نقل فيه عن ابن أبي الفضل المرسي ما ذكره عن اشتغال القرآن على جميع ما وقع ويقع في الكائنات (١).

كما قرر السيوطي اشتغال القرآن على كافة أنواع العلوم في كتابه الإكليل في استنباط التنزيل ومما جاء فيه "أما أنواع العلوم فليس منها باب ولا مسألة هي أصل إلا وفي القرآن ما يدل عليها، وفيه عجائب المخلوقات وملكوت السماوات والأرض، وما في الأفق الأعلى وما تحت الثرى..." (٢) ونقل عن القاضي أبي بكر العربي (٣) قوله "علوم القرآن خمسون علماً وأربعمئة علم وسبعة آلاف علم وسبعون ألف علم على عدد كلم القرآن مضروبة في أربعة إذ لكل كلمة ظهر وبطن وحد ومطلع، وهذا مطلق دون اعتبار تركيبها وما بينها من روابط، وهذا لا يحصى ولا يعلمه إلا الله" (٤).

المطلب الثاني: أبرز العلماء المعاصرين المجيزين للإعجاز العلمي في القرآن الكريم

استمرت فكرة اشتغال القرآن الكريم على جميع العلوم حتى عصرنا الحالي، ولكن لم يبق إظهار الجانب الإعجازي للقرآن الهدف الأساسي للعلماء المعاصرين، وإنما أصبح هناك جانباً دفاعياً بعد التقدم العلمي الذي أحرزه الغرب في كافة مجالات العلوم يهدف إلى إثبات سبق القرآن الكريم بالإشارة إلى العلوم المكتشفة حديثاً، ورفع مسؤولية الانحطاط والتخلف التي آل إليها المسلمون عن القرآن الكريم بالإضافة إلى استنهاض همم المسلمين لمجاعة الغرب في تطورهم العلمي.

ومما جاء في مقدمة الجواهر في تفسير القرآن لطنطاوي جوهري الذي يعتبر أبرز المؤيدين للنزعة العلمية في تفسير القرآن وما يتبعها من إعجاز "وليكون هذا الكتاب داعياً إلى دراسة العوالم العلوية والسفلية، وليقوم من هذه الأمة من يفوقون الفرنجة في الزراعة والطب والمعادن والحساب

(١) المرجع السابق، ج ٤، ص ٣٦.

(٢) السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر جلال الدين (١١٨٩هـ)، الإكليل في استنباط التنزيل، تحقيق: سيف الدين الكاتب، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٤هـ/١٩٨١م، ج ١، ص ١٨.

(٣) أبو بكر العربي: محمد بن عبد الله بن محمد المعافري الإشبيلي المالكي، قاض، من حفاظ الحديث. ولد في إشبيلية سنة ٤٦٨هـ/١٠٧٦م، وصنف كتباً في الحديث والفقه والأصول والتفسير والأدب والتاريخ منها: "أحكام القرآن"، و"الناسخ والمنسوخ"، "قانون التأويل". الزركلي، خير الدين، الأعلام، ج ٦، ص ٢٣٠.

(٤) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج ٤، ص ٣٧.

والهندسة والفلك، وغيرها من العلوم والصناعات وكيف لا؟ وفي القرآن من آيات العلوم ما يربو على سبعمائة وخمسين آية، وستكون من أهم أسباب رقي المستضعفين في الأرض^(١).

وقد أضاف المعاصرون كثيراً مما دعا له القدماء، وقد دعا إلى ذلك تطور العلم الأمر الذي يتأكد معه خاصيتان للقرآن هما: بقاءه على مرّ العصور، وعمومه لكافة البشر^(٢).

وفي هذا المبحث سيتم عرض أبرز العلماء المعاصرين المؤيدين للإعجاز العلمي للقرآن الكريم، ومن أوائلهم سبقاً في هذا المجال:

أولاً: طنطاوي جوهري (-١٣٥٨هـ/١٩٤٠م)

يعتبر طنطاوي جوهري من أوائل من قال بالإعجاز العلمي للقرآن من العلماء المعاصرين، فقد صنف تفسيراً أسماه (الجواهر في تفسير القرآن الكريم) المشتمل على عجائب المكنونات وغرائب الآيات الباهرات) وهو يقع في خمسة وعشرين جزءاً، حاول فيها تفسير القرآن الكريم تفسيراً يتجاوب مع روح العصر وما وصلت إليه المعارف الإنسانية في مجال دراسات الكون وما فيه من أجرام سماوية، ومن عوالم الجمادات والأحياء ومن الظواهر الكونية التي تصاحبها والسنن الإلهية التي تحكمها، وقد وضع في هذا التفسير غرائب العلوم وعجائب الخلق، ومما جاء فيه "لقد وضعت في هذا التفسير ما يحتاجه المسلم من الأحكام والأخلاق وعجائب الكون، وأثبت فيه غرائب العلوم وعجائب الخلق، مما يشوق المسلمين والمسلمات إلى الوقوف على حقائق معاني الآيات البيّنات في الحيوان والنبات والأرض والسموات"^(٣).

وقد جمع الطنطاوي في تفسيره من العلوم والمعارف من العلوم ما أخرجه عن كونه كتاب تفسير، كما أسهب في بيان الكثير من العلوم المختلفة التي تشير إليها الآيات الكونية، حتى أنه رسم فيه صوراً متنوعة من النباتات والأعشاب والحيوانات والطيور، بالإضافة إلى بعض القواعد والعلاقات الرياضية، فنجده مثلاً في تفسيره لقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٩]. يفسرها تفسيراً لفظياً مختصراً، ثم يتحدث عما توصل إليه العلم بأن الأرض هي مركز العالم، وباقي الكواكب سيارات حولها، كما يسهب بالحديث عن دوران الكواكب حول الشمس وحول

(١) جوهري، طنطاوي، الجواهر في تفسير القرآن الكريم، ج ١، ص ٣٠.

(٢) شلبي، هند، التفسير العلمي للقرآن الكريم بين النظريات والتطبيق، ص ٥١.

(٣) جوهري، طنطاوي، الجواهر في تفسير القرآن الكريم، ج ١، ص ٣٠.

نفسها، ويذكر مدة دوران كل كوكب على حدى، ثم يضع القاعدة الرياضية التي تحسب بعد هذه الكواكب عن الشمس ويطبقها على كواكب المجموعة الشمسية^(١).

وكثيراً ما يقارن طنطاوي جوهري بين عناية العلماء بالفقه وآيات الفقه وعدم اهتمامهم بالعلوم الكونية ويتساءل: " لماذا ألف علماء الإسلام عشرات الألوف من الكتب في علم الفقه، وعلم الفقه ليس له في القرآن الكريم إلا آيات قلائل لا تصل إلى مائة وخمسين آية؟ فلماذا كثر التأليف في علم الفقه، وقل جداً في علوم الكائنات التي لا تخلو منها سورة؛ بل هي تبلغ ٧٥٠ آية صريحة؟ وهناك آيات أخرى دلالتها تقرب من الصراحة، فهل يجوز في عقل أو شرع أن يبرع المسلمون في علم آياته قليلة، ويجهلون علماً آياته كثيرة جداً؟"^(٢)

ولذا نجده في مطلع تفسيره يتوجه بنداء إلى المسلمين يقول فيه: "يا أمة الإسلام، آيات معدودات في الفرائض - يقصد آيات الميراث - اجتذبت فرعاً من علم الرياضيات، فما بالكم أيها الناس بسبعمائة آية فيها عجائب الدنيا كلها... هذا زمان العلوم، وهذا زمان ظهور الإسلام... هذا زمان رقيه، يا ليت شعري، لماذا لا نعمل في آيات العلوم الكونية ما فعله آباؤنا في علوم الميراث؟"^(٣)

وقد كان منهجه قائماً على تفسير الآيات القرآنية تفسيراً مختصراً لا يكاد يخرج عما في كتب التفسير المألوفة والمتداولة بين أيدينا، ولكنه سرعان ما يخلص من هذا التفسير الذي يسميه لفظياً، ويدخل في أبحاث علمية مستفيضة يسميها هو لطائف أو جواهر... هذه الأبحاث عبارة عن مجموعة كبيرة من أفكار علماء الشرق والغرب في العصر الحديث التي أتى بها المؤلف ليبين للمسلمين ولغير المسلمين أن القرآن الكريم قد سبق إلى هذه الأبحاث، ونبه لتلك العلوم قبل أن يصل إليها هؤلاء العلوم بقرون متطاولة^(٤).

ولم يكتف الشيخ طنطاوي جوهري في تفسيره بتتبع الآيات واستنتاج معانيها وفق ما ارتأه فيها من إشارات إلى مختلف الدراسات الحديثة؛ بل إنه قد استعان في هذا التفسير من صور النباتات والحيوانات والظواهر الكونية، والوسائل التجريبية، كما استخدم الآراء الفلسفية عند مختلف المدارس الفكرية وكذلك الأرقام العددية. وقد ملأ تفسيره الضخم بمئات المسائل العلمية التي تتحدث عن مظاهر الكون حديث الكيمياء والطبيعي والفلكي والجغرافي والنباتي، وقد انتهز كل كلمة

(١) ينظر: جوهري، طنطاوي، الجواهر في تفسير القرآن الكريم، ج ١، ص ٤٦-٤٨.

(٢) ينظر: المرجع السابق، ج ٢٥، ص ٥٥.

(٣) ينظر: المرجع السابق، ج ٢٥، ص ٥٥.

(٤) الذهبي، محمد، التفسير والمفسرون، ج ٢، ص ٣٧٣.

عابرة كالرعد والأرض والنمل والنحل ليغوص في دقائق علمية تفصيلية دون أن تدعو إليها حاجة التفسير المعقول لكتاب الله^(١).

ومن مصنفاته الأخرى: القرآن والعلوم العصرية، التاج المرصع بجواهر القرآن والعلوم، ميزان الجواهر في عجائب هذا الكون الباهر، نهضة الأمم وحياتها، نظام العالم والأمم، والنظام الإسلامي.

ثانياً: عبد الرزاق نوفل^(٢) (١٤٠٤هـ/١٩٨٤م)

سار على نهج طنطاوي جوهري في مؤلفاته الكثيرة ومنها: الله والعلم الحديث، الإسلام والعلم الحديث، القرآن والعلم الحديث، وبين الدين والعلم.

وقد تحدث عن الإعجاز العلمي في معظم مؤلفاته، ومما جاء في كتابه القرآن والعلم الحديث أن التقدم الفكري في العلوم في العصر الحديث أثبت أن القرآن الكريم كتاب علم، قد جمع كل أصول العلوم والحكمة، وكل مستحدث من العلم نجد أن القرآن قد وجه إليه النظر أو الإشارة^(٣). فقد ضمن كتابه القرآن والعلم الحديث فصلاً عن إعجاز القرآن الكريم ربط فيه بين آيات القرآن الكريم العلمية، وبين حقائق العلم الحديث في محاولة منه لإثبات معجزة القرآن الكريم العلمية الأمر الذي يراه ضرورياً لمحاربة الإلحاد، وتثبيت عقيدة الإيمان في النفوس، ونشر الدعوة الإسلامية^(٤).

كما حاول جاهداً التسوية لنزعة العلمية في تفسير بعض آيات القرآن الكريم، ومناقشة بعض المعارضين والمعتدلين المانعين والمنكرين لهذا الاتجاه في كتابه بين العلم والدين، ومما جاء في رده عليهم "وقد يكون لبعض الحق إذا ما كان يدعو إليه هو التفسير بنظريات علمية... ولكن لم يتجه أي إنسان مخلص في دعوته إلى النظريات العلمية بل إلى الحقيقة العلمية، والفارق بين النظرية العلمية والحقيقة العلمية كبير وكبير جداً، إذ أن النظرية العلمية هي ما لم يتم الدليل على

(١) ينظر: عباس، فضل، التفسير والمفسرون أساسياته واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث، عمان، دار النفائس، ط١، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م، ج١، ص٥٩٤.

(٢) عبد الرزاق نوفل: كاتب إسلامي ولد في قرية النصرية في دمايط ١٩١٧م. وحصل على شهادة البكالوريوس في الزراعة عام ١٩٣٨م، وكانت له مساهمات فكرية ودعوية إسلامية من أول كتبه "الله والعلم الحديث" وظل يكتبه وينقحه ١٨ عاماً، وهو أول كتاب يصدر للربط بين الدين والعلم الحديث، وترجم لمعظم اللغات، وله عدد من المؤلفات منها: "القرآن والعلم الحديث"، و"الإعجاز العددي للقرآن الكريم"، و"الطريق إلى الله". www.wikipedia.org

(٣) ينظر: نوفل، عبد الرزاق، القرآن والعلم الحديث، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ص٢٦، الرومي، فهد، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، ج٢، ص٥٧٢، المحتسب، عبد المجيد، اتجاهات التفسير في العصر الراهن، ص٢٨٧.

(٤) ينظر: نوفل، عبد الرزاق، القرآن والعلم الحديث، ص٤.

صحتها بدرجة تجعلها حقيقة غير قابلة للتطور أو التغيير أو التعديل... فإذا فسرنا الآيات الشريفة الواردة في القرآن الكريم والتي تشير إلى كروية الأرض قبل أن يصل العلم إلى ذلك بعشرات السنين أكون هناك خوف على هذه الآيات؟ ونكون قد عرضناها لنظريات متغيرة؟ ثم هذه الأوجه في الآية الواحدة... والتي وصل المفسرون إلى ما يقرب من عشرة أوجه فيها... ماضراً لو زادت وجهاً علمياً مؤكداً^(١).

ويرى أن إعجاز القرآن العلمي يظهر بجلاء أكثر إذا ما درست آيات الموضوع الواحد وربطت ببعضها، وفسر بعضها بعضاً، ثم يتم التعليق عليها بما أوضحه العلم، كما يرى أنه لا يوجد تعارض بين الدين والعلم إطلاقاً، وأن ازدهار الدين وانتشاره إنما يعم ويتسع في عصور العلم^(٢).

ثالثاً: محمد عبده^(٣) (- ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م)

ألّف تفسيره المشهور لجزء عمّ وتفسير سورة العصر، بالإضافة إلى دروسه التي ألقاها في الأزهر والتي قام محمد رشيد رضا بجمعها في تفسير المنار.

ويرى عبده أن القرآن يشتمل على الكثير من المسائل العلمية والتاريخية، وقد كان مذهبه في جميع مبهمات القرآن يقف على النص القطعي لا يتعدها، ويثبت أن الفائدة لا تقوم على سواه، وعند تتبع أقواله في مبهمات القرآن نجده محافظاً على هذا المبدأ لا يعدل عنه ولا يحيد إلا في مواضع قليلة ونادرة^(٤). وقد كان محمد عبده من مؤسسي المدرسة العقلية الاجتماعية الحديثة، وهو يرى وفقاً لنزعة العقلية المتحررة في التفسير أن إعجاز القرآن يعجز الزمان عن إبطال شيء منه، وأنه موافق لما تجدد من العلم الحق والتشريع للعدل وغير مخالف له^(٥).

رابعاً: محمد جمال الدين القاسمي^(٦) (- ١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م)

لقد كان محمد جمال الدين القاسمي من المعجبين بمحمد عبده ذي النزعة العقلية المتحررة في التفسير، لذلك سرت النزعة العلمية إلى تفسيره (محاسن التأويل)، ففي مقدمته التي ذكر فيها

(١) نوفل، عبد الرزاق، بين الدين والعلم، ص ١٤٥.

(٢) المحتسب، عبد المجيد، اتجاهات التفسير في العصر الراهن، ص ٢٩١.

(٣) محمد عبده: محمد عبده بن حسن خير الله، من آل التركمان: مفتي الديار المصرية، ومن كبار رجال الإصلاح والتجديد في الإسلام، من كتبه: "تفسير القرآن الكريم"، و"رسالة التوحيد". الزركلي، خير الدين، الأعلام، ج ٦، ص ٢٥٢.

(٤) ينظر: المحتسب، عبد المجيد، اتجاهات التفسير في العصر الراهن، ص ٢٦٦.

(٥) الذهبي، محمد، التفسير والمفسرون، ج ٢، ص ٤١١.

(٦) محمد جمال الدين القاسمي: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق، ولد في دمشق سنة ١٢٨٣هـ/ ١٨٦٦م، وهو إمام الشام في عصره، ومن كتبه محاسن التأويل، كما نشر بحثاً كثيرة في المجالات والصحف منها: "الفتوى في الإسلام"، و"إرشاد الخلق إلى العمل بخبر البرق" و"موعظة المؤمنين" اختصر به إحياء علوم الدين للغزالي، توفي سنة ١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م. الزركلي، خير الدين، الأعلام، ج ٢، ص ١٣٤.

قواعد التفسير عقد فصلاً في بيان دقائق المسائل العلمية الفلكية الواردة في القرآن الكريم معتبراً هذه المسائل دليلاً على إعجاز القرآن العلمي، وفي هذا الفصل نقل أقوال بعض العلماء، ومما جاء فيه "إن القرآن الكريم قد أتى في هذا الباب بمسائل علمية دقيقة لم تكن معروفة في زمن النبي، وهذه المسائل تعتبر من معجزات القرآن العلمية الخالدة" (١).

وجاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمُّ أَمْثَلِكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٨]. قوله بأن الناس قد جاؤوا في تفسيرها ما يوافق علومهم، حتى إذا كشف العلم الصحيح عن حقائق الأشياء علمنا أنهم كانوا واهمين، وفهمنا معناها الصحيح، فكأن هذه الآيات جعلت في القرآن معجزات للمتأخرين تظهر لهم كلما تقدمت علومهم (٢).

وقد لخص القاسمي هذه المسائل العلمية الدقيقة كالتالي:

المسألة الأولى: الأرض كباقي الكواكب السيارة قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢]. كما أنها والسماء من مادة واحدة قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٠]. وهي تدور حول الشمس قال تعالى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْتَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ٨٨].

المسألة الثانية: في السماوات حيوانات عاقلة كالإنسان لا كما يزعم القدماء أنها أجرام فارغة خلقت ليتلذذ الإنسان بمنظرها، قال تعالى: ﴿سُبْحٌ لَّهُ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٤]. وقال تعالى: ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩].

(١) الرومي، فهد، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، ج ٢، ص ٥٦٨، القاسمي، محمد جمال - (١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م)، محاسن التأويل، تحقيق: محمد عيون السود، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٨هـ، ج ١، ص ٢١٠.

(٢) ينظر: الرومي، فهد، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، ج ٢، ص ٥٦٩، القاسمي، محمد جمال الدين، محاسن التأويل، ج ١، ص ٢١٣.

المسألة الثالثة: الكواكب غير مضيئة وتستمد نورها من الشمس، قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ

فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا﴾ [نوح: ١٦].

المسألة الرابعة: السماوات والسيارات السبع ^(١) شيء والشمس والقمر شيء آخر فهما ليسا من السيارات كما كان يعتقد القدماء قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ١٣].

المسألة الخامسة: العوالم متعددة وليست عالماً واحداً قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢].

المسألة السادسة: جميع العوالم بينها من الارتباط العام والتجاذب مسخرة بعضها لبعض بالنفع الكلي أو الجزئي قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ١٣].

المسألة السابعة: الكواكب جميعها سابحة في الفضاء، ولكل كوكب فلك يجري فيه وحده، ولكل منها حركة ذاتية قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٣].

المسألة الثامنة: الكون كالجسم الواحد الكبير محكم البناء لا خلل فيه قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوتٍ فَأَرْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ [الملك: ٣].
وقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ [لق: ٦] ^(٢).

(١) كواكب المجموعة الشمسية هي ثمانية كواكب، وأسمائها من الأقرب إلى الشمس إلى الأبعد عنها؛ عطارد، والزهرة، والأرض، والمريخ، والمشتري، وزحل، وأورانوس، ونبتون. تم استبعاد بلوتو والأجرام الأخرى المكتشفة حديثاً من قائمة الكواكب لعدم استيفائها الشرط الأخير وهو قدرة الكوكب على تخليص محيط مداره من الصخور والأجرام الصغيرة، ثم وُضع تصنيف جديد لهذه الأجرام، وأصبحت تُسمى الكواكب القزمة.

(٢) ينظر: القاسمي، محمد جمال الدين، محاسن التأويل، ج ١، ص ٢١٠-٢١٣.

المسألة التاسعة: إن الماء الذي نشربه ونسقي به الأرض هو من الأمطار الناشئة من السحاب، والسحاب هو بخار من بخار هذه الأرض أي السحاب من الأرض وهذا عين قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾ [لق: ٩] ^(١).

ويظهر لنا من خلال تفسير القاسمي اهتمامه بالمسائل العلمية وبالآيات ذات المضامين العلمية، ولكنه مع ذلك لم يتحدث عن جميع الآيات التي فيها إشارات إلى العلم، ويظهر اهتمامه من خلال نقله عن بعض علماء الفلك، ومن ذلك نقله عنه عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة، ٢٢]، حيث قال في معنى الآية: أي كالبنيان يشد بعضه بعضاً فجميع السماوات أو الكواكب كالبناء المرتبط ببعضه ببعض من كل جهة، المتماسك كأجزاء الجسم الواحد بالجاذبية التي تحفظ نظامها في مداراتها، وهو جذب الشمس لها ^(٢).

خامساً: محمد الطاهر بن عاشور ^(٣) (١٣٩٣هـ/١٩٧٣م)

يعتبر ابن عاشور من المفسرين المعاصرين المؤيدين للتفسير العلمي وما ينتج عنه من إعجاز علمي، وقد تناول ابن عاشور إعجاز القرآن الكريم في تفسيره بعناية ظاهرة، وذلك لأن أحد أغراض تفسيره إبراز إعجاز القرآن، وكتب مقدمة مستقلة عن الإعجاز وهي المقدمة العاشرة من تفسيره التحرير والتنوير تناول فيها جملة من مباحث الإعجاز، ومما جاء في هذه المقدمة أن إعجاز القرآن الكريم يرجع إلى ثلاث جهات وهي:

الجهة الأولى: بلوغه الغاية القصوى مما يمكن أن يبلغه الكلام العربي البليغ من حصول كفايات في نظمه مفيدة معاني دقيقة ونكتا من أغراض الخاصة من بلغاء العرب مما لا يفيد أصل وضع اللغة، بحيث يكثر فيه ذلك كثرة لا يدانيها شيء من كلام البلغاء من شعرائهم وخطبائهم ^(٤).

(١) ينظر: القاسمي، محمد جمال الدين، محاسن التأويل، ج ١، ص ٢١٠-٢١٣.

(٢) ينظر: عباس، فضل، التفسير والمفسرون أساسياته واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث، ج ٢، ص ٤٨١، القاسمي، محمد جمال الدين، محاسن التأويل، ج ١، ص ٢٦٦.

(٣) محمد الطاهر بن عاشور: رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس، ولد في تونس سنة ١٢٩٦هـ/١٨٧٩م، وتوفي سنة ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م. له مصنفات مطبوعة من أشهرها: "مقاصد الشريعة الإسلامية"، و"أصول النظام الاجتماعي في الإسلام" و"التحرير والتنوير" في تفسير القرآن، صدر منه عشرة أجزاء. الزركلي، خير الدين، الأعلام، ج ٦، ص ١٧٤.

(٤) ينظر: عاشور، محمد الطاهر (١٣٩٣هـ)، التحرير والتنوير، تونس، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م، ج ١، ص ١٠٤.

الجهة الثانية: ما أبدعه القرآن من أفانين التصرف في نظم الكلام مما لم يكن معهودا في أساليب العرب، ولكنه غير خارج عما تسمح به اللغة.

الجهة الثالثة: ما أودع فيه من المعاني الحُكمية والإشارات إلى الحقائق العقلية والعلمية مما لم تبلغ إليه عقول البشر في عصر نزول القرآن وفي عصور بعده متفاوتة، وهذه الجهة أغفلها المتكلمون في إعجاز القرآن من علمائنا مثل أبي بكر الباقلاني^(١).

ويرى ابن عاشور أن إعجاز القرآن الكريم ليس فقط بلاغياً وإنما هناك وجوه أخرى له كالإعجاز التشريعي والعلمي كون معجزة القرآن الكريم مستمرة على تعاقب السنين وهي للبشرية كافة عربياً وأعجمياً "والقرآن معجز من هذه الجهة [الجهة الثالثة] للبشر قاطبة إعجازاً مستمراً على ممر العصور، وهذا من جملة ما شمله قول أئمة الدين: إن القرآن هو المعجزة المستمرة على تعاقب السنين لأنه قد يدرك إعجازه العقلاء من غير الأمة العربية بواسطة ترجمة معانيه التشريعية والحكمية والعلمية والأخلاقية، وهو دليل تفصيلي على تلك المعاني وإجمالي لمن تبلغه شهادتهم بذلك"^(٢).

يصنف ابن عاشور العلم إلى نوعين: علم اصطلاحي وعلم حقيقي فأما العلم الاصطلاحي فهو يتغير بتغير العصور ويختلف باختلاف الأمصار، وأما العلم الحقيقي فهو معرفة ما بمعرفته كمال الإنسان وما به يدرك الحقائق النافعة وكلا هذين النوعين كمال إنساني وبينهما عموم وخصوص^(٣).

كما يرى ابن عاشور أن إعجاز القرآن الكريم يظهر بإتيانه في كل نوع بما لم يأت به الناس في هذه العلوم، فأما اشتمال القرآن الكريم على أصول العلم الاصطلاحي فقد ذكره بقوله: "وقد اشتمل القرآن على النوعين، فأما النوع الأول فتناوله قريب لا يحتاج إلى كد فكر ولا يقتضي نظراً فإن مبلغ العلم عندهم يومئذ علوم أهل الكتاب ومعرفة الشرائع والأحكام وقصص الأنبياء والأمم وأخبار العالم، وقد أشار إلى هذا القرآن بقوله تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ ١٥٩ أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ

(١) ينظر: عاشور، محمد الطاهر (١٣٩٣هـ)، التحرير والتنوير، تونس، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م، ج ١، ص ١٠٤.

(٢) عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ج ١، ص ١٠٥.

(٣) البعداني، محمود، إعجاز القرآن الكريم عند الإمام ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط ١، ١٤٣٥هـ، ص ٣٢٥.

دَرَسْتِهِمْ لَعْنَلَيْتَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ مِّنْ أَظْلَمَ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجَرِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾ [الأنعام: ١٥٥-١٥٧]، وقال تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ ۖ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَٰذَا فَاصْبِرْ ۖ إِنَّ الْعُقُوبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود: ٤٩]، ونحو هذا من حاجة أهل الكتاب^(١).

وأما اشتغال القرآن الكريم على ما لم يأت به العرب من أصول العلم الحقيقي فذلك ذكره ابن عاشور في قوله: "وأما النوع الثاني من إعجازه العلمي فهو ينقسم إلى قسمين: قسم يكفي لإدراكه فهمه وسمعه، وقسم يحتاج إدراك وجه إعجازه إلى العلم بقواعد العلوم فينبليج للناس شيئاً فشيئاً انبلاج أضواء الفجر على حسب مبالغ الفهم وتطورات العلوم، وكلا القسمين دليل على أنه من عند الله لأنه جاء به أُمِّي في موضع لم يعالج أهله دقائق العلوم، والجائي به ثاوٍ بينهم لم يفارقهم. وقد أشار القرآن إلى هذه الجهة من الإعجاز بقوله تعالى: ﴿قُلْ فَأَتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿١٥٦﴾ فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٥٧﴾ [القصص: ٤٩-٥٠]، ثم إنه ما كان قصاره مشاركة أهل العلوم في علومهم الحاضرة، حتى ارتقى إلى ما لم يألوه وتجاوز ما درسوه وألفوه^(٢).

(١) عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ج ١، ص ١٢٦.

(٢) المرجع السابق، ص ١٢٧.

المبحث الثاني

تأصيل منهج الإعجاز العلمي عند العلماء وأهميته وتوظيفه في فهم النص القرآني

المطلب الأول: تأصيل منهج الإعجاز العلمي عند المجيزين

لقد خاض العلماء القدماء في الإعجاز العلمي للقرآن الكريم فأثبتوه وبينوا وجوهه، وتفاوتت درجة تأييدهم له بين متوسع ومعتدل، ليأتي بعدهم العلماء المعاصرون الذين أضافوا للقرآن الكريم ما غفل عنه القدماء، وذلك نتيجة لتطور العلوم الأمر الذي أدى إلى تبلور ونضوج فكرة الإعجاز العلمي عندهم أكثر من القدماء.

وقد نظر العلماء في القرآن الكريم ولاحظوا فيه: ذكر حقائق لم تكن معروفة زمن نزول القرآن اكتشافها العلم الحديث، واتفق فيها مع ما ذكره القرآن بشأنها، إضافةً إلى وجود كلمات في القرآن الكريم لا يمكن إدراك حقيقة المراد منها إلا على ضوء تطور العلوم^(١).

وقد دفعهم ذلك إلى إثبات سبق القرآن بالإشارة إلى الحقائق العلمية قبل اكتشافها من العلم الحديث بقرون متطاولة، وقد استندوا في ذلك إلى عدة أدلة ولعل أبرزها.

الدليل الأول: ما اعتمدوه من الأدلة النقلية من القرآن والسنة والأثر

ففي القرآن الكريم:

١- وردت بعض الآيات التي تدل على شموله: كقوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمُّ أَمْثَالِكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [النحل: ٨٩].

٢- وردت الكثير من الآيات التي تدعو إلى التدبر والنظر في الكون وفي المخلوقات وفي النفس الإنسانية كقوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ۖ وَالْأَرْضِ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ۖ تَبَصَّرَةٌ وَذَكَرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾ [لق: ٦-٨]. وقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۖ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۖ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۖ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [الغاشية، ١٧-٢٠]. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦].

(١) ينظر: شلبي، هند، التفسير العلمي للقرآن الكريم بين النظريات والتطبيقات، ص ٥٠.

وقوله تعالى: ﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [الذاريات: ٢١]. وقوله تعالى: ﴿ سَتَرْنَاهُمْ عَنْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت: ٥٣].

٣- وردت الكثير من الآيات التي تستدل على علم الله وحكمته وقدرته بظواهر كونية، ولو لم يكن البحث في هذه الظواهر مشروعاً ما كررها القرآن، ومن هذه الظواهر:

أ- تعاقب الليل والنهار وأحوال السماوات والأرض: كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [آل عمران: ١٩٠]. وقوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ [يونس: ٦٧]. وقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنۢ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾ [الفرقان، ٦٢]. وقوله تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ السِّنِّكُمْ وَالْوَلَدُكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الروم: ٢٢].

ب- أحوال الشمس والقمر والنجوم: كقوله تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِي إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [النحل: ١٢]. وقوله تعالى: ﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴾ [الرعد: ٢].

وفي السنة النبوية:

ما رواه علي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: أما إني قد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ألا إنها ستكون فتنة». فقلت: ما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: " كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي لم تنته الجن إذا سمعته حتى قالوا: ﴿ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ

نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿[الجن: ٢]﴾. من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم^(١).

وفي الأثر:

قول علي رضي الله عنه: لو شئت أن أقر على الفاتحة سبعين وقرأ لأمكنني ذلك^(٢)، وهو صحيح لجمعها سائر ما يتعلق بالموجودات دنيا وأخرى وأحكاماً وعقائد، وتفصيل كل ذلك وتوابعه على وجهها يستغرق العمر وزيادة (رواه البخاري) في أول كتاب تفسير القرآن وفي باب فاتحة الكتاب من كتاب فضائل القرآن^(٣)، وقول ابن مسعود رضي الله عنه: من أراد العلم فليثور القرآن فإن فيه علم الأولين والآخرين^(٤)، وقول ابن عباس رضي الله عنه: لو ضاع لي عقل بغير لوجدته في كتاب الله^(٥)، وقول بعض العلماء: لكل آية ستون ألف فهم، وما بقي من فهمها أكثر^(٦)، وقال آخرون: القرآن يحوي سبعة وسبعين ألف علم ومائتي علم، إذ لكل كلمة علم ثم يتضاعف ذلك أربعة أضعاف، إذ لكل كلمة ظاهر وباطن وحد ومطلع^(٧).

الدليل الثاني:

إن الأصل هو جواز التفسير بالرأي، والتفسير العلمي هو نوع من أنواع التفسير بالرأي حيث يجتهد فيه المفسر في بيان معنى الآية، وهو الذي فتح المجال أمام العلماء للاستنباط من القرآن كل بقدر فهمه وحد عقله^(٨).

(١) الترمذي، محمد بن عيسى الضحاك (-٢٧٩هـ)، سنن الترمذي، تحقيق: أحمد شاكر، ومحمد عبد الباقي، القاهرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط ٢، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م، ج ٥، ص ١٧٢، باب ما جاء في فضل القرآن الكريم، حديث رقم ٢٠٦٩.

(٢) الشافعي، محمد بن علي الشافعي (-١٠٧٥هـ)، دليل الفاتحين لطرق رياض الصالحين، بيروت، دار المعرفة، ط ٤، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، كتاب الفضائل، باب في الحث على سور، ج ٦، ص ٤٩٢، حديث رقم ٢١٠٩.

(٣) بعد التحقق والرجوع إلى المصدر المذكور لم أجده في صحيح البخاري في كتاب تفسير القرآن.

(٤) سبق تخريجه، ص ٤٨.

(٥) ينظر: ص ٥٦.

(٦) بعد التحقيق والبحث عن هذا الأثر لم أجد أصلاً له.

(٧) ابن حبان، محمد بن حبان التميمي (-٣٥٤هـ)، صحيح ابن حبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، باب: ذكر العلة التي من أجلها قال النبي ﷺ: "وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه"، ج ١، ص ٢٧٦، حديث رقم ٧٥.

(٨) ينظر: الشدي، عادل، التفسير العلمي التجريبي للقرآن الكريم، الرياض، مدار الوطن للنشر، ط ١، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، ص ٦٨، الغزالي، إحياء علوم الدين، ج ١، ص ٢٨٥.

وقد كانت هذه أبرز الأدلة التي استند إليها العلماء القدماء، أما المعاصرون فقد تأثروا بالأستاذ محمد عبده صاحب المدرسة العقلية في التفسير، وسواء كان هذا التأثير مباشراً أم غير مباشر فإن التقدم العلمي وما توصل إليه بدقة أدواته وأجهزته في كافة مجالات العلوم قد أسهم بشكل كبير في نضوج فكرة الإعجاز العلمي، ووضوح الصورة عندهم أكثر من العلماء القدماء. وكان معتمد المعاصرين هو ذاته معتمد الغزالي والسيوطي، ومن هذا حذوهم من القدماء، بالإضافة إلى الأدلة التالية:

الدليل الأول:

إن معجزة القرآن الكريم تكمن في أن يكون قد ادخر للبشرية من أوجه التحدي ما كان الله وحده يعلم أن البشرية ستصير إليه، يعني الاتجاه العلمي، كما أن ذكر الآيات الكونية والعلمية في القرآن دليلاً على إعجاز آخر فهو يومئ بذلك إلى أن الزمن متجه في سيره إلى الجهة العلمية القائمة على البحث والدليل. وقد استند أصحاب هذا الاتجاه إلى حديث الرسول ﷺ عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال النبي ﷺ: «ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحياً أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة»^(١). فالمناسبة بين كونه أوتي وحياً، وبين كونه يرجو أن يكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة لا تظهر إلا إذا كانت المعجزة صالحة لجميع الأزمان، حتى يكون الذين يهتدون بدينه لأجل معجزته أمماً كثيرة على اختلاف ألوانهم ومشاربهم، فيكون بذلك أكثر الأنبياء تابعاً لا محالة^(٢).

الدليل الثاني:

ينبغي ألا يكون إعجازه موقوفاً على فصحاء العرب، فإعجازه لا يقف عند حد، وتلك صفة المعجزة الكبرى الخالدة، ولئن كان قد أعجز فقهاء العرب بفصاحته وبلاغته وحكمته، إلا أن الإنسانية كلها مخاطبة به، ومطالبة بالتسليم له، والإنسانية أعجمياً أكثر من عريبها، فلا بد أن يتضح إعجازه لكل إنسان ولو كان أعجمياً لتلزمه الحجة الأمر الذي يؤكد وجود إعجاز في القرآن لا يعتمد على اللغة، وهو الإعجاز العلمي للقرآن^(٣).

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل الجعفي (٢٥٦هـ)، صحيح البخاري، تحقيق: محمد الناصر، د. م، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ، ج٦، ص ١٨٢، باب: كيف نزل الوحي، وأول ما نزل، رقم الحديث ٤٩٨١.

(٢) ينظر: عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ج١، ص ١٢٩.

(٣) ينظر: الغمراوي، محمد، الإسلام في عصر العلم، إعداد: أحمد الكرداني، د. م، مطبعة السعادة، ط١، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م، ص ٢٢٢، نخبه من العلماء الأمريكيين، الله يتجلى في عصر العلم، تعليق: محمد جمال الدين الفندي، بيروت، دار القلم، ص ١٦٩.

الدليل الثالث:

إن القرآن الكريم قد أتى بمسائل علمية دقيقة لم تكن معروفة في زمن النبي ﷺ ومازال العلم يكشف عن حقائقها عصاراً بعد عصر، كما وصف القرآن هذه المسائل بدقة علمية وسلامة لفظية لا مثيل لها في كتاب من الكتب، كقوله تعالى على سبيل المثال لا الحصر: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ [الواقعة: ٧٥-٧٦]، فقد اكتشف علماء الفلك أن المسافات بين النجوم تبلغ حد الخيال فمجموعات النجوم التي تكون أقرب مجرات السماء منا تبعد عنا بنحو ٧٠٠ ألف سنة ضوئية، والسنة الضوئية تعادل عشرة ملايين الملايين من الكيلومترات، فهي إذاً جديرة أن يقسم بها الله الخالق لعظمها (١).

والآية القرآنية حينما تأتي بقسم فهو من قبيل التنبيه إلى أهمية الأمر المقسوم به، فقد أقسم الله سبحانه وتعالى بمواقع النجوم ولم يقسم بالنجوم ذاتها، وقد ثبت علمياً أيضاً أن الإنسان فوق هذا الكوكب لا يرى النجوم وإنما يرى مواقع مرت بها هذه النجوم، وما يظهر في صفحة السماء نجوم انفجرت وتلاشت واندثرت ولازال الضوء الذي انبثق منها يتحرك إلينا (٢).

الدليل الرابع:

تنبؤ القرآن الكريم بالكثير من الحقائق العلمية التي ستجئ في المستقبل مما يبشر به العلم، أو لا ينكره، ومن هذه الحقائق العلمية على سبيل المثال: مصير المجموعة الشمسية قال تعالى: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾ [الدخان: ١٠]. وقال تعالى: ﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾ [الحاقة: ١٤]. وقال تعالى: ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ۖ وَخَفِيَ الْقَمَرُ ۝ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ [القيامة: ٧-٩].

فقد أكد علماء الفلك أن: الشمس كأى نجم آخر لا بد أن يعترها ازدياد مفاجئ في حرارتها، وحجمها، وإشعاعها بدرجة لا تصدقها العقول، وعند ذلك يتمدد سطحها الخارجي بما حوى من لهب ودخان حتى يصل القمر ويختل توازن المجموعة الشمسية كلها، وكل شمس في السماء لا بد أن تمر على مثل هذه الحالة قبل أن تحصل على اتزانها الدائم، ولم تمر شمسنا بالذات بهذا الدور بعد (٣).

(١) ينظر: نخبة من العلماء الأمريكيين، الله يتجلى في عصر العلم، تعليق: محمد جمال الدين الفندي، بيروت،

دار القلم، ص ١٦٩-١٧٠، القاسمي، محاسن التأويل، ج ١، ص ٢١٠.

(٢) النجار، زغلول، الإعجاز العلمي للقرآن الكريم، www.aljazeera.net.

(٣) ينظر: نخبة من العلماء الأمريكيين، الله يتجلى في عصر العلم، ص ١٧١.

الدليل الخامس:

لا بد من نشر أوجه الإعجاز العلمي في القرآن الكريم في جميع أنحاء العالم، لنظهر للعالم أن القرآن الكريم هو معجزة الدهر، فالإنسانية بحاجة إلى دين تخرج به من ورطتها بعد أن كادت تهلك حين نسيت الدين، والقرآن الكريم هو الكتاب الوحيد المهيمن على باقي الكتب السماوية، والذي بقي شامخاً ولم يطرأ عليه التغيير والتعديل بما احتواه من إعجاز علمي يتبين للناس منه على مر الدهور وجه لم يكن يتبين من قبل، فيكون هذا التجدد في الإعجاز العلمي هو تجديد للرسالة الإسلامية فكأنما رسول الله قائم في كل عقد يدعو الناس إلى دين الله مصداقاً لقوله تعالى: ﴿سَرُبِهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت، ٥٣] (١).

الدليل السادس:

إذا كانت الحقيقة العلمية تتفق تماماً مع الآية القرآنية، فما الذي يمنع عقلاً وشرعاً من تفسير الآية طبقاً لتلك الحقيقة العلمية القاطعة، ولا سيما أن العصر الذي نعيش فيه الآن عصر مادي ينبني كل شيء فيه على الملاحظة والنتيجة والتجربة، ولا يؤمن بغير لغة العلم وسيلة للتخاطب والإقناع (٢).

الدليل السابع:

إن الآيات الكونية لها مكانة خاصة في الدعوة إلى الله في هذا العصر عصر العلوم الكونية التي كشف الإنسان بها ما كشف من أسرار هذا الكون (٣).

الدليل الثامن:

إن أبحاث الإعجاز العلمي ضرورية لتقوية إيمان المسلمين، ودفعهم إلى اكتشاف أسرار الكون بدوافع إيمانية لعلها تعبر بهم مرحلة التخلف، وأن تكون هدفاً لتحقيق تقدم الأمة الإسلامية بالاهتمام بالعلم والدين معاً، مع السير بمنتهى الجدية والتعاون لنشر الدين الإسلامي الذي سيملاً الفراغ الروحي السائد في العالم المادي (٤)، وهو ما دعا إليه طنطاوي جوهرى بقوله: "وليكونن هذا

(١) ينظر: حسب النبي، منصور، الكون والإعجاز العلمي، القاهرة، دار الفكر العربي، ط ٢، ١٩٩١م، ص ٢١٧-

ص ٢١٨، الغمراوي، محمد، الإسلام في عصر العلم، ص ٢٢٢.

(٢) ينظر: حسب النبي، منصور، الكون والإعجاز العلمي، ص ٨.

(٣) ينظر: الغمراوي، محمد، الإسلام في عصر العلم، ص ٢٧٣.

(٤) ينظر: حسب النبي، منصور، الكون والإعجاز العلمي، ص ٨.

الكتاب داعياً إلى دراسة العوالم العلوية والسفلية، وليقوم من هذه الأمة من يفوقون الفرنجة في الزراعة والطب والمعادن والحساب والهندسة والفلك، وغيرها من العلوم والصناعات وكيف لا؟ وفي القرآن من آيات العلوم ما يربو على سبعمائة وخمسين آية، وستكون من أهم أسباب رقي المستضعفين في الأرض^(١).

الدليل التاسع:

الرد على الملحد، فالإعجاز العلمي يعجز الإلحاد أن يجد موضعاً للتشكيك فيه إلا أن يتبرأ من العقل، فالحقيقة العلمية التي لم تعرفها الإنسانية إلا في القرن التاسع عشر أو العشرين، والتي ذكرها القرآن الكريم لا بد أن تقوم عند كل ذي عقل دليلاً محسوساً على أن خالق هذه الحقيقة هو منزل القرآن^(٢).

المطلب الثاني: أهمية الإعجاز العلمي وتوظيفه في فهم النص القرآني

إن القرآن الكريم كلام الله عز وجل، وهو منشئ الكون وخالقه، وكل ما جاء في القرآن الكريم فهو حقيقة قاطعة لا شك بها، ومن ثم فإن أي حقيقة علمية يكتشفها العلماء لا يمكن أن تتعارض بحال من الأحوال مع ما جاء به القرآن، وإن بدا لنا ما يوهم ذلك فهو لأحد أمرين إما لقصور فهمنا للقرآن الكريم، أو الخطأ في فهم ما يدعى أنه حقيقة علمية.

فالحقائق العلمية تبين القرآن الكريم وتساعد على فهم النصوص القرآنية، ولا يمكن أن يحدث شيء من التناقض أو الاختلاف بين الحقائق العلمية وبين القرآن الكريم بتغير الزمان أو المكان أو الاكتشافات العلمية وغيرها، ولا شك أنه إذا حدث شيء من هذا القبيل فهو خطأ المفسر وهذا ما يؤيده قول الرسول ﷺ، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: أما إنني قد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ألا إنها ستكون فتنة». فقلت: ما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه^(٣).

(١) جوهري، طنطاوي، الجواهر في تفسير القرآن الكريم، ج ١، ص ٣٠.

(٢) ينظر: الغمراوي، محمد، الإسلام والعلم، ص ٢٥٠.

(٣) الترمذي، سنن الترمذي، ج ٥، ص ١٧٢، باب ما جاء في فضل القرآن الكريم، حديث رقم ٢٠٦٩.

إن المعرفة بالكون ومكوناته لها طبيعة تراكمية، فكلما زادت ملاحظات الإنسان في الكون، وكلما زادت تجاربه واستنتاجاته كلما زادت معرفته بهذا الكون، والقرآن الكريم ذاته يصرح بأن قسماً من حقائقه سيظهر بعد زمن التنزيل قال تعالى: ﴿... وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

كما أن القرآن الكريم لا يتجه بالخطاب إلى جيل ومكان معينين بل إلى البشرية كافة في كل زمان ومكان، "ولا شك أن الكلام الصادر عن علام الغيوب تعالى وتقدس لا تبنى معانيه على فهم طائفة واحدة ولكن معانيه تطابق الحقائق، وكل ما كان من الحقيقة في علم من العلوم وكانت الآية لها اعتلاق بذلك فالحقيقة العلمية مرادة بمقدار ما بلغت إليه أفهام البشر وبمقدار ما سئل إليه. وذلك يختلف باختلاف المقامات ويبني على توفر الفهم، وشرطه ألا يخرج عما يصلح له اللفظ عربية، ولا يبعد عن الظاهر إلا بدليل، ولا يكون تكلفاً بيناً ولا خروجاً عن المعنى الأصلي حتى لا يكون في ذلك كتفاسير الباطنية"^(١).

وقد جاءت الآيات الكونية بصياغة عجيبة تأتي الآية بألفاظ محدودة يفهم منها أهل كل عصر معنى معيناً، وتظل هذه المعاني تتسع في تكامل لا يعرف التضاد، وهذا من أعجب جوانب الإعجاز في القرآن الكريم" فقد اشتمل القرآن تحقيق كثير من المسائل العلمية والتاريخية التي لم تكن معروفة في عصر نزوله، ثم عرفت بعد ذلك بما انكشف للباحثين والمحققين من طبيعة الكون وتاريخ البشر وسنن الله في الخلق... فهذا النوع من المعارف التي جاءت في سياق بيان آيات الله وحكمه كانت مجهولة للعرب أو لجميع البشر في الغالب، حتى إن المسلمين أنفسهم كانوا يتأولونها ويخرجونها عن ظواهرها، لتوافق المعروف عندهم في كل عصر من ظواهر وتقاليد أو من نظريات العلوم والفنون الباطلة، فإظهار ترقى العلم لحقيقتها المبينة فيه مما يدل على أنها موحى بها من الله تعالى"^(٢).

وتحمل الآيات التي فيها إشارات علمية علماً إلهياً يعرفه البشر عند ارتقائهم بأسباب العلوم والمعارف في ذلك الميدان الذي تتحدث عنه الآيات القرآنية، فالقرآن الكريم مليء بالآيات التي تتحدث عن مظاهر الكون بحديث من يعلم أسرار ودقائقه مع أن البشرية كلها في وقت النبي ﷺ لم تكن تعلم معظم تلك الأسرار، وكان يغلب على تفكيرها الأسطورة والخرافة.

(١) عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ج ١، ص ٤٤

(٢) ينظر: رضا، محمد رشيد، تفسير المنار، ج ١، ص ١٧٥-١٧٧.

ومن خلال النظر والتدبر في الآيات القرآنية التي وردت بها الإشارات العلمية، نجد أن معظمها تختتم بإحدى هذه الجمل الهادفة من الآيات، قال تعالى: ﴿... إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [النحل: ٦٧]. قال تعالى: ﴿... إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ١١]. قال تعالى: ﴿... لَعَلَّكُمْ يَلْقَاءَ رَبَّكُمْ تَوْفَئُونَ﴾ [الرعد: ٢]. قال تعالى: ﴿فِي آيِ آلاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى﴾ [النجم: ٥٥]. قال تعالى: ﴿فِي آيِ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ [المرسلات: ٥٠].

وهذه الجمل توضح أهداف الإشارات العلمية القرآنية، وأن الحقيقة العلمية التي تشير إليها الآية ليست مقصورة لذاتها، ولكن لهدف أسمى هو تعميق الإيمان بالله ووحدانيته وقدرته، والتفكر والتدبر في خلق الكون والإنسان.

ولعل الهدف الأكثر أهمية في هذه الإشارات العلمية هو دعوة المسلم إلى بذل الجهد والعمل على التعمق في العلوم الدنيوية ليتحقق له الفهم والقوة اللازمة لأداء هيمنته في الكون المتمثلة في عبادة الله على بصيرة، وخلافته في الأرض، ولإظهار الإعجاز العلمي للقرآن في عصر المعرفة واستخدامه في دعوة غير المسلمين إلى الدين القويم.

ويمكن الاستفادة من بحوث الإعجاز العلمي للقرآن الكريم في فهم النص القرآني من خلال ما يلي:

أولاً: استخدام حقائق العلم الحديث لتأكيد حقائق الدين، وذلك بتعميق مدلولات بعض النصوص وتوسيع نطاق مفهوماتها وزيادة توضيحها

مثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

أورد المفسرون في معنى الأذى أقوالاً كثيرة خلاصتها:

١- الأذى هو القذر، وهو قول السدي وقتادة. (١)

٢- الأذى هو الدم، وهو قول ابن عباس. (٢)

(١) ينظر: الطبري، محمد بن جرير بن يزيد (٣١٠هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد شاكر،

بيروت، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ج ٤، ص ٣٧٤.

(٢) ينظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج ٤، ص ٣٧٥.

٣- وجاء في التفسير الكبير للرازي: "ولا معنى للأذى إلا ما يتأذى منه الإنسان، وها هنا يتأذى الإنسان بنتن روائح ذلك الدم"^(١).

٤- وقيل: يحصل الأذى للواطئ بالنجاسة، وبتن الريح، وقيل يورث جماع الحائض علة بالغة في الألم^(٢).

٥- وفسره الطبري^(٣) بقوله: "هو ما يؤذى به من مكروه فيه، وهو في هذا الموضع يسمى أذى لنتن ريحه، وقذره ونجاسته، فهو جامع لمعانٍ شتى من خلال الأذى. وقد اختلف أهل التأويل في البيان عن تأويل ذلك على تقارب معاني بعض ما قالوا فيه. فقال السدي^(٤) قوله تعالى: ﴿... قُلْ هُوَ أَذَى...﴾ [البقرة: ٢٢٢]. قل هو قذر، وقول قتادة: قل هو قذر، وقال آخرون: قل هو دم، وممن قال ذلك مجاهد في قوله ويسألونك عن المحيض قل هو أذى، قال: الأذى الدم"^(٥).

٦- وقال القرطبي: الأذى هو شيء تتأذى به المرأة، وغيرها أي برائحة دم الحيض، والأذى كناية عن القذر على الجملة، ويطلق على القول المكروه^(٦).

فالمحيض عند الجمهور هو الحيض، وقيل زمانه وقيل مكانه، وقوله أذى، قال الطيبي سمي الحيض أذى لنتنه وقذره ونجاسته^(٧)، وقال الخطابي: الأذى المكروه الذي ليس بشديد كما

(١) ينظر: الفخر الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر (٦٠٦هـ)، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط ٣، ١٤٢٠هـ، ج ٦، ص ٤٢١هـ.

(٢) ابن الجوزي، جمال الدين عبد الرحمن بن علي (٥٩٧هـ)، زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، بيروت، دار الكتاب العربي، ط ١، ١٤٢٠هـ، ج ١، ص ١٩٠.

(٣) الطبري: محمد بن جرير بن يزيد الطبري، المؤرخ المفسر الإمام. ولد سنة ٢٢٤هـ/٨٣٩م في آمل طبرستان، واستوطن بغداد وتوفي بها سنة ٣١٠هـ/٩٢٣م، وهو من ثقات المؤرخين، من مؤلفاته: "جامع البيان في تفسير القرآن" يعرف بتفسير الطبري، "اختلاف الفقهاء". الزركلي، خير الدين، الأعلام، ج ٦، ص ٩٦.

(٤) السدي: إسماعيل بن عبد الرحمن السدي: تابعي، حجازي الأصل، سكن الكوفة. قال فيه ابن تغيي بردي: (صاحب التفسير والمغازي والسير، وكان إماما عارفا بالوقائع وأيام الناس. توفي سنة ١٢٧هـ، الزركلي، خير الدين، الأعلام، ج ١، ص ٣١٧).

(٥) ينظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج ٤، ص ٣٧٤-٣٧٥.

(٦) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد (٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة، دار الكتب المصرية، ط ٢، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م، ج ٣، ص ٨٥.

(٧) ينظر: الطيبي، شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (٧٤٣هـ)، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، تحقيق: إياد محمد الغوج، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ط ١، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م، ج ٣، ص ٣٦٦.

في قوله تعالى: ﴿لَنْ يَضُرَّكُمْ إِلَّا أَذَى...﴾ [آل عمران، ١١١]. فالمعنى أن المحيض أذى يعتزل من المرأة موضعه، ولا يتعدى ذلك إلى بقية بدنّها (١).

أما الاكتشافات العلمية فقد أظهرت أنه أثناء دم الحيض يتم قذف الغشاء المبطن للرحم بأكمله، ويكون الرحم مقترحاً نتيجة لذلك فهو معرض بسهولة لعدوان البكتريا الكاسح، ومن المعلوم طبيّاً أن الدم هو خير بيئة لتكاثر الميكروبات ونموها كما تقل مقاومة الرحم للميكروبات الغازية نتيجة لذلك ويصبح دخول الميكروبات الموجودة على سطح القضيبي يشكل خطراً داهماً على الرحم.

وتكون مقاومة المهبل للبكتريا في أدنى مستوياتها إذ يقل إفراز المهبل الحامض الذي يقتل الميكروبات، ويصبح الإفراز أقل حموضة إن لم يكن قلوي التفاعل كما تقل المواد المطهرة الموجودة في المهبل أثناء الحيض، ويرق جدار المهبل ويصبح مكوناً من طبقة رقيقة من الخلايا بدلاً من الطبقات العديدة التي تكون موجودة في أوقات الطهر. كما أن وجود الدم في المهبل والرحم يساعد على نمو تلك الميكروبات وتكاثرها، ولا يقتصر الأذى على نمو الميكروبات في الرحم والمهبل مما يسبب الإصابة بالتهابات الرحم والمهبل الذي كثيراً ما يزمن ويصعب علاجه، ولكنه يتعداه إلى أشياء أخرى نوجزها فيما يلي:

١- تمتد الالتهابات إلى قناتي الرحم فتسدها أو تؤثر على شعيراتها الداخلية التي لها دور كبير في دفع البويضة من المبيض إلى الرحم، وذلك يؤدي إلى العقم أو الحمل خارج الرحم، وهو أخطر أنواع الحمل على الإطلاق ويكون الحمل عندئذٍ في قناة الرحم الضيقة ذاتها وسرعان ما ينمو الجنين وينهش في جدار القناة الرقيقة حتى تنفجر القناة الرحمية فتتفجر الدماء إلى البطن، وإن لم تتدارك الأم في هذه الحال بإجراء عملية جراحية سريعة فإنها لا شك تلاقى حتفها.

٢- يمتد الالتهاب إلى قناة مجرى البول فالمثانة فالحالبين فالكلبي، وأمراض الجهاز البولي خطيرة ومزمنة.

٣- يصاحب الحيض آلام مختلفة في شدتها من امرأة إلى أخرى وأكثر النساء يصبن بآلام وأوجاع في أسفل الظهر والبطن، وأحياناً تكون الآلام فوق الاحتمال مما يستدعي استعمال الأدوية والمسكنات.

(١) ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: محمد عبد الباقي، بيروت، دار المعرفة، ١٣٧٩هـ، ج ١، ص ٣٩٩.

- ٤- تصاب الكثير من النساء بحالة من الضيق والكآبة أثناء الحيض، وخاصة عند بدايته وعادة تكون المرأة سريعة الاهتياج قليلة الاحتمال ولهذا نهى عن تطبيق الحائض.
- ٥- تصاب بعض النساء بالصداع النصفي (الشقيقة) قرب بداية الحيض.
- ٦- تقل الرغبة الجنسية عند المرأة وخاصة عند بداية الطمث وهو أمر وظيفي وطبيعي لفترة الحيض هي فترة نزيف دموي من قعر الرحم وتكون الأجهزة التناسلية بأكملها في حالة شبه مرضية فالجماع في هذه الآونة ليس طبيعياً ولا يؤدي إلى أي وظيفة بل على العكس يتسبب بالكثير من الأذى.
- ٧- رغم أن الحيض عملية وظيفية طبيعية بحتة فإن استمرار فقدان الدم كل شهر يسبب نوعاً من فقر الدم لدى المرأة وخاصة إذا كان الحيض شديداً غزيراً في كميته.
- ٨- تزداد شراسة الميكروبات في الحيض.
- ٩- الوطء في الحيض لا يمكن أن ينتج حملاً ذلك لأن خروج البويضة لا يمكن أن يتم أثناء الحيض، ولذا فلا يمكن أن يؤدي الجماع في الحيض الوظيفة المطلوبة منه.
- ١٠- لا يقتصر الأذى على الحائض في وطئها، وإنما ينتقل الأذى إلى الرجل أيضاً، فوطء الحائض يؤدي إلى تكاثر الميكروبات والتهاب قناة مجرى البول لدى الرجل.
- ١١- ظهرت أبحاث طبية جديدة تشير إلى أن الجماع أثناء الحيض قد يكون أحد أسباب سرطان عنق الرحم^(١).
- وهذا موجز للأذى الذي يصيب كلاً من المرأة والرجل إذا تم الجماع خلال فترة الحيض، فللحيض أذى وضرر على المرأة والرجل على حد سواء، والضرر مادي ومعنوي: فالمرأة في حالة الحيض تنفتح أوعيتها الدموية في الرحم فتصبح مهياً لقبول العدوى، كما أن الرجل يتعرض للالتهاب من دم الحيض الذي هو خليط من خلايا بطانة الرحم والدم وإفرازات الغدد وبه الكثير من الجراثيم، وانتقال جزء من دم الحيض إلى القناة البولية في الذكر يحدث فيها التهاباً ينتقل إلى البروستات والمثانة والحالبين وإلى حوض الكلى والكلى نفسها، وأما الضرر المعنوي فهو التقزز من الحالة التي عليها جهاز المرأة، وفي هذه الفترة تكون المرأة غير مهياً جنسياً.

(١) ينظر: البار، محمد علي، خلق الإنسان بين الطب والقرآن، الرياض، الدار السعودية للنشر، ط٤،

١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص ١٠٣-١٠٥.

وبذلك يتبين أذى الحيز من الناحية العلمية التي تؤكد لنا الإعجاز في استعمال كلمة أذى في التعبير عن الحيز، وأنها لم توضع إلا بحكمة، ووضعها خالق البشرية الذي يعلم السر وأخفى واختاره بدقة وإحكام.

ثانياً: تعين أبحاث الإعجاز العلمي على فهم تفسير بعض الآيات وتوضيح قولاً ذهب إليه المفسرون وتحليله

مثال ذلك قوله تعالى: ﴿لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾ [الحجر، ١٥]. اختلف المفسرون في تفسيرها على ثلاثة أقوال:

القول الأول:

سكرت أبصارنا بمعنى أخذت أبصارنا، وهو قول ابن عباس: سكرت أبصارنا تعني أخذ بأبصارنا وشبه علينا وإنما سحرنا ^(١).

القول الثاني:

بمعنى سدّت ومنعت من النظر، وهو قول الضحاك ومجاهد. قال الضحاك في تأويل سكرت أبصارنا: يعني سدّت، وذهب مجاهد في تأويله إلى أنه سكرت بمعنى منعت النظر كما يسكر الماء فيمنع من الجري بحبسه في مكان بالسكر الذي يسكر به ^(٢).

القول الثالث:

بمعنى أغشيت، قال الزجاج ^(٣): سكرت بالتشديد أغشيت، وسكرت بالتخفيف: تحيرت وسكنت أن تنظر ^(٤). وجاء في تفسير السعدي ^(٥): إنما سكرت أبصارنا أي أن بها سكر وغشاوة حتى رأينا ما لم نر ^(٦).

(١) ينظر: ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، ج ٢، ص ٥٢٦.

(٢) ينظر: الطبري، تفسير الطبري، ج ١٧، ص ٧٤.

(٣) الزجاج: أبو إسحاق الزجاج: عالم بالنحو واللغة. ولد في بغداد سنة ٢٤١هـ/٨٥٥م. من كتبه: "معاني القرآن"، و"الاشتقاق"، و"خلق الإنسان"، و"الأمال في الأدب واللغة". توفي في بغداد سنة ٣١١هـ/٩٢٣م. الزركلي، خير الدين، الأعلام، ج ١، ص ٤٠.

(٤) ينظر: ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، ص ٥٢٦.

(٥) السعدي: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر السعدي الناصري التميمي. ولد في القصيم سنة ١٣٠٧هـ، وهو مصنف وكاتب كتاب "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان". www.wikipedia.org

(٦) ينظر: السعدي، عبد الرحمن بن ناصر (١٧٧٦هـ)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٩م، ج ١، ص ٤٣٠.

كشَف العلم الحديث عن توضيح المراد بعدم تمكن المشركين من الإبصار في قوله تعالى: ﴿لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ﴾ [الحجر: ١٥]. بأنه بعد الخروج من الغلاف الجوي يبدأ الظلام الدامس يحيط بالإنسان بكل مكان فكأنما أغلق الإنسان عينيه^(١). وقد أفاد جميع رواد الفضاء منذ عام ١٩٦١م أنهم عندما اخترقوا الغلاف الجوي للأرض، وجدوا أن القشرة الجوية الكروية المنيرة من هذا الغلاف والتي تواجه الشمس خلال النهار لا يتعدى سمكها ٢٠٠ كم فوق سطح الأرض، وبعد هذا الارتفاع تظلم السماء تماماً رغم وجود الشمس التي لا يتشتت ضوءها في الفضاء الكوني لعدم وجود الذرات أو الجسيمات الكافية اللازمة لحدوث التشتت، وتبدو الأرض في الفضاء قرصاً منيراً يسبح وسط ظلام حالك، كما أن القمر سماؤه مظلمة دوماً لانعدام الغلاف الجوي على سطحه، فهذه الآية تبين أن الله سبحانه وتعالى يخبرنا بدليل علمي أن أهل مكة ما كانوا يؤمنون حتى لو تحقق لهم غزو الفضاء، لأنهم في هذه الحالة لا يرون إلا ظلاماً دامساً فيقوبون إمعاناً في التكذيب وعدم الإيمان: لقد سحرنا محمد وسكر أبصارنا فعميت بهذا السحر! ذلك تعبير للدهشة بعدم الأبصار أمام مشهد جديد في السماء لم يألفه الإنسان في جو الأرض، وما كان يمكن أن يتخيله فالشمس طالع والسواد حالك^(٢).

ثالثاً: تثبت أبحاث الإعجاز العلمي عدم التصادم بين نصوص الوحي وبين الحقائق العلمية القاطعة

مثال ذلك قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا^ط وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء، ٣٠]. ذكر المفسرون في تفسير هذه الآية أقوالاً خلاصتها:

١- إن السماء والأرض كانتا ملتصقتين ففصل الله بينهما ورفع السماء ووضع الأرض، وهو قول ابن عباس وقتادة والحسن وسعيد بن جبیر^(٣).

(١) ينظر: حاج أحمد، يوسف، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة المطهرة، دمشق، دار ابن حجر، ٢٠٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص ٣٢٢.

(٢) ينظر: حسب النبي، منصور، الكون والإعجاز العلمي في القرآن، ص ٢٠٣-٢٠٤.

(٣) ينظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج ١٨، ص ٤٣١، ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، ج ٣، ص ١٨٩.

٢- أن السماوات كانت رتقاً لا تمطر، وكانت الأرض رتقاً لا تنبت ففتق هذه بالمطر وهذه بالنبات، وهذا القول مروى عن ابن عباس وعطاء وعكرمة ومجاهد والضحاك^(١).

٣- لم تكن السماء والأرض متماسكتين والله فتق الأرض ست أرضين معها فتلك سبع أرضين معها ومن السماء ست سماوات معها فتلك سبع سماوات معها، وهو قول مجاهد والسدي^(٢).

هذا وإن آيات الإعجاز في القرآن الكريم التي تتحدث عن الكون حوالي سبعمائة وخمسين آية صريحة. وهذه الآيات تنقسم إلى مجموعتين واضحتين مجموعة وصفية تصف حقائق قائمة في كوننا المدرك الملموس، وآيات تتحدث عن بداية الخلق، كيف خلق الله الكون والحياة والإنسان، والله سبحانه وتعالى يؤكد أن هذه القضايا لا تخضع مباشرة لحس الإنسان قال تعالى: ﴿مَا أَشْهَدُكُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُمْ مُتَّخَذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ [الكهف: ٥١]. ولكنه بالمقابل يدعو الإنسان إلى التفكير في خلق الله، قال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [العنكبوت: ٢٠].

فقضايا النشأة يعطينا فيها القرآن خطوط هداية يستطيع فيها المسلم أن يميز بين نظرية ونظرية لأن العلم التجريبي لا يستطيع أن يتجاوز فيها حد التنظير، وعلى الرغم من وجود الكثير من نظريات خلق الكون، لكن يبقى هناك من النظريات ما يدعمها مشاهدات كثيرة، وهذه النظريات تتوافق مع عرض القرآن الكريم في خلق الكون والحياة^(٣).

فعلى سبيل المثال وضع العلماء الكثير من النظريات والفروض المتناقضة عن نشأة الكون، إلا أن أكثرها قوة الشواهد التي جمعها العلماء من نظرية الانفجار العظيم، وتقوم هذه النظرية على ركائز عديدة أهمها:

إن الكون الذي نحيا فيه دائم الاتساع قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: ٤٧]، فقد لاحظ العلماء أن المجرات تتباعد عن بعضها البعض بسرعات هائلة تقترب من سرعة الضوء ١٣٠٠ كيلومتر في الثانية، وقالوا: إن هذا التباعد لو عدنا به إلى الوراء مع الزمن فلا بد أن تلتقي مادة الكون المنظور على ضخامتها في جرم واحد، وهذا الجرم لا بد أن

(١) ينظر: ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، ج ٣، ص ١٨٩.

(٢) ينظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج ١٨، ص ٤٣١، ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، ج ٣، ص ١٨٩.

(٣) ينظر: النجار، زغلول، الإعجاز العلمي للقرآن الكريم، www.aljazeera.net.

تكون له كتلة حرجة وعالي الكثافة لدرجة لا يكاد العقل أن يتخيلها فانفجر . هذا الانفجار وصفه القرآن الكريم قبل أكثر من ١٤٠٠ سنة بقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا^ط وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ^ع أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ [الأنبياء: ٣٠]. وإذا تركنا المجاز ولزمنا الحقيقة اللغوية نتج حتماً من هذه الآية الكريمة أن السماوات والأرض كانتا شيئاً واحداً متصل الأجزاء، وهذه عجيبة كبرى من عجائب الإعجاز العلمي في القرآن الكريم يؤيد فيها القرآن العلم الحديث في نظرياته حول نشأة الكون وكونه شيئاً منبثاً واحداً قبل أن يوجد فيه أرض أو نجم أو سديم^(٢).

رابعاً: المساهمة في تصحيح الأفكار الخاطئة التي شاعت بين البشرية في أجيالها السابقة

مثال ذلك: الاعتقاد بتكون الجنين من ماء الرجل فقط، وتخلقه من دم الحيض لم تكن البشرية تعرف شيئاً عن النطفة الأمشاج، فقد كان الاعتقاد السائد لدى الفلاسفة والأطباء أن الجنين الإنساني يتكون من ماء الرجل وأن رحم المرأة ليس إلا محضناً لذلك الجنين، ثم جاء أرسطو أشهر فلاسفة اليونان الذي عاش في القرن الرابع قبل الميلاد، وكان أول من أفرد علم الأجنة بأبحاث خاصة، وقد لخص في أبحاثه عن علم الأجنة معتقدات أهل زمانه ورأيه فيها، واعتبرها تدرج تحت نظريتين:

الأولى: يكون الجنين جاهزاً في ماء الرجل فإذا دخل ماء الرجل الرحم انعقد ثم نما كما تنمو البذرة في الأرض واستمد غذاؤه من الرحم.

الثانية: يتخلق الجنين من دم الحيض حيث يقوم المنى ببعده مثلما تفعل الأنفحة^(٣) باللبن فتعقده وتحوله إلى جبن... وليس للمني دور في إيجاد الولد، وإنما له دور مساعد مثل دور الأنفحة في إيجاد الجبن.^(٤)

(١) ينظر: حسب النبي، منصور، الكون والإعجاز العلمي، ص ٢٨٩-٢٩٠، حاج أحمد، يوسف، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة المطهرة، ص ٣١٦.

(٢) ينظر: محمد، الغمراوي، الإسلام في عصر العلم، ص ٢٢٩.

(٣) الأنفحة: وهي مادة تستخرج من بطن السخلة أو الجدي الرضيع، وتستعمل لصنع الجبن من اللبن، كنعان، محمد أحمد، الموسوعة الطبية الفقهية، دار النفائس، د. م، د. ت، ص ٦٦٩.

(٤) ينظر: حاج أحمد، يوسف، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة المطهرة، ص ١١٧-١١٨، عبد البار، محمد، خلق الإنسان بين الطب والقرآن، ص ١٨٣-١٨٨.

ومنذ أن لخص أرسطو النظريات السائدة بالنسبة لتخلق الجنين استمر الجدل يحتدم بين أنصار الجنين الكامل المصغر الموجود في بويضة المرأة، وأنصار الجنين الكامل المصغر الموجود في ماء الرجل، واستمرت هذه المعارك حتى عصر النهضة، بل إنها استمرت حتى بداية القرن العشرين.

ولم تعرف البشرية بواسطة علومها التجريبية أن الجنين يتكون باختلاط نطفة الذكر ببويضة الأنثى، وأنه يمر بأطوار مختلفة ويبنى جسمه من البسيط إلى المركب المعقد إلا في القرن التاسع عشر ولم يتأكد ذلك إلا في القرن العشرين^(١).

والإعجاز العلمي في القرآن والسنة يؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أن الإنسان خلق من نطفة مختلطة سماها النطفة الأمشاج قال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [الإنسان: ٢]، وأخرج الإمام أحمد في مسنده أن يهودياً مرّ برسول الله ﷺ ، وهو يحدث أصحابه ، فقالت قريش: يا يهودي، إن هذا يزعم أنه نبي فقال: لأسأله عن شيء لا يعلمه إلا نبي، قال: فجاء حتى جلس ثم قال: يا محمد، مم يخلق الإنسان؟ قال: « يا يهودي، من كل يخلق: من نطفة الرجل، ومن نطفة المرأة، فأما نطفة الرجل فنطفة غليظة، منها العظم والعصب، وأما نطفة المرأة فنطفة رقيقة، منها اللحم والدم »، فقام اليهودي، فقال: هكذا كان يقول من قبلك^(٢). وقد أجمع أهل التفسير على أن الأمشاج هو اختلاط ماء الرجل بماء المرأة، وكانت أقوالهم كالتالي:

١- قال ابن عباس رضي الله عنهما: في قوله تعالى: ﴿... نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ ...﴾ [الإنسان: ٢]، يعني ماء الرجل وماء المرأة إذا اجتمعا واختلطا، وهكذا قال الحسن والربيع وعكرمة: الأمشاج هو اختلاط ماء الرجل بماء المرأة^(٣).

(١) ينظر: حاج أحمد، يوسف، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة المطهرة، ص ١١٧-١١٨، عبد البار، محمد، خلق الإنسان بين الطب والقرآن، ص ١٨٣-١٨٨.

(٢) الإمام أحمد، أبو عبد الله أحمد بن حنبل (٢٤١هـ)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الرسالة، ط ١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م، مسند المكثرين من الصحابة، مسند عبد الله بن مسعود، ج ٧، ص ٤٣٧، حديث رقم ٤٤٣٨.

(٣) ينظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج ٢٤، ص ٨٤، الرازي، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، ج ٣٠، ص ٣٧٤.

٢- وقال ابن الجوزي: قوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ...﴾ يعني ولد آدم، وقوله تعالى: ﴿... مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ ...﴾ أي أخلط. يقال مشجته، فهو مشيج يريد اختلاط ماء المرأة بماء الرجل^(١).

٣- وقال سيد قطب في تفسيره ظلال القرآن: "الأمشاج الأخلط، وربما كانت هذه إشارة إلى تكون النطفة من خلية الذكر وبويضة الأنثى بعد التلقيح، وربما كانت هذه الأخلط تعني المورثات الكامنة في النطفة والتي يمثلها ما يسمونه علمياً الجينات وهي وحدات الوراثة الحاملة للصفات المميزة لجنس الإنسان أولاً ولصفات الجنين العائلية أخيراً، وإليها يعزى سير النطفة الإنسانية في رحلتها لتكوين جنين إنسان لا جنين أي حيوان آخر، كما تعزى إليها وراثة الصفات الخاصة في الأسرة ولعلها هي هذه الأمشاج المختلطة من وراثات شتى"^(٢).

٤- وقال ابن كثير: قوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ ...﴾ أي أخلط والمشيج: الشيء الخليط بعضه في بعض. قال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿... مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ ...﴾ يعني ماء الرجل وماء المرأة إذا اجتمعا واختلطا، ثم ينتقل بعد من طور إلى طور ومن حال إلى حال ولون إلى لون، وهكذا قال عكرمة ومجاهد والحسن والربيع بن أنس: الأمشاج هو اختلاط ماء الرجل بماء المرأة^(٣).

وقد ذهب علماء الحديث مذهب المفسرين في اختلاط ماء الرجل بماء المرأة في تكوين الجنين، فقال ابن حجر العسقلاني: "مني الذكر من جملة الرطوبات والفضلات التي في البدن وهذا أمر يشترك بين الذكر والأنثى فيه رأساً يتخلق الولد وبواسطته يكون الشبه، ولو لم يكن للمرأة مني لما أشبهها ولدها، وقد أجرى الله العادة بأن التوالد لا يكون إلا بين أصليين يتولد من بينهما ثالث، ومني الرجل وحده لا يتولد منه الولد مالم يمازجه مادة أخرى من الأنثى"^(٤)، وهذا ما ذهب إليه ابن القيم الجوزية بأن الجنين يتكون من مني الرجل ومني المرأة^(٥).

(١) ينظر: ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، ج ٤، ص ٣٧٤.

(٢) قطب، سيد، في ظلال القرآن، ج ٦، ص ٣٧٧٩-٣٧٨٠.

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٨، ص ٢٨٥.

(٤) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج ١، ص ٣٦٥-٣٦٦.

(٥) ينظر: ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب (٧٥١هـ)، التبيان في أقسام القرآن، تحقيق: محمد الفقي، بيروت، دار المعرفة، ج ١، ص ٣٥٢.

ومما تقدم يتضح بجلاء أن ما اكتشفته البشرية في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، قد تحدث به القرآن الكريم، وقد وضحته الأحاديث النبوية، كما أن الصحابة والتابعين من أعلام المفسرين وعلى رأسهم ترجمان القرآن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قد فهموا من هذه الآية القرآنية ما نفهمه نحن اليوم وبعد الاكتشافات العلمية.

خامساً: إظهار كافة المعاني الصحيحة التي تحملها الآيات القرآنية، وذلك بإضافة أقوال جديدة لا تتنافى مع الأقوال التي ذكرها المفسرون

مثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾ [الطارق، ١١]، فقد ذكر المفسرون في معنى هذه الآية أقوالاً عدة منها:

١- قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾، أي ذات المطر لأنه يجيء ويتكرر كل عام، وهو قول عكرمة وابن عباس ومجاهد والضحاك^(١).

٢- ترجع بأرزاق العباد كل عام، ولولا ذلك هلكوا وهلكت مواشيهم، وهو قول قتادة^(٢).

٣- ترد وترجع شمسها وقمرها بعد مغيبهما^(٣).

وقد رجح الفخر الرازي قول ابن عباس: قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾ أي ذات المطر يجيء ويرجع ويتكرر^(٤).

أما ابن القيم الجوزية فيقول: التحقيق في قول ابن عباس ذات المطر، إنما هو على وجه التمثيل ورجع السماء هو إعطاء الخير الذي يكون من جهتها حالاً بعد حال على مر الأزمان ترجعه رجعاً أي تعطيه مرةً بعد مرة، والخير كله من قبل السماء يجيء لما كان أظهر الخير المشهود بالعيان المطر فسر الرجوع به وحسن تفسيره^(٥).

إن لفظة الرجوع في هذه الآية الكريمة لها من الدلالات ما يفوق مجرد نزول المطر على أهميته القصوى لاستمرارية الحياة على الأرض، مما جعل هذه الصفة من صفات السماء محلاً لقسم الخالق تعظيماً لشأنها وتفضيلاً، فلا بد أن هناك معاني أخرى للرجوع غير المطر.

(١) ينظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج ٢٤، ص ٣٦١، ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، ج ٤، ص ٤٣٠.

(٢) ينظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج ٢٤، ص ٣٦٠.

(٣) ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٨، ص ٣٧٦.

(٤) ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ج ٣١، ص ١٢٣.

(٥) ابن قيم الجوزية، التبيان في أقسام القرآن، ج ١، ص ١٠٦.

ولقد وردت إشارات كثيرة إلى السماء في القرآن الكريم بعضها يفهم من مدلولها الغلاف الغازي للأرض بسحبها، وبعضها يفهم منها السماء الدنيا غالباً والكون أحياناً. وإذا كان المقصود بالسماء ذات الرجوع كل السماء الدنيا التي زينها الله بالنجوم والكواكب، فإن علم الفلك يؤكد أن الله قد خلق كل أجرام السماء من الدخان الكوني الناتج عن عملية الانفجار العظيم التي يسميها القرآن الكريم عملية الفتق، وتتم كل الأجرام السماوية بدورة حياة تنتهي بالعودة إلى دخان السماء عن طريق الانفجار لتتخلق من هذا الدخان السماوي أجرام جديدة تعيد الكرة في دورات مستمرة من تبادل المادة والطاقة بين أجرام السماء ودخانها. وهذه صورة مبهرة من صور الرجوع التي لم يدركها العلماء إلا بعد اكتشاف دورة حياة النجوم في العقود المتأخرة من القرن العشرين (١).

وإذا كان المقصود بالسماء في هذه الآية هو الغلاف الغازي للأرض بنطاق من نطاقاته مثل نطاق المناخ، أو بكل نطقه، فإن الاكتشافات العلمية قد أكدت أن كثيراً مما يرتفع من الأرض إلى الغلاف الغازي من مختلف صور المادة والطاقة كبخار الماء، هباءات الغبار المتناهية الدقة في الصغر، كثير من غازات أول وثاني أكسيد الكربون، النشادر، الميثان وغيرها، بالإضافة إلى الموجات الحرارية كالأشعة تحت الحمراء، والراديوية كموجات البث الإذاعي والموجات الصوتية والضوئية والمغناطيسية كل ذلك يرتد ثانية إلى الأرض راجعاً لها.

كذلك فإن كثيراً مما يسقط على الغلاف الغازي للأرض من مختلف صور المادة والطاقة يرتد راجعاً عنه بواسطة عدد من نطق الحماية المختلفة التي أعدها الله لحماية الحياة على وجه الأرض (٢).

وهذا الغلاف الغازي الذي يحيط بالأرض يقدر سمكه بعدة آلاف من الكيلومترات، ويتناقص الضغط كلما ارتفعنا فوق مستوى سطح البحر، ويقسم هذا الغلاف الغازي للأرض على أساس درجة حرارته إلى عدة نطق من الأسفل إلى الأعلى، وأول نطاق من هذه النطق هو نطاق التغيرات الجوية أو ما يسمى بنطاق الرجوع: ويمتد من سطح البحر إلى ارتفاع ١٦ كم فوق خط الاستواء تحت الصفر. وتنخفض درجة الحرارة في هذا النطاق باستمرار مع الارتفاع حتى تصل إلى ستين درجة مئوية تحت الصفر في قمته فوق خط الاستواء، وذلك نظراً للابتعاد عن سطح الأرض الذي

(١) ينظر: النجار، زغلول، من آيات الإعجاز العلمي السماء في القرآن الكريم، بيروت، دار المعرفة، ط٤، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ص٢٩٨.

(٢) ينظر: النابلسي، راتب، موسوعة الإعجاز العلمي آيات الله في الآفاق، ص٢١، النجار، زغلول، تفسير الآيات الكونية، مكتبة الشروق، ط١، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، ج٤، ص٤٢٠.

يعمل على تدفئة هذا النطاق بعد غياب الشمس، فسطح الأرض يمتص حوالي ٤٧% من أشعة الشمس فترتفع درجة حرارته أثناء النهار وعند غياب الشمس يبدأ في إعادة إشعاع الحرارة التي امتصها على هيئة أشعة تحت حمراء إلى الغلاف الغازي للأرض خاصة إلى بخار الماء وجزيئات أكسيد الكربون في السحب فتزداد هذه السحب ٩٨% من تلك الأشعة على هيئة رجع حراري لولاه لتجمدت الأرض بما عليها من مختلف صور الحياة بمجرد غياب الشمس، وهذا الراجع الحراري لم يدرك إلا في العقود المتأخرة من القرن العشرين، ومن هنا تنخفض درجة حرارة نطاق التغيرات الجوية مع الارتفاع للبعد عن مصدر الدفء وهو سطح الأرض.

كما ينخفض الضغط الجوي إلى عشر الضغط الجوي في قمة نطاق الراجع، وعندما تهب كتلة من هواء بارد فوق كتلة أخرى من هواء ساخن، فإن الهواء البارد يهبط إلى أسفل بينما يصعد الساخن إلى أعلى محدثاً تيارات حمل مستمرة في هذا النطاق أعطته اسم نطاق الراجع ولولا الانخفاض المطرد لدرجات الحرارة في هذا النطاق السفلي من نطاق الغلاف الغازي لفقدت الأرض مياهها بمجرد اندفاع أبخرة تلك المياه من فوهات البراكين، ولاستحالت الحياة على سطح الأرض^(١). وقد أظهرت الاكتشافات العلمية وجود عدة صور من رجع السماء وهي:

- ١- الراجع الاهتزازي (الأصوات وصداها).
- ٢- الراجع المائي.
- ٣- الراجع الحراري إلى الأرض وعنهما إلى الفضاء بواسطة السحب.
- ٤- رجع الغازات والابخرة والغبار المرتفع من سطح الأرض.
- ٥- الراجع الخارجي للأشعة فوق البنفسجية بواسطة طبقة الأوزون.
- ٦- رجع الموجات الراديوية بواسطة النطاق المتأين^(٢).
- ٧- رجع الأشعة الكونية بواسطة كل من أحزمة الإشعاع والنطاق المغناطيسي للأرض.

وبذلك نجد أن بقية الصور المتعددة لرجع السماء لم تعرف إلا في العقود الأخيرة من القرن العشرين، وبناءً على ذلك فإن وصف السماء بأنها ذات الراجع في القرآن قبل ألف وأربعمائة من السنين يجمع كل هذه الصور التي نعرفها اليوم، وربما العديد من الصور التي لم نعرفها البشرية

(١) ينظر: النجار، زغلول، من آيات الإعجاز العلمي السماء في القرآن الكريم، ص ٢٩٩-٣٠٠.

(٢) النطاق المتأين: يمتد بين ١٠٠ و ١٠٠٠ كم فوق مستوى سطح البحر، تمتص الفوتونات النشطة القادمة مع

أشعة الشمس فتؤدي إلى رفع درجة الحرارة وزيادة التأين، النجار، زغلول، من التفسير العلمي للقرآن الكريم

(الجزء الثلاثون)، د. م، دار نهضة مصر، د. ت، ص ١٩٨.

بعد في كلمة واحدة في قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾، ومما سبق نجد أن أبحاث الإعجاز العلمي قد أضافت معانٍ جديدة وصحيحة للآية القرآنية، لم يذكرها المفسرون من قبل، وإنما ظهرت مع تطور العلم والمعرفة الإنسانية^(١).

سادساً: الإسهام في سن التشريعات الحكيمة التي قد تخفى حكمتها وقت نزول القرآن

مثال ذلك: تحريم زواج الأخوة من الرضاع، قال تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ...﴾ [النساء، ٢٣]. كما روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال النبي ﷺ في بنت حمزة: «لا تحل لي، يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب، هي بنت أخي من الرضاعة»^(٢).

أثبتت الأبحاث العلمية التي أجريت حديثاً وجود أجسام في لبن الأم المرضعة الذي يترتب على تعاطيه تكوين أجسام مناعية في جسم الرضيع بعد جرعات تتراوح من ثلاث إلى خمس جرعات، وهذه هي الجرعات المطلوبة لتكوين الأجسام المناعية في جسم الإنسان.

كما أن القرابة من الرضاعة تثبت وتنتقل في النسل والسبب انتقال الجينات (العوامل الوراثية) من حليب الأم واختراقها لخلايا الرضيع واندماجها مع سلسلة الجينات عند الرضيع، ويساعد على هذه النظرية أن حليب الأم يحتوي على أكثر من نوع من الخلايا، كما أن الجهاز الوراثي عند الرضيع يتقبل الجينات الغريبة لأنه غير ناضج حاله حال الكثير من أجهزة الرضيع التي لا يتم نضجها إلا بعد أشهر وسنوات من الولادة^(٣).

وقد أثبتت الأبحاث الطبية الحديثة أن تحريم زواج الأخوة بالرضاع له حكمة بالغة، حيث وجدوا أن هناك أجساماً في لبن الأم المرضعة يمكن أن تؤدي إلى أعراض مرضية للأخوة في الرضاعة عند الزواج، وقد نوقش هذا البحث في المؤتمر العالمي للإعجاز الطبي في القرآن المنعقد في القاهرة في أيلول عام ١٩٨٥ م^(٤).

(١) ينظر: النجار، زغلول، من آيات الإعجاز العلمي السماء في القرآن الكريم، ص ٣٠٢-٣٠٩.

(٢) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الشهادات، باب الشهادة على الأنساب، والرضاع المستفيض، والموت القديم، ج ٣، ص ١٧٠، حديث رقم ٢٦٤٥.

(٣) ينظر: حاج أحمد، يوسف، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة المطهرة، ص ١٥٦.

(٤) ينظر: قوش، سليمان، الاكتشافات العلمية الحديثة ودلالاتها في القرآن الكريم، الدوحة، دار الحرمين للنشر، ط ١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص ٥١، العبيدي، خالد، الطب في القرآن الكريم والسنة المطهرة، بيروت، دار الكتب العلمية، ص ١٢.

سابعاً: تساعد أبحاث الإعجاز العلمي على التفكير والتدبر في خلق الله

مثال ذلك: التفكير في خلق النحل، يعتبر النحل آية من آيات الله الباهرة الدالة على عظمته قال تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٦٨-٦٩]. فالإيحاء المؤنثة المخاطبة في قوله تعالى: ﴿اتَّخِذِي﴾ تشير إلى أن الآية منصبة على الإناث بصيغة الجمع دون الذكور، وأيضاً تخص نحل العسل دون غيره من الأنواع لقوله تعالى: ﴿...يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ ۚ﴾ [النحل: ٦٩].

وقد دلت الاكتشافات العلمية على أن عدد الأفراد في خلية نحل العسل سنوياً من ٤٠٠٠٠ إلى ٨٠٠٠٠ شغالة من العاملات، وحوالي ٢٠٠ من ذكور النحل، وملكة واحدة تبيض حوالي ١٥٠٠ بيضة في اليوم الواحد، وما يلحق من هذا البيض ينتج إناثاً وملكات وما لا يلحق ينتج ذكوراً، والذي يأخذ بالألباب أن هذه الملكة تضع الملكات في مكان والذكور في مكان آخر، والإناث في مكان غير ليتلقى كل منها غذاءً خاصاً وعناية خاصة بحسب جنسه، وكأنها تعرف أن في بطنها ذكر أو أنثى أو ملكة^(١). وتنحصر وظيفة الذكور في إخصاب الملكة بينما تقوم العاملات بجميع الأعمال في الخلية، كما يقمن بالبحث عن المكان المناسب لبناء البيوت، ويقمن بالبناء بذواتهن وبصيانة وترميم وتنظيف الخلية. وقد أعطاها الله الحرية في اختيار مكان بناء بيوتها في الجبال أو الشجر أو العريش، وهذا له حكمة بالغة لأنه يتيح لها الاستفادة من أكبر عدد ممكن من البيئات المختلفة وبما فيها من متنوع النباتات حتى تتوع ذلك الشراب المختلف الألوان الذي يخرج من بطونها الذي فيه شفاء للناس.

ومن إلهام الله للشغالات بناء البيوت على الهيئة سداسية الأضلاع^(٢) للقضاء على المسافات البينية التي يمكن أن تنشأ من الأشكال الأخرى، ولبناء أكبر عدد ممكن من البيوت في مسافة محدودة ولملاءمة هذه الأشكال السداسية لنمو يرقات النحل الأسطوانية الشكل^(٣).

(١) ينظر: حاج أحمد، يوسف، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة، ص ٤٩٠.

(٢) أظهرت الاكتشافات العلمية الحديثة أن أفضل شكل لبناء ملاجئ مقاومة لانفجارات لقنابل الذرية هو الشكل السداسي.

(٣) ينظر: النجار، زغلول، تفسير الآيات الكونية، ج ١، ص ٤٩٧.

يعتبر النحل الحشرة الوحيدة القادرة على تخزين رحيق الأزهار من أجل الغذاء، كما تقوم بعملية تلقيح الأزهار، ومن دون تدخل النحل فإن عدداً كبيراً من النباتات لا يثمر. وتزور النحلة حوالي ألف زهرة حتى تحصل على قطرة من الرحيق، وسرعة النحلة في طيرانها لجمع الرحيق حوالي خمس وستين كيلومتراً في الساعة، وعندما تحمل رحيق الأزهار تهبط سرعتها إلى ثلاثين كيلومتراً في الساعة، وتعادل حملتها من الرحيق حوالي ثلثي وزنها^(١).

وقد زود الله تلك الحشرة بحواس متطورة للبصر والشم والتذوق وبأجهزة خاصة لتقدير المسافات والاتجاهات والأزمنة بواسطة ما يعرف بالساعة الحيوية، ومن هذه الأجهزة ثلاث عيون بسيطة وزوج من العيون المركبة التي تحتل مكاناً مناسباً من رأسها وتتكون كل عين من ٦٣٠٠ عدسة صغيرة متجانسة، وهذا النظام الإبصاري المعقد المكون من العيون البسيطة والمركبة يعين النحلة على الرؤية لمسافات بعيدة وارتفاعات شاهقة، كما تستطيع تمييز عدد من أطيايف النور الأبيض بالإضافة إلى الأشعة فوق البنفسجية التي لا تراها عين الإنسان، وبذلك تستطيع التمييز بين ألوان الزهور بدقة فائقة، وتتمتع بقدرات عالية لكل من حاستي الشم والتذوق لتمييز بين الزهور بواسطة رائحتها وروائح ما بها من رحيق الأزهار ومن حبوب اللقاح^(٢).

ويخرج النحل إلى مكان واحد محدد مسبقاً ليجني رحيق أزهار نوع واحد محدد مسبقاً أيضاً، كما يتمتع بالقدرة على الإحساس بالزمن يصعب تقديرها فيعرف متى تفرز أزهار كل نوع من النباتات رحيقها، ومتى تنثر حبوب لقاحها ثم يداوم على زيارة كل منها في الموعد المناسب^(٣)، لتصنع العسل الذي وصفه الله بالشفاء في قوله تعالى: ﴿...يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ...﴾ [النحل: ٦٩].

وقال رسول الله ﷺ: «عليكم بالشفاءين: العسل، والقرآن»^(٤). فالآية القرآنية وأحاديث الرسول ﷺ تؤكد الفائدة المطلقة لعسل النحل من حيث قيمته الغذائية والعلاجية، ولقد لجأ كبار أطباء العالم إلى استخدام العسل في علاج الأمراض المزمنة والمستعصية، ويختلف تركيب العسل باختلاف

(١) ينظر: النابلسي، راتب، موسوعة الإعجاز العلمي آيات الله في الآفاق، ص ١٩٤.

(٢) ينظر: النجار، زغلول، تفسير الآيات الكونية، ج ١، ص ٥٠٥-٥٠٦.

(٣) ينظر: حاج أحمد، يوسف، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة المطهرة، ص ٤٩١.

(٤) ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (٢٧٣هـ)، سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد عبد الباقي، دار

إحياء الكتب العربية، كتاب الطب، باب العسل، ج ٢، ص ١١٤٢، حديث رقم ٣٤٥٢.

المادة التي يأكلها النحل أو الرحيق الذي يمتصه من الأزهار، كما يختلف باختلاف الأحوال الجوية والتضاريس، ويختلف لونه باختلاف تركيبه كما يختلف في طعمه وقوامه، وتتوقف درجة الشفاء أيضاً على نوع العسل. فقد وجد أن عسل الجبال أجود وأسرع شفاءً من عسل الشجر، وهذا أسرع شفاءً من عسل العريش، وقد ثبت هذا من خلال البحوث والتحليل المتعددة لذا جاء الترتيب في القرآن: الجبال أولاً ثم الشجر ثم العريش ترتيباً يتماشى مع درجة الجودة وبالتالي درجة الشفاء، ولم يأت الترتيب عبثاً بل كان له معناه ومغزاه^(١).

(١) ينظر: قوش، سليمان، الاكتشافات العلمية الحديثة ودلالاتها في القرآن الكريم، ص ٩٧.

الفصل الثالث

المانعون للإعجاز العلمي في القرآن الكريم وأدلتهم

المبحث الأول: أبرز المانعين للإعجاز العلمي في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: آراء وأدلة العلماء المانعين للإعجاز العلمي في القرآن الكريم وأثره في تعطيل

النص القرآني.

المبحث الأول

أبرز المانعين للإعجاز العلمي في القرآن الكريم

المطلب الأول: أبرز العلماء القدماء المانعين للإعجاز العلمي في القرآن الكريم

على الرغم من امتداد الجذور الأولى للاتجاه العلمي في تفسير القرآن وما ينتج عنه من إعجاز علمي إلى العصر العباسي الثاني، إلا أن حركة التفسير العلمي بقيت بطيئة حتى منتصف القرن التاسع عشر عندما اصطدمت العقلية الإسلامية المتخلفة علمياً بالعقلية الغربية المتفوقة علمياً، فالتفت المفسرون والمفكرون المسلمين إلى القرآن الكريم ليقرروا احتواء القرآن الكريم على أصول هذه العلوم الحديثة، وذلك من خلال الإشارات العلمية الموجودة في الآيات الكونية في محاولة منهم للتوفيق بين القرآن وما جدّ ويجدّ من العلوم.

وقد لاقت هذه الفكرة رواجاً عظيماً عند المفسرين والمفكرين المعاصرين إلى درجة أن جُلهم صار مشغولاً بها، ونتاج عنها مؤلفات كثيرة وتفسيرات واسعة تسير على ضوء هذه الفكرة، ولكن بالمقابل لاقت هذه الفكرة من بعض المثقفين والعلماء المسلمين قديماً وحديثاً معارضةً شديدةً.

أنكر بعض العلماء القدماء هذا الاتجاه من التفسير إنكاراً واضحاً، كما أنكره ورفضه بعض المتأخرين والمحدثين، وسنعرض في هذا المبحث لأبرز وأشهر المانعين لهذا الاتجاه من التفسير العلمي من القدماء والمعاصرين.

أولاً: أبو إسحاق الشاطبي^(١) (١٣٨٨هـ/١٧٩٠م -)

يعتبر أبو إسحاق الشاطبي الأندلسي المتوفى سنة ٧٩٠هـ من أبرز المعارضين القدماء للاتجاه العلمي في تفسير القرآن الكريم وما يتبعه من إعجاز علمي.

عقد الشاطبي بحثاً خاصاً في كتابه "الموافقات"^(٢)، وتحدث في النوع الثاني منه عن بيان قصد الشارع في وضع الشريعة للإفهام، وهو النوع الذي يعيننا في هذا المجال حيث ضمنه عدة مسائل احتوت الخمسة

(١) الشاطبي: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي، أصولي حافظ من أئمة المالكية. من كتبه "الموافقات في أصول الفقه" أربع مجلدات، و"المجالس" شرح به كتاب البيوع من صحيح البخاري. توفي سنة ١٣٨٨هـ/١٧٩٠م. الزركلي، خير الدين، الأعلام، ج ١، ص ٧٥.

(٢) الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي، الموافقات، تحقيق: مشهور آل سليمان، د. م، دار ابن عفان، ط ١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

الأولى منها على مبادئ قيمة وضرورية في فهم القرآن والسنة وتحصيل مقاصدها، وهي ليست من المقاصد وإنما ضوابط لفهم مقاصد الشارع ومن هذه المسائل:

المسألة الأولى:

إن هذه الشريعة المباركة عربية لا مدخل فيها للألسن الأعجمية، والقرآن ليس فيه كلمة أعجمية عند جماعة من الأصوليين أو فيه ألفاظ أعجمية تكلمت بها العرب، وجاء القرآن على وفق ذلك فوقع فيه المعرب الذي ليس من أصل كلامها.

والمقصود في هذه المسألة أن القرآن نزل بلسان العرب على الجملة، فطلب فهمه إنما يكون من هذا الطريق خاصة لأن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ٢]، وقال تعالى: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمٌ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَبَيِّنَاتٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٤]، إلى غير ذلك من مما يدل على أنه عربي وبلسان عربي لا أنه أعجمي وبلسان العجم، فمن أراد تفهمه من جهة لسان العرب يفهم، ولا سبيل إلى تطلب فهمه من غير هذه الجهة^(١).

وفي المسألة الثانية:

من مسائل بيان قصد الشارع في وضع الشريعة للإفهام يقرر الشاطبي أن هذه الشريعة المباركة أمية لأن أهلها كذلك فهو أجرى على اعتبار المصالح أي أن تنزيل الشريعة على مقتضى حال المنزل عليهم أوفق برعاية المصالح التي يقصدها الشارع الحكيم، ويدل ذلك على عدة أمور أحدها:

الأول:

النصوص المتواترة اللفظ والمعنى كقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢].

(١) الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي، الموافقات، تحقيق: مشهور آل سليمان، د. م، دار ابن عفان، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ج ٢، ص ١٠١-١٠٣.

وقوله تعالى: ﴿...فَعَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨]. وفي الحديث قال رسول الله ﷺ: «إنا أمة أمية، لا نكتب ولا نحسب، الشهر هكذا وهكذا وهكذا» وعقد الإبهام في الثالثة «والشهر هكذا، وهكذا، وهكذا» يعني تمام ثلاثين (١).

وفسر الشاطبي معنى الأمية في الحديث أي ليس لنا علم بالحساب ولا بالكتاب، ونحوه قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكُمْ إِذَا لَأَزْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [العنكبوت، ٤٨] (٢).

والثاني:

أن الشريعة التي بعث بها النبي إلى العرب خصوصاً وإلى من سواهم عموماً، إما أن تكون على نسبة ما هم عليه من وصف الأمية أو لا، فإن كان كذلك فهو معنى كونها أمية، أي منسوبة إلى الأميين، وإن لم يكن كذلك لزم أن تكون على غير ما عهدوا فلم تكن لتتنزل من أنفسهم منزلة ما تعهد، وذلك خلاف ما وضع عليه الأمر فيها فلا بد أن تكون على ما يعهدون والعرب لم تعهد إلا ما وصفها الله به من الأمية فالشريعة إذاً أمية.

والثالث:

أنه لو لم يكن على ما يعهدون لم يكن عندهم معجزاً، ولكانوا يخرجون عن مقتضى التعجيز بقولهم: هذا على غير ما عهدنا، إذ ليس لنا عهد بمثل هذا الكلام، من حيث أن كلامنا معروف مفهوم عندنا وهذا ليس بمفهوم ولا معروف فلم تقم الحجة عليهم به، ولذلك قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ...﴾ [فصلت: ٤٤]. فجعل لهم الحجة على فرض كون القرآن أعجمياً، ولما قالوا: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣]، ولكنهم أذعنوا لظهور الحجة فدل على أن ذلك لعلمهم له وعهدهم بمثله مع العجز عن مماثلته (٣).

ثم يعتقد الشاطبي فصلاً يتحدث فيه عن العلوم التي كان للعرب اهتماماً بها، وأن الشريعة جاءت لتصحيح ما هو صحيح منها وإبطال ما هو باطل ومما جاء فيه: "واعلم أن العرب كان لها اعتناء بعلوم ذكرها الناس، وكان لعقلائهم اعتناء بكمال الأخلاق واتصاف بمحاسن الشيم فصحت الشريعة منها ما هو صحيح

(١) مسلم، صحيح مسلم، باب وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال، والفطر، ج ٢، ص ٧٦١، حديث رقم: ١٠٨٠.

(٢) ينظر: الموافقات، ج ٢، ص ١٠٩-١١١.

(٣) ينظر: الشاطبي، الموافقات، ج ٢، ص ١١١-١١٢.

وأبطلت ما هو باطل وبيّنت منافع ما ينفع من ذلك ومضار ما يضر منه ومن هذه العلوم: علم النجوم أو ما يختص بها من الاهتداء في البر والبحر واختلاف الأزمان باختلاف سيرها، وتعرف منازل سير النيرين وما يتعلق بهذا المعنى، وهو معنى مقرر في أثناء القرآن في مواضع كثيرة كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٩٧]. وقوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَنَّا بِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل: ١٦]. وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾ [الملك: ٥]. وقوله تعالى: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْتَهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ٣٩ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٣٩-٤٠] ، وأيضاً قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾ [الملك: ٥].

ومن هذه العلوم أيضاً: علوم الأنواء ^(١)، وأوقات نزول المطر وإنشاء السحاب وهبوب الرياح المثيرة لها فبين الشرع حقها من باطلها قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ أَلْبَرَقَ الْبَرْقِ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ١٢ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْحِمَالِ﴾ [الرعد: ١٢-١٣]، وقال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ١٦ ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ﴾ [الواقعة: ٦٨-٦٩]، وقوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا﴾ [النبا: ١٤].

ومنها علم التاريخ وأخبار الأمم الماضية، وفي القرآن من ذلك ما هو كثير وكذلك السنة، لكن القرآن احتفل في ذلك، وأكثره في الإخبار بالغيوب التي لم يكن للعرب بها علم لكنها من جنس ما كانوا ينتحلون قال تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُونَ أَفَلَمْهَرُمْ أَيُّهُمُ يَكْفُلُ مَرِيماً وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [آل عمران، ٤٤]، وقال تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَقِيبَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود: ٤٩]. ^(٢)

(١) الأنواء: هو علم مشابه لعلم الأرصاد الجوية مع اختلاف كبير من حيث القياسات والأرصاء، محمد، عماد، تاريخ علم الفلك من عصر الأهرامات إلى عصر الفضاء، د. م، المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع، ٢٠٠١م، ص ٩٧.

(٢) ينظر: الشاطبي، الموافقات، ج ٢، ص ١١٢-١٢١.

ثم ذكر العلوم التي كان أكثرها أو جميعها باطلاً كعلم العيافة ^(١)، والزجر ^(٢)، والكهانة ^(٣) وخط الرمل ^(٤)، والضرب بالحصى ^(٥)، والطيرة ^(٦)، فأبطلت الشريعة من ذلك الباطل، وأكثر هذه العلوم تخرص على علم الغيب مما هو حق محض وهو الوحي والإلهام، وأبقى للناس من ذلك بعد موته عليه السلام جزء من النبوة وهو الرؤيا الصالحة، وأنموذج من غيره لبعض الخاصة وهو الإلهام والفراسة.

ومنها علم الطب فقد كان في العرب منه شيء إلا ما عند الأوائل بل مأخوذ من تجارب الأميين غير مبني على علوم الطبيعة التي يقررها الأقدمون، وعلى ذلك المساق جاء في الشريعة لكن على وجه شاف قليل يطلع فيه على الكثير فقال تعالى: ﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ خُذُوْا زَيْتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوْا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوْا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِيْنَ﴾ [الأعراف: ٣١]، وجاء في الحديث الشريف التعريف ببعض الأدوية لبعض الأدواء، وأبطل من ذلك ما هو باطل كالتداوي بالخمير والرقى التي اشتملت على ما لا يجوز شرعاً ^(٧).

(١) العيافة: علم باحث عن تتبع آثار الأقدام، والأخفاف، والحوافر، في الطرق القابلة للأثر. حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني (١٠٦٧هـ)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، بغداد، مكتبة المتنبّي، ١٩٤١م، ج ٢، ص ١١٨١.

(٢) الزجر: أن يتشأم الإنسان من شيء تتأثر النفس من وروده على المسامع، أو المناظر، تأثراً لا بالطبع، فإن التنفر الطبيعي: كالنفرة من صوت صرير الزجاج أو الحديد، ليس من هذا القبيل. حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج ٢، ص ١٢١٦.

(٣) الكهانة: مناسبة الأرواح البشرية مع الأرواح المجردة. أي الجن والشياطين، والاستعلام بهم عن الأحوال الجزئية الحادثة في عالم الكون والفساد، المخصوصة بالمستقبل. حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج ٢، ص ١٥٢٤.

(٤) خط الرمل: علم يعرف به الاستدلال على أحوال المسألة حين السؤال، بأشكال الرمل. وهي: اثني عشر شكلاً، على عدد البروج. وأكثر مسائل هذا الفن: أمور تخمينية، مبنية على التجارب، فليس بتام الكفاية. حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج ١، ص ٩١٢.

(٥) الضرب بالحصى: ضرب من التكهّن والخط في التراب، يأخذ الكاهن حصيات، فيضرب بها الأرض، وينظر فيها، فيخبر بالمغيبات. الشاطبي، الموافقات، من تعليق عبد الله دراز على الموافقات، ج ٢، ص ١١٩.

(٦) الطيرة: عكس الفأل، فإن المطلوب في الفأل: طلب الإقدام. وفي الطيرة: طلب الإحجام. وأمثاله، من الطيرة في العرب كثيرة، وقد تكون في غيرهم فيتكدر به عيشهم، وينفتح عليهم أبواب الوسوسة، من اعتبارهم إلى المناسبات البعيدة، من: حيث اللفظ، والمعنى. كالسفر، والجلاء من: السفرجل. واليأس، والمين من: الياسمين. حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج ٢، ص ١٢١٦.

(٧) ينظر: الشاطبي، الموافقات، ج ٢، ص ١١٢-١٢١.

وفي المسألة الثالثة:

من مسائل بيان قصد الشارع في وضع الشريعة للإفهام يبين الشاطبي القواعد التي تبنى على ما تم تقريره من أمية الشريعة، ومن هذه القواعد: إن كثيراً من الناس تجاوزوا في الدعوى على القرآن الحد فأضافوا إليه كل علم يذكر للمتقدمين أو المتأخرين من علوم الطبيعيات والتعاليم والمنطق وعلم الحروف وجميع ما نظر فيه الناظرون من هذه الفنون وأشباهها، وهذا إذا عرضناه على ما تقدم لم يصح، وإلى هذا فإن السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن يليهم كانوا أعرف بالقرآن وعلومه وما أودع فيه ولم يبلغنا أن تكلم أحد منهم في شيء من هذا المدعى وما ثبت فيه من أحكام التكاليف وأحكام الآخرة وما يلي ذلك ولو كان لهم في ذلك خوض ونظر لبلغنا منه ما يدلنا على أصل المسألة إلا أن ذلك لم يكن، فدل ذلك على أنه غير موجود عندهم، وذلك دليل على أن القرآن لم يقصد فيه تقرير لشيء مما زعموا، نعم تضمن علوماً من جنس علوم العرب أو ما ينبني على معهودها مما يتعجب منه أولو الأبواب ولا تبلغه إدراكات العقول الراجحة دون الاهتداء بإعلامه والاستتارة بنوره، أما أن فيه ما ليس من ذلك، فلا^(١).

ثم أخذ الشاطبي بعد هذا في ذكر ما استند إليه أرباب التفسير العلمي من الأدلة فقال: "وربما استدلوا وَرَحْمَةً وَيُشْرَى عَلَى دَعْوَاهُمْ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿... وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى لِّلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]، وقوله تعالى: ﴿... مَا قَرَّظْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٨]، ونحو ذلك، وبفواتح السور وهي مما لم يعهد عند العرب، وبما نقل عن الناس فيها، وربما حكي من ذلك عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وغيره أشياء.

فأما الآيات، فالمراد بها عند المفسرين ما يتعلق بحال التكليف والتعبد، أو المراد بالكتاب في قوله تعالى: ﴿... مَا قَرَّظْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٨]. اللوح المحفوظ، ولم يذكروا فيها ما يقتضي تضمنه لجميع العلوم العقلية والعقلية.

وأما فواتح السور، فقد تكلم الناس فيها بما يقتضي أن للعرب بها عهداً، كعدد الجمل الذي تعرفوه من أهل الكتاب، أو هي من المتشابهات التي لا يعلم تأويلها إلا الله تعالى، وغير ذلك، وأما تفسيرها بما لا عهد به، فلا يكون، ولم يدعه أحد ممن تقدم؛ فليس بجائز أن يضاف إلى القرآن ما لا يقتضيه.^(٢)

(١) ينظر: الشاطبي، الموافقات، ج ٢، ص ١٢٧-١٢٨.

(٢) المرجع السابق، ج ٢، ص ١٢٩-١٣١.

كما أنه لا يصح أن ينكر منه ما يقتضيه، ويجب الاقتصار في الاستعانة على فهمه على كل ما يضاف علمه إلى العرب خاصة، فبه يوصل إلى علم ما أودع من الأحكام الشرعية، فمن طلبه بغيره ما هو أداة له، ضل عن فهمه، وتقول على الله ورسوله فيه، والله أعلم وبه التوفيق^(١). وهكذا نرى كيف دعم الشاطبي فكرته ورأيه في إنكار الاتجاه العلمي في تفسير القرآن بطريقة الأصوليين ومنهجهم في بحث القضايا^(٢).

ثانياً: أبو حيان الأندلسي^(٣) (١٣٤٤هـ/١٧٤٥م)

صنف بعض العلماء أبو حيان الأندلسي من المعارضين للتفسير العلمي والرافضين لهذا الاتجاه في التفسير، لا عجزاً منه، وإنما عمدًا وقصدًا، لعدم الخروج عن حدود التفسير المقبول عنده^(٤). فقد حمل أبو حيان الأندلسي في تفسيره البحر المحيط على الفخر الرازي لنزعته العلمية في التفسير، وأيضاً على من نحا نحو الاتجاه العلمي في تفسير القرآن، وسمى هذا الاتجاه فضولاً وتخليطاً وتخبيطاً، وأنه لا بد من إرجاع كل قاعدة في علم من العلوم في تقريرها إلى ذلك العلم، وأخذها مسلمة من ذلك العلم دون الإطالة بذكرها في علم التفسير، على شاكلة قوله في تفسير قوله تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٦]. يقول: وقد تكلم المفسرون في حقيقة النسخ الشرعي وأقسامه وما اتفق عليه منه، وما اختلف فيه وفي جوازه عقلاً ووقوعه شرعاً، وبماذا ينسخ وغير ذلك من أحكام النسخ ودلائل تلك الأحكام، وطولوا في ذلك. وهذا كله موضوعه علم الفقه، فيبحث ذلك كله فيه.^(٥)

(١) الشاطبي، الموافقات، ج ٢، ص ١٣١.

(٢) ينظر: المحتسب، عبد المجيد، اتجاهات التفسير في العصر الراهن، ص ٣٠٢.

(٣) أبو حيان الأندلسي: محمد بن يوسف بن علي بن يوسف ابن حَيَّان الغرناطي الأندلسي الجبالي. من كبار العلماء بالعربية والتفسير والحديث والتراجم واللغات. ولد في إحدى جهات غرناطة سنة ٦٥٤هـ/١٢٥٦م، ورحل إلى مالقة. وتقل إلى أن أقام بالقاهرة. وتوفي فيها سنة ٧٤٥هـ/١٣٤٤م، بعد أن كف بصره. واشتهرت تصانيفه في حياته وقرئت عليه. من كتبه: "البحر المحيط" في تفسير القرآن ثمانين مجلدات، و"النهر" اختصر به البحر المحيط، و"مجانى العصر" في تراجم رجال عصره. الزركلي، خير الدين، الأعلام، ج ٧، ص ١٥٢.

(٤) ينظر: المحتسب، عبد المجيد، اتجاهات التفسير في العصر الراهن، ص ٢٩٥؛ الرومي، فهد، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، ج ٢، ص ٥٦١؛ الرومي، فهد، دراسات في علوم القرآن، ج ١، ص ٢٩٣.

(٥) ينظر: أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف بن علي (٧٤٥هـ)، البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي جميل، بيروت، دار الفكر، ١٤٢٠هـ، ج ١، ص ٥٤٧.

وهكذا جرت عادتنا: أن كل قاعدة في علم من العلوم يرجع تقريرها إلى ذلك العلم، ولا نطول بذكر ذلك في علم التفسير، فنخرج عن علم التفسير، كما فعله أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي، فإنه جمع في كتابه في التفسير أشياء كثيرة طويلة لا حاجة بها في علم التفسير، ولذلك حكى عن بعض المتطرفين من العلماء أنه قال: فيه كل شيء إلا التفسير. وقد ذكرنا في الخطبة ما يحتاج إليه علم التفسير. فمن زاد على ذلك، فهو فضول في هذا العلم، ونظير ما ذكره الرازي وغيره، أن النحوي مثلاً يكون قد شرع في وضع كتاب في النحو، فشرع يتكلم في الألف المنقلبة، فذكر أن الألف في الله، أي منقلبة من ياء أو واو؟ ثم استطرد من ذلك إلى الكلام في الله تعالى، فيما يجب له ويجوز عليه ويستحيل.

ثم استطرد إلى جواز إرسال الرسل منه تعالى إلى الناس. ثم استطرد إلى أوصاف الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم استطرد من ذلك إلى إعجاز ما جاء به القرآن وصدق ما تضمنه، ثم استطرد إلى أن من مضمونه البعث والجزاء بالثواب والعقاب. ثم المثابون في الجنة لا ينقطع نعيمهم، والمعاقبون في النار لا ينقطع عذابهم. فبينما هو في علمه يبحث في الألف المنقلبة، إذا هو يتكلم في الجنة والنار، ومن هذا سبيله في العلم، فهو من التخليط والتخبيط في أقصى درجة^(١).

ثم يستشهد على ذلك بقول أبي جعفر الثقفي فيما معناه: إذا رأيت الرجل ينتقل من فن إلى فن في البحث أو التصنيف فاعلم أن ذلك إما لقصور علمه بذلك الفن أو لتخليط في ذهنه وعدم إدراكه، حيث يظن أن المتغيرات متماثلات^(٢).

المطلب الثاني: أبرز العلماء المعاصرين المانعين للإعجاز العلمي في القرآن الكريم

إذا كان الاتجاه إلى معارضة التفسير العلمي قديماً، فإن هذه المعارضة امتدت إلى العصر الحديث، فقد عارض الكثير من العلماء والمفكرين المعاصرين الاتجاه العلمي في تفسير القرآن الكريم وما يتبعه من إعجاز، منتقدين بذلك من يستخرج النظريات العلمية من الآيات القرآنية، ويعتبر القرآن الكريم كتاب علم مثل الفيزياء والكيمياء والهندسة والبيولوجيا^(٣) ونذكر من هؤلاء العلماء:

(١) ينظر: أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف بن علي (-٧٤٥هـ)، البحر المحيط في التفسير، ج ١، ص ٥٤٧.

(٢) ينظر: المرجع السابق، ج ٢، ص ٥٤٨.

(٣) ينظر: المحتسب، عبد المجيد، اتجاهات التفسير في العصر الراهن، ص ٣١٤، شلبي، هند، التفسير العلمي للقرآن الكريم بين النظريات والتطبيق، ص ٣٦.

أولاً: محمود شلتوت (١) (-١٣٨٣هـ/١٩٦٣م)

يعتبر محمود شلتوت من أبرز المعارضين للتفسير العلمي وأشهرهم في العصر الحديث (٢). تناول محمود شلتوت قضية التفسير العلمي للقرآن بالبحث في مقدمة "تفسير القرآن الكريم الأجزاء العشرة الأولى"، حيث تحدث في هذه المقدمة عن ناحيتين يجب تنزيه القرآن عنهما، كما يرى أنه من الخير أن يظل القرآن بعيداً عنهما احتفاظاً بقدسيته وجلاله، وهاتان الناحيتان هما: ناحية استخدام آيات القرآن الكريم لتأييد الفرق والاختلافات المذهبية، وناحية استنباط العلوم الكونية والمعارف النظرية الحديثة منه. هذه الناحية التي اشتغل بها طائفة المتقفين الذين أخذوا بطرق العلم الحديث وتلقفوا بعض النظريات العلمية والفلسفية والصحية وغيرها، وأخذوا يستندون إلى ثقافتهم الحديثة لتفسير آيات القرآن الكريم على مقتضى هذه النظريات العلمية.

وقد أول هؤلاء العلماء قوله تعالى: ﴿... مَا فَرَضْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٨] على نحو زين لهم أن يفتحوا في القرآن فتحاً جديداً، ففسروه على أساس النظريات العلمية المستحدثة، وطبقوا آياته على ما وقفوا عليه من قواعد العلوم الكونية، ظناً منهم أنهم بذلك يخدمون القرآن، ويرفعون من شأن الإسلام، ويدعون له في الأوساط العلمية والثقافية (٣).

ثم عرض لبعض الآيات التي فسرت ببعض النظريات العلمية، وقد تغافل مفسروها عن المعنى الأسمى لهذه الآيات فيقول: ومن عجيب ما رأينا في هذا النوع أن يفسر بعض الناظرين في القرآن قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ۝ يَغْشَىٰ النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الدخان: ١٠-١١]. بما ظهر في هذا العصر من الغازات السامة والخانقة التي أنتجها العقل البشري فيما أنتج من وسائل التخريب والتدمير، يفسرون الآية بهذا ويغفلون عن قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ [الدخان: ١٢]. وينتقد من ينحو نحو الاتجاه العلمي في تفسير القرآن الكريم في العصر الحديث واصفاً إياهم بأنهم بقايا قوم سالفين

(١) محمود شلتوت: فقيه مفسر مصري. ولد في منية بني منصور بالبحيرة سنة ١٣١٠هـ/١٨٩٣م، وتخرج بالأزهر ١٩١٨م، وانتقل في التدريس إلى أن نقل للقسم العالي بالقاهرة (١٩٢٧) وكان داعية إصلاح نير الفكرة. له ٢٦ مؤلفاً مطبوعاً، منها "التفسير"، و"حكم الشريعة في استبدال النقد بالهدي"، و"القرآن والمرأة". توفي سنة ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م. الزركلي، خير الدين، الأعلام، ج ٧، ص ١٧٢.

(٢) ينظر: الرومي، فهد، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، ج ٢، ص ٥٧٨، المحتسب، عبد المجيد، اتجاهات التفسير في العصر الراهن، ص ٣٠٣، الذهبي، محمد حسين، التفسير والمفسرون، ج ٢، ص ٣٨٠، عباس، فضل، التفسير والمفسرون في العصر الحديث، ص ٢٥٤.

(٣) ينظر: شلتوت، محمود، تفسير القرآن الكريم الأجزاء العشرة الأولى، القاهرة، دار الشروق، ط ١٢، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م، ص ١١-١٠.

فكروا مثل هذا التفكير، لكن على حسب ما كانت توحى به إليهم أحوال أزمانهم، وحاولوا أن يخضعوا القرآن لما كان عندهم من نظريات علمية أو فلسفية أو سياسية. ولسنا نستبعد إذا راجت عند الناس في يوم ما نظرية دارون^(١) مثلاً أن يأتي إلينا مفسر من هؤلاء المفسرين الحديثين فيقول: إن نظرية داروين قد قال بها القرآن منذ عشرات السنين.^(٢)

ثم يعقب بعد سرده للعديد من الآيات التي فسرت تفسيراً علمياً مبيناً جوانب الخطأ في هذا الاتجاه من التفسير بقوله: وهذه النظرة للقرآن خاطئة من غير شك لأن الله لم ينزل القرآن ليكون كتاباً يتحدث فيه إلى الناس عن نظريات العلوم ودقائق الفنون وأنواع المعارف.

وهي خاطئة من غير شك، لأنها تحمل أصحابها والمغرمين بها على تأويل آيات القرآن تأويلاً متكلفاً يتنافى مع الإعجاز ولا يسيغه الذوق السليم.

وهي خاطئة لأنها تعرض القرآن للدوران على مسائل العلوم في كل زمان ومكان، والعلوم لا تعرف الثبات ولا القرار ولا الرأي الأخير، فقد يصح اليوم في نظر العلم ما يصبح غداً من الخرافات، ولو طبقنا القرآن على هذه المسائل العلمية المتقلبة لعرضناه للتقلب معها وتحمل تبعات الخطأ فيها ولأوقفنا أنفسنا بذلك موقفاً محرراً في الدفاع عنه^(٣).

ثم يدعو شلتوت إلى الحفاظ على قدسية القرآن ومهابته، وأن ندع له مهابته وجلاله، ولنعلم أن ما تضمنه من أسرار الخلق وظواهر الطبيعة إنما هو بقصد الحث على التأمل والبحث والنظر ليزداد الناس إيماناً مع إيمانهم، وحسبنا أن القرآن لم يصادم ولن يصادم أي حقيقة علمية تطمئن لها العقول^(٤).

وبذلك نجد أن محمود شلتوت يرفض هذا اللون من التفسير ويعتبره مما يجب تنزيه التفسير عنه، ويدعو إلى أن ندع للقرآن مهابته وجلالته بعيداً عن نظريات العلوم المتغيرة، ولكنه يقر بأن القرآن لم ولن يصادم أي حقيقة علمية. وربما كان موقفه هذا ردة فعل لما شاهده من تجرؤ الكثير من المفسرين ونحوهم على آيات

(١) دارون: عالم تاريخ طبيعي وجيولوجي بريطاني، ولد في إنجلترا سنة ١٨٠٩م. اكتسب داروين شهرته كمؤسس لنظرية التطور والتي تنص على أن كل الكائنات الحية على مر الزمان تنحدر من أسلاف مشتركة، وقام باقتراح نظرية تتضمن أن هذه الأنماط المتفرعة من عملية التطور ناتجة لعملية وصفها بالانتقاء (الانتخاب) الطبيعي، وكذلك الصراع من أجل البقاء له نفس تأثير الاختيار الصناعي المساهم في التكاثر الانتقائي للكائنات الحية. www.wikipedia.org

(٢) ينظر: شلتوت، محمود، تفسير القرآن الكريم الأجزاء العشرة الأولى، ص ١٣.

(٣) ينظر: شلتوت، محمود، تفسير القرآن الكريم الأجزاء العشرة الأولى، ص ١٣-١٤.

(٤) ينظر: المرجع السابق، ص ١٤.

القرآن يفسرونها وفق النظريات العلمية دون التفريق بين حقها وباطلها، الأمر الذي أوقعهم في حرج شديد عند ظهور بطلان ما استندوا إليه من نظريات (١).

ثانياً: محمود شاكر (٢) (-١٤١٨هـ/١٩٩٧م)

يختلف رأي محمود شاكر عن سابقه ممن عارضوا التفسير العلمي كالشاطبي، ومحمود شلتوت، فهو يفرق بين قضيتين:

الأولى: أن تفسر آيات القرآن الكريم بحقائق العلم الثابتة لا بنظرياته.

الثانية: أن تكون هذه الحقائق العلمية والدقائق الكونية وجهاً من وجوه الإعجاز وقع بها التحدي.

فيرى أن لا مانع من أن يكون القرآن قد أشار في بعض آياته إلى حقائق ودقائق تشريعية وتاريخية وعلمية وكونية، ولكنه لا يرى أن هذه الحقائق من وجوه الإعجاز لأنه لم يقع بها التحدي وإنما كان التحدي بأسلوب القرآن ونظمه لا بشيء خارج عن ذلك. كما أن القرآن المعجز هو البرهان القاطع على صحة النبوة، أما صحة النبوة فليست دليلاً على إعجاز القرآن، وهذا يقتضي أن جملة ما في القرآن من حقائق الأخبار عن الأمم السابقة، ومن أنباء الغيب، ومن دقائق التشريع، ومن عجائب الدلالات على ما لا يعرفه البشر من أسرار الكون إلا بعد القرون المتطاولة من تنزيله، كل ذلك بمعزل عن الذي طوّل به العرب وهو إعجاز القرآن المتمثل في نظمه وبيانه وانفكاكه من نظم البشر وبيانهم (٣).

ثالثاً: أمين الخولي (٤) (-١٣٥٨هـ/١٩٦٦م)

يعتبر أمين الخولي من أبرز المعارضين للتفسير العلمي وما يتبعه من إعجاز علمي من ناحية شدة رفضه لهذا اللون من التفسير (٥).

(١) ينظر: الرومي، فهد، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، ج ٢، ص ٥٨٠.

(٢) محمود شاكر: أديب مصري، ولد في الإسكندرية في سنة ١٩٠٩م. دافع عن العربية في مواجهة التغريب. من مؤلفاته: "مداخل إعجاز القرآن"، "قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام". توفي سنة ١٤١١هـ/١٩٩٧م. www.wikipedia.org.

(٣) ينظر: محمود شاكر، مقدمة كتاب الظاهرة القرآنية لمالك بن نبي، دمشق، دار الفكر، ط ٤، ١٩٨٧م، ص ٢٤-٢٩، عباس، فضل، إعجاز القرآن الكريم، ص ٢٥٧.

(٤) أمين الخولي: ولد في قرية شوشاي بالمنوفية سنة ١٣١٣هـ/١٨٩٥م، وتعلم بالأزهر تخرج بمدرسة القضاء الشرعي، له "البلاغة العربية" محاضرة، "مالك بن أنس" ثلاثة أجزاء. توفي سنة ١٣٥٨هـ/١٩٦٦م. الزركلي، خير الدين، الأعلام، ج ٢، ص ١٦.

(٥) ينظر: الذهبي، محمد، التفسير والمفسرون، ج ٢، ص ٣٨٠، الرومي، فهد، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، ج ٢، ص ٥٨٠.

ففي كتابه " التفسير معالم حياته منهجه اليوم" ^(١) ينكر على من قال باشتمال القرآن على جميع العلوم من العلماء القدماء كالغزالي والفخر الرازي، كما ينكر ذلك على المعاصرين الذين استخدموا هذا اللون من التفسير ليكون وجهاً من وجوه الإعجاز العلمي للقرآن، أو بيان صلاحية الإسلام للحياة، وعلى رأسهم طنطاوي جوهرى والذي اعتبره من أكثر من جمع وأطال في هذا المجال.

وقد عقد الخولي بحثاً بعنوان " إنكار التفسير العلمي" ذكر فيه قدم الاتجاه في التفسير العلمي، وقدم المخالفة في صحته، وعرض فيه أدلة الشاطبي وأقواله في إنكار هذا اللون من التفسير ^(٢)، ثم عقب على ذلك بقوله: "وإذا كان هذا هو الرأي القديم العهد في فهم القرآن فهماً يجعله مصدر العلوم المختلفة، ويأخذ كلمه باصطلاحات حادثة بعده بأزمة غير قصيرة؛ فإنك لتضم إلى هذا البيان من النظرات الحديثة ما يؤيده ويعززه؛ فمناها:

- ١- الناحية اللغوية في حياة الألفاظ وتدرج دلالتها، لو ملكتنا منها ما لا بُدُّ لنا أن نملكه في تحديد هذا التدرج، وتاريخ ظهور المعاني المختلفة للكلمة الواحدة، وعهد استعمالها فيها؛ لوجدنا من ذلك ما يحول بيننا وبين هذا التوسع العجيب في فهم ألفاظ القرآن، وجعلها تدل على معاني وإطلاقات لم تعرف لها ولم تستعمل فيها، أو إن كانت تلك الألفاظ قد استعملت في شيء منها، فباصطلاح حادث في الملة بعد نزول القرآن بأجيال. ^(٣)
- ٢ -الناحية الأدبية أو البلاغية -إن شئت- والبلاغة -فيما يقال- مطابقة الكلام لمقتضى الحال، فهل كان القرآن على هذا النحو المتوسع من التفسير العلمي كلاماً يوجه إلى مَنْ خُوطب به من الناس في ذلك العهد، مراداً به تلك المعاني المذكورة، مع أنها معانٍ من العلم لم تعرفها الدنيا إلا بعدما جازت آماداً فسيحة، وجاهدت جهاداً طويلاً، ارتقى به عقلها وعلمها!!! وهب هذه المعاني العلمية المدعاة كانت هي المعاني المرادة بالقرآن، فهل فهمها أهل العربية منه إذا ذاك وأدركوها؟! وإذا كانوا قد فهموها فما لنهضتهم العلمية في علوم الحياة المختلفة لم تبدأ بظهور القرآن، ولم تقم على هذه الآيات الشارحة لمختلف نظريات العلوم المفهومة لدقائقها!! وإن كانت لم تفهم منها، ولم يدركها أصحاب اللغة الخُص من عبارتها كما هو الواقع فعلاً فكيف تكون معاني القرآن المرادة؟ وكيف تكون تلك الألفاظ مفهومة لها؟ وهل هذه هي المطابقة لمقتضى الحال؟! ^(٤)

(١) الخولي، محمد أمين، التفسير معالم حياته منهجه اليوم، القاهرة، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٣م.

(٢) ينظر: الرومي، فهد، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، ج ٢، ص ٥٨٠.

(٣) ينظر: الخولي، أمين، مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير، القاهرة، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٣م، ص ٢٢١.

(٤) ينظر: الخولي، أمين، مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير، ص ٢٢٢.

٣- وهناك الناحية الدينية أو الاعتقادية؛ وهي التي تبين مهمة كتاب الدين، وهل هو كتاب يتحدث إلى عقول الناس وقواهم العالمة عن مشكلات الكون وحقائق الوجوه العلمية؟ وكيف يساير ذلك حياتهم ويكون أصلاً ثابتاً لها تختتم به الرسائل السماوية كما هو الشأن في القرآن، مع أن هؤلاء المتدينين لا يقفون من معرفة هذه الحقائق عند غاية محدودة، ولا ينتهون منها عند مدى ما! فكيف تؤخذ جوامع الطب والفلك والهندسة والكيمياء من القرآن على نحو ما سمعت آنفاً، وهي جوامع لا يضبطها اليوم أحد إلا تغير ضبطه لها بعد يسير من الزمن أو كثير، وما ضبطه منها القدماء قد تغير عليهم فيما مضى، ثم تغير تغيراً عظيماً فيما تلا!! والحق البين أن كتاب الدين لا يُعنى بهذا من حياة الناس، ولا يتولاه بالبيان، ولا يكفيهم مؤنته حتى يلتمسوه عنده، ويعدوه مصدراً فيه^(١).

يرى الخولي أن اتجاه المؤيدين المعاصرين للتفسير العلمي أو ما يسميهم بذوي النوايا الطيبة في جعل الارتباط بين كتاب الدين والحقائق العلمية المختلفة ناحية من نواحي بيان صدقه أو إعجازه أو صلاحيته للبقاء ضرره أكثر من نفعه، وإن كانوا قد سلكوا هذا الاتجاه للدفاع عن مناقضة العلم للدين، فيكفيهم أنه لا يوجد في كتاب الله نص صريح يصادم حقيقة علمية يكشف البحث أنها من نواميس الكون ونظم وجوده، وحسب كتاب الدين بهذا القدر من صلاحيته للحياة ومسايرة العلم خلاصاً من النقد، وخير لأصحاب هذه الرغبات الذين يبينون الصدق والإعجاز أو الصلاحية لكتاب الله بهذا النحو من التفسير العلمي ألا يتكلفوا في ربط الكتاب بالعلم، وإن كانوا لابد فاعلين فحسبهم ألا يكون في القرآن نص صريح يصادم حقيقة علمية دون أن يمكن التوفيق بينه وبينها... والقرآن غني على أن يعتز بمثل هذا التكلف الذي يوشك أن يخرج به عن هدفه الإنساني الاجتماعي في إصلاح الحياة ورياضة نفوس الناس جميعاً على اختلاف حظهم من العلوم الطبيعية والرياضية وما إليها.^(٢)

(١) ينظر: الخولي، أمين، *مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير*، ص ٢٢٢.

(٢) ينظر: المرجع السابق، ص ٢٢٣.

رابعاً: محمد حسين الذهبي^(١) (١٣٩٦هـ/١٩٧٧م)

أما محمد حسين الذهبي فليس أقل معارضة للتفسير العلمي من الخولي، فنجد كـالـخـولـي يعقد فصلاً خاصاً في كتابه "التفسير والمفسرون" تحت عنوان إنكار التفسير العلمي، يتحدث فيه عن إنكار الشاطبي للتفسير العلمي، ثم يبين رأيه في هذا اللون من التفسير حيث يعتقد أن الحق مع الشاطبي في موقفه المعارض للتفسير العلمي، لأن الأدلة التي ساقها لتصحيح مدعاه أدلة قوية لا يعترها الضعف ولا يتطرق إليها الخل، كما أنه أجاب على أدلة مخالفه إجابات سديدة دامغة لا تثبت أمام حججهم، ولا يبقى معها مدعاهم. ثم ذكر الذهبي بعض الأمور التي تقوي اعتقاده بأن الحق في جانب الشاطبي ومن لفّ لفّه ومن هذه الأمور:

أولاً: الناحية اللغوية

وذلك أن الألفاظ اللغوية لم تقف عند معنى واحد من لدن استعمالها إلى اليوم، بل تدرجت حياة الألفاظ وتدرجت دلالاتها، فكان لكثير من الألفاظ دلالات مختلفة، ونحن وإن كنا لا نعرف شيئاً عن تحديد هذا التدرج، وتاريخ ظهور المعاني المختلفة للكلمة الواحدة نستطيع أن نقطع بأن بعض المعاني للكلمة الواحدة حادث باصطلاح أرباب العلوم والفنون، فهناك معان لغوية، وهناك معان شرعية، وهناك معان عرفية، وهذه المعاني كلها تقوم بلفظ واحد، بعضها عرفته العرب وقت نزول القرآن نظراً لحدوثه وطوره على اللفظ، فهل يعقل بعد ذلك أن نتوسع هذا التوسع العجيب في فهم ألفاظ القرآن وجعلها تدل على معان جدّت باصطلاح حادث، ولم تعرف للعرب الذين نزل القرآن عليهم، وهل يعقل أن الله تعالى إنما أراد بهذه الألفاظ القرآنية هذه المعاني التي حدثت بعد نزول القرآن بأجيال، في الوقت الذي نزلت فيه هذه الألفاظ من عند الله، وتليت أول ما تليت على من كان حول النبي ﷺ؟ أعتقد أن هذا الأمر لا يعقله إلا من سفه نفسه وأنكر عقله.^(٢)

ثانياً: الناحية البلاغية

عرفت البلاغة بأنها مطابقة الكلام لمقتضى الحال، ومعلوم أن في القرآن أعلى درجات البلاغة، فإذا نحن ذهبنا مذهب أرباب التفسير العلمي وقلنا بأن القرآن متضمن لكل العلوم وألفاظه متحملة لهذه المعاني

(١) محمد حسين الذهبي: وزير الأوقاف المصري الأسبق. ولد في مدينة مطوبس في محافظة كفر الشيخ سنة ١٩٧٧م. التحق بكلية الشريعة جامعة الأزهر وتخرج منها عام ١٩٣٩م. حصل الذهبي على درجة الدكتوراة في علوم القرآن عام ١٩٤٦م من كلية أصول الدين في جامعة الأزهر وذلك عن رسالته "التفسير والمفسرون" التي أصبحت بعد نشرها أحد المراجع الرئيسة في علم التفسير، توفي سنة ١٣٩٦هـ/١٩٧٧م . www.wikipedia.org

(٢) ينظر: الذهبي، محمد حسين، التفسير والمفسرون، ج ٢، ص ٣٦٠.

المستحدثة لأوقعنا أنفسنا في ورطة لا خلاص منها إلا بما يחדش بلاغة القرآن، أو يذهب ببطانة العرب، وذلك لأن من خوطبوا بالقرآن وقت نزوله إن كانوا يجهلون هذه المعاني، وكان الله يريد لها في خطابه إياهم لزم على ذلك أن يكون القرآن غير بليغ، لأنه لم يراع حال المخاطب، وهذا سلب لأهم خصائص القرآن الكريم، وإن كانوا يعرفون هذه المعاني فلم لم تظهر نهضة العرب العلمية من لدن نزول القرآن الذي حوى على علوم الأولين والآخرين؟ ولم لم تقم نهضتهم العلمية على هذه الآيات الشارحة لمختلف العلوم وسائر الفنون؟ وهذا أيضاً سلب لأهم خصائص العرب ومميزاتهم.^(١)

ثالثاً: الناحية الاعتقادية

القرآن الكريم باق ما تعاقب الملوان^(٢)، ونظامه نافع لكل عصر وزمان، فهو يتحدث إلى عقول الناس جميعاً من لدن نزوله إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهو يساير حياتهم في كل ما يمرون به من مراحل الزمن، وهذا كله بحكم كونه كتاب الشريعة العامة الشاملة وقانون الدين الذي جعله الله خاتم شرائع السماوات إلى أهل الأرض^(٣).

ويدعم الذهبي نزعته المعارضة للتفسير العلمي بقوله: لو قمنا بتحميل القرآن الكريم كافة أنواع العلوم لأوقعنا الشك في عقائد المسلمين نحو القرآن، وذلك لأن قواعد العلوم ونظرياته لا قرار لها ولا بقاء، وقد يوجد بينها تناف وتضاد، كما يرى أن أنصار فكرة التفسير العلمي لم يؤيدوها إلا بعد أن نظروا إليها كوجه من وجوه إعجاز القرآن وبيان صلاحيته للحياة وتمشيه معها على اختلاف أحوالها وتطور أزمانها، فإعجاز القرآن الكريم غني عن أن يسلك في بيانه هذا المسلك المتكلف الذي قد يذهب بالإعجاز، فهناك من ألوان الإعجاز غير هذا ما يشهد للقرآن بأنه كتاب الله المنزل على محمد ﷺ^(٤).

وهكذا نجد أن محمد حسين الذهبي ينكر الاتجاه العلمي في تفسير القرآن الكريم واصفاً إياه بالاتجاه المنحرف، وأنه من الخير ألا يسلك هذا المسلك في تفسير القرآن بدعوى إظهار إعجاز القرآن وصلاحيته

(١) ينظر: الذهبي، محمد حسين، التفسير والمفسرون، ج ٢، ص ٣٥٩-٣٦٠.

(٢) الملوان: الليل والنهار. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج ١٥، ص ٢٩١.

(٣) ينظر: الذهبي، محمد حسين، التفسير والمفسرون، ج ٢، ص ٣٥٩-٣٦٠.

(٤) ينظر: المرجع السابق، ج ٢، ص ٣٦١.

للتمشي مع التطور الزمني، وحسب القرآن أنه يمكن التوفيق بينه وبين ما جدَّ ويجدّ من نظريات وقوانين علمية تقوم على أساس من الحق وتستند إلى أصل صحيح^(١).

خامساً: محمد رشيد رضا (-١٣٥٤هـ/١٩٣٥م)

صنفه بعض العلماء ضمن المعارضين للتفسير العلمي في العصر الحديث^(٢)، فعلى الرغم من وجود النزعة العلمية في التفسير عند أستاذه محمد عبده، إلا أن محمد رشيد رضا ينعي في مقدمة تفسيره المنار على من اتجهوا اتجاهاً علمياً في التفسير معتبراً أنه من سوء حظ المسلمين أن أكثر ما كتب في التفسير يشغل قارئه عن المقاصد العالية والهداية السامية، فمنها ما يشغله عن القرآن بمباحث الإعراب وقواعد النحو ونكت المعاني ومصطلحات البيان، ومنها ما يصرفه عنه بجدل المتكلمين وتخريجات الأصوليين واستنباطات الفقهاء المقلدين وتأويلات المتصوفين وتعصب الفرق والمذاهب بعضها على بعض، وبعضها يلفته عنها بكثرة الروايات وما مزجت به من خرافات الإسرائيليات، وقد زاد الفخر الرازي صارفاً آخر عن القرآن هو ما يورده في تفسير العلوم الرياضية والطبيعية وغيرها من العلوم الحادثة في الملة على ما كانت عليه في عهده، كالهئية الفلكية اليونانية وغيرها، وقلده بعض المعاصرين بإيراد مثل ذلك من علوم هذا العصر وفنونه الكثيرة الواسعة فهو يذكر فيما يسميه تفسير الآية فصولاً طويلةً بمناسبة كلمة مفردة كالسماء والأرض من علوم الفلك والنبات والحيوان تصد قارئها عما أنزل الله لأجله القرآن^(٣).

وعلى الرغم من معارضة رشيد رضا للتفسير العلمي في مقدمة تفسيره المنار إلا أننا نجده يعرض لهذا التفسير في كثير من مواضع تفسيره، وهذا ما دفع بعض العلماء إلى تصنيفه من المؤيدين للتفسير العلمي^(٤).

(١) ينظر: الذهبي، محمد حسين، الاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن دوافعها ودفعها، القاهرة، مكتبة وهبة، ط٣، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ص ٩١.

(٢) ينظر: المحتسب، عبد المجيد، اتجاهات التفسير في العصر الراهن، ص ٣٠٢، الذهبي، محمد حسين، التفسير والمفسرون، ج ٢، ص ٣٨٠.

(٣) ينظر: رضا، محمد رشيد، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، ج ١، ص ٨.

(٤) ينظر: الرومي، فهد، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، ج ٢، ص ٥٦٧، عباس، فضل، التفسير والمفسرون أساسياته واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث، ص ٢٦١.

وفي الوجه السابع من وجوه إعجاز القرآن التي ذكرها في تفسيره المنار نجده يقر اشتغال القرآن على تحقيق كثير من المسائل العلمية والتاريخية التي لم تكن معروفة في عهد نزوله ثم عرفت بع ذلك بما انكشف للباحثين والمحققين من طبيعة الكون وتاريخ البشر وسنن ذلك في الخلق. (١)

كما نجد في تفسير المنار الكثير من الآيات التي فسرت تفسيراً علمياً، ومنها قوله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾ [الحجر: ١٩]. "إن هذه الآية هي أكبر مثال للعجب بهذا التعبير (موزون)، فإن علماء الكون الأخصائيين في علوم الكيمياء والنبات قد أثبتوا أن العناصر التي يتكون منها النبات مؤلفة من مقادير معينة في كل نوع من أنواعه بدقة غريبة لا يمكن ضبطها إلا بأدق الموازين المقدر من أعشار الغرام والمليغرام، وكذلك نسبة بعضها إلى بعض في كل نبات. أعني أن هذا التعبير بلفظ كل (المضاف) إلى لفظ شيء الذي هو أعم الألفاظ العربية الموصوف بالموزون - تحقيق لمسائل علمية فنية لم يكن شيء منها يخطر ببال بشر قبل هذا العصر، ولا يمكن بيان معناها بالتفصيل إلا من بتصنيف كتاب مستقل" (٢).

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٩٧]، نجده يعرض للنجوم، ثم يذكر علم الهيئة الفلكية الذي يعرف به من آيات الله قدرة الله وعلمه وحكمته ما لا يعرف من أي علم آخر، وقد اتسع هذا العلم في عصرنا هذا بما استحدث أهله من المراصد المقربة للأبعاد والآلات المحللة للنور التي يعرف بها سرعة سيره وأبعاد الأجرام السماوية بعضها من بعض، ومساحة الكواكب وكثافتها، والمواد المؤلفة منها، وقد ربط هذا كله بالاهتداء بالنجوم، ثم اقتبس كلاماً علمياً متخصصاً مما نقل عن علماء الهيئة في أبعاد بعض النجوم الثوابت التي هي شمس من جنس شمسنا ليعلم بها قدر علم ربنا وسعة ملكه (٣).

أيضاً في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [القمر: ٣٨]، فالقمر قد رزقه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ﴿[يس: ٣٨-٣٩]، يظهر تأييده للتفسير العلمي وموافقة القرآن لما ثبت من العلوم في العصر الحديث، ولما ثبت في الهيئة الفلكية، وورود العديد من الآيات في خراب العالم عند قيام الساعة وكون ذلك يحصل بقارعة تفرع الأرض قرعاً وتصخها فترجها رجاً وتبس جبالها بساً، وحينئذ تنتثر

(١) ينظر: رضا، محمد رشيد، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، ج ١، ص ١٧٥.

(٢) ينظر: المرجع السابق، ج ١، ص ١٧٧.

(٣) ينظر: رضا، محمد رشيد، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، ج ٧، ص ٥٣٠-٥٣١.

الكواكب لبطلان ما بينها من سنة التجاذب، والآيات في هذا تدل دلالة صريحة على بطلان ما كان يقوله علماء اليونان ومقلديهم من علماء العرب في الأفلاك والكواكب والنجوم.

ثم يشير إلى هذه المعارف التي جاءت في سياق بيان آيات الله وحكمه كانت مجهولة للعرب أو لجميع البشر في الغالب، حتى أن المسلمين أنفسهم كانوا يتأولونها ويخرجونها عن ظواهرها، لتوافق المعروف عندهم في كل عصر من ظواهر وتقاليد أو نظريات العلوم والفنون الباطلة فأظهار ترقى العلم لحقيقتها المبينة فيه مما يدل على أنها موحى بها من الله تعالى (١).

وبذلك نجد أن محمد رشيد رضا قد عرض للتفسير العلمي بهذه الأدلة التي ذكرها، وبدليل ما ذكره هو من قوله إنه سيعرض للتفسير العلمي في كثير من مواضع تفسيره، وإذا فهو لم يقف منه موقف المعارضة كما قيل (٢).

سادساً: سيد قطب (-١٣٨٦هـ/١٩٦٣م)

أفاض سيد قطب في نقده للتفسير العلمي وللمتحمسين لهذا الاتجاه الذين يحاولون أن يضيفوا للقرآن ما ليس منه، وأن يحملوا عليه ما لم يقصد إليه، وأن يستخرجوا منه جزئيات العلوم كأنما ليعظموه بهذا ويكبروه!

ففي تفسير قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَلْهَةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجُّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١٨٩]، يستطرد في بيان رأيه من التفسير العلمي وما يتبعه من إعجاز فيقول: لقد كان القرآن بصدد إنشاء تصور خاص ونظام خاص ومجتمع خاص، كان بصدد إنشاء أمة جديدة في الأرض، ذات دور خاص في قيادة البشرية، لتنشئ نموذجاً معيناً من المجتمعات غير مسبوق، ولتعيش حياة نموذجية خاصة غير مسبوقة، والإجابة العلمية على هذا السؤال ربما كانت تمنح السائلين علماً نظرياً في الفلك إذا هم استطاعوا بما كان لديهم من معلومات قليلة في ذلك الحين أن يستوعبوا هذا العلم، ولقد كان ذلك مشكوكاً فيه كل الشك لأن العلم النظري من هذا الطراز بحاجة إلى مقدمات طويلة كانت تعد بالقياس إلى عقلية العالم كله في ذلك الزمان معضلات... من هنا عدل عن الإجابة التي لم تنهياً لها البشرية ولا تفيداً كثيراً في المهمة الأولى التي جاء القرآن من أجلها وليس مجالها على أية حال هو القرآن؛ إذ القرآن جاء لما هو أكبر من تلك المعلومات الجزئية ولم يجيء ليكون كتاب علم فلكي أو كيميائي أو طبي كما يحاول بعض المتحمسين له أن يلتمسوا فيه هذه العلوم، أو كما يحاول بعض الطاعنين فيه أن يلتمسوا مخالفته لتلك العلوم. (٣)

(١) ينظر: المرجع السابق، ج ١، ص ١٧٧.

(٢) ينظر: عباس، فضل، التفسير والمفسرون أساسياته واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث، ج ١، ص ٥٨٥.

(٣) ينظر: قطب، سيد، في ظلال القرآن، ج ١، ص ١٨١.

إن كلتا المحاولتين دليل على سوء الإدراك لطبيعة هذا الكتاب ووظيفته ومجال عمله، فمجاله هو النفس الإنسانية ووظيفته أن ينشئ تصوراً عاماً للوجود وارتباطه بخالقه ولوضع الإنسان في هذا الوجود وارتباطه بربه وأن يقيم على أساس هذا التصور نظاماً للحياة يسمح للإنسان أن يستخدم طاقاته ومن بينها العقلية بالبحث العلمي في الحدود المتاحة للإنسان، وتصل إلى ما تصل إليه من نتائج ليست نهائية ولا مطلقة بطبيعة الحال. ويتعجب سيد قطب لسذاجة المتحمسين لهذا القرآن الذين يحاولون أن يضيفوا إليه ما ليس منه وأن يحملوا عليه ما لم يقصد إليه وأن يستخرجوا منه جزئيات العلوم. فالقرآن كتاب كامل في موضوعه، وموضوعه أضخم من تلك العلوم كلها لأنه هو الإنسان ذاته الذي يكشف هذه المعلومات وينتفع بها والبحث والتجريب والتطبيق من خواص العقل في الإنسان والقرآن يعالج بناء هذا الإنسان نفسه بناء شخصيته وضميره وعقله وتفكيره كما يعالج بناء العقل الإنساني الذي يسمح للإنسان أن يحسن استخدام هذه الطاقات (١).

ويبين موقفه من ربط الآيات القرآنية بالنظريات والفروض العلمية، فالحقائق القرآنية حقائق نهائية قاطعة مطلقة أما ما يصل إليه البحث الإنساني فهي حقائق غير نهائية ولا قاطعة وهي مقيدة بحدود تجاربه وظروف هذه التجارب وأدواتها فمن الخطأ المنهجي بحكم المنهج العلمي الإنساني ذاته أن نعلق الحقائق النهائية القرآنية بحقائق غير نهائية، وهي كل ما يصل إليه العلم البشري.

هذا بالقياس إلى الحقائق العلمية والأمر أوضح بالقياس إلى النظريات والفروض العلمية، زمن هذه النظريات والفروض كل النظريات الفلكية وكل النظريات الخاصة بنشأة الإنسان وأطواره، وكل النظريات الخاصة بنفس الإنسان وسلوكه، وكل النظريات الخاصة بنشأة المجتمعات وأطوارها، وهذه كلها ليست حقائق علمية حتى بالقياس الإنساني، وإنما هي نظريات وفروض ولا تتعدى قيمتها في أن تصلح لتفسير أكبر قدر من الظواهر الكونية وغيرها إلى أن يظهر فرض آخر يفسر تلك الظواهر تفسيراً أدق!! ومن ثم فهي قابلة دائماً للتغيير والتعديل والنقص والإضافة بل قابلة أن تتقلب رأساً على عقب بظهور أداة كشف جديدة أو بتفسير جديد لمجموعة من الملاحظات القديمة.

وكل محاولة لتعليق الإشارات القرآنية العامة بما يصل إليه العلم من نظريات متجددة أو متغيرة أو حتى بحقائق علمية ليست مطلقة تحتوي أولاً على خطأ منهجي أساسي كما أنها تتطوي على معان ثلاثة كلها لا يليق بجلال القرآن الكريم: (٢)

(١) ينظر: قطب، سيد، في ظلال القرآن، ج ١، ص ١٨١.

(٢) ينظر: قطب، سيد، في ظلال القرآن، ج ١، ص ١٨٢.

الأولى: الهزيمة الداخلية التي تخيل لبعض الناس أن العلم هو المهيمن والقرآن تابع، ومن هنا يحاولون تثبيت القرآن بالعلم أو الاستدلال له من العلم على حين أن القرآن كتاب كامل في موضوعه ونهائي في حقائقه والعلم لا يزال في موضوعه ينقض اليوم ما أثبتته بالأمس، وكل ما يصل إليه غير نهائي ولا مطلق لأنه مقيد بوسط الإنسان وعقله وأدواته وكلها ليس من طبيعتها أن تعطي حقيقة واحدة نهائية مطلقة.

الثانية: سوء فهم طبيعة القرآن ووظيفته، وهي أنه حقيقة نهائية مطلقة تعالج بناء الإنسان بناءً يتفق -بقدر ما تسمح به طبيعة الإنسان النسبية- مع طبيعة هذا الوجود وناموسه الإلهي.

الثالثة: هي التأمل المستمر مع التمثل والتكلف لنصوص القرآن كي نحملها ونلث بها وراء الفروض والنظريات التي لا تثبت ولا تستقر، ويجد فيها جديد كل يوم، وكل أولئك لا يتفق مع جلال القرآن ويحتوي على خطأ منهجي كما أسلفنا^(١).

ولا يرى سيد قطب مانعاً من الانتفاع بما يكشفه العلم من نظريات وحقائق عن الكون والحياة والإنسان في فهم القرآن، ولقد قال سبحانه وتعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣]. ومن مقتضى هذه الإشارة أن نظل نتدبر كل ما يكشفه العلم في الآفاق، وفي الأنفس من آيات الله، وأن نوسع المدلولات القرآنية في تصورنا.

ويمكن استخدام الحقائق العلمية الثابتة في توسيع مدلولات الآيات القرآنية بشكل جائز وصحيح، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿...وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٠١]، فقد كشفت الملاحظات العلمية أن هناك موافقات دقيقة وتناسقات ملحوظة بدقة في هذا الكون.. الأرض بهيئتها هذه وببعد الشمس عنها هذا البعد وحجم الشمس والقمر بالنسبة لحجمها وبسرعة حركتها هذه وبميل محورها هذا وبتكوين سطحها هذا.. وبآلاف من الخصائص التي تصلح للحياة وتوائمها فليس شيء من هذا كله فلتة عارضة ولا مصادفة غير مقصودة وهذه الملاحظات تقيدها في توسيع مدلول قوله تعالى: ﴿...وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٠١].^(٢)

(١) ينظر: قطب، سيد، في ظلال القرآن، ج ١، ص ١٨٢.

(٢) ينظر: المرجع السابق، ج ٦، ص ٣٨٠٤.

كما يمكن تعميق هذه المدلولات في تصورنا فلا بأس من تتبع مثل هذه الملاحظات لتوسيع هذا المدلول وتعميقه وهكذا وهذا جائز ومطلوب. وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَالْجِبَالُ أَوْدَادًا﴾ [النبا: ٧]. يقول: إن جعل الجبال أوداداً يدركه الإنسان من الناحية الشكلية بنظره المجرد فهي أشبه بأوتاد الخيمة التي تشد إليها، أما حقيقتها فنتلقاها من القرآن ونذكر منه أنها تثبت الأرض وتحفظ توازنها، وقد يكون هذا لأنها تعادل بين نسب الأغوار في البحار ونسب المرتفعات في الجبال، وقد يكون لأنها تعادل بين التقلصات الجوفية للأرض والتقلصات السطحية، وقد يكون لأنها تثقل الأرض في نقط معينة فلا تميد بفعل الزلازل والبراكين والاهتزازات الجوفية، وقد يكون لسبب آخر لم يكشف عنه بعد، وكم من قوانين وحقائق مجهولة أشار لها القرآن ثم عرف البشر طرفاً منها بعد مئات السنين، وهذا جائز ومطلوب^(١).

ولكن الذي لا يجوز ولا يصح علمياً تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ﴾ [المؤمنون: ١٢] استناداً إلى نظريات النشوء والارتقاء لوالاس^(٢) وداروين التي تفترض أن الحياة بدأت من خلية واحدة، وأن هذه الخلية نشأت من الماء، وأنها تطورت حتى انتهت إلى خلق الإنسان فحمل نحن هذا النص القرآني ونلث وراء هذه النظرية لنقول هذا ما عناه القرآن!! إلا أن هذه النظرية أولاً ليست نهائية لما دخل عليها من التعديل في أقل من قرن من الزمان ما يكاد يغيرها نهائياً، وقد ظهر فيها من النقص المبني على معلومات ناقصة عن وحدات الوراثة التي تحتفظ لكل نوع بخصائصه ولا تسمح بانتقال نوع إلى نوع آخر ما يكاد يبطلها. وهي معرضة غداً للنقص والبطلان بينما الحقيقة القرآنية نهائية وليس من الضروري أن يكون هذا معناها فهي تثبت فقط أصل نشأة الإنسان ولا تذكر تفاصيل هذه النشأة، وهي نهائية في النقطة التي تستهدفها وهي أصل النشأة الإنسانية وكفى ولا زيادة^(٣).

ومن الأمثلة الأخرى غير الجائزة من ربط حقائق العلم غير القاطعة بحقائق العلم المطلقة في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [يس: ٣٨]، فتثبت هذه الآية حقيقة نهائية عن الشمس أنها تجري ويقول العلم: إن الشمس تجري بالنسبة لما حولها من النجوم بسرعة قدرت بنحو ١٢ ميلاً في الثانية، ولكن في دورانها حول المجرة التي هي واحدة من نجومها تجري جميعاً بسرعة ١٧٠ ميلاً في الثانية، ولكن هذه الملاحظات الفلكية ليست هي عين مدلول الآية القرآنية^(٤).

(١) ينظر: قطب، سيد، في ظلال القرآن، ج ٦، ص ٣٨٠٤.

(٢) والاس: ألفرد راسل والاس، ولد سنة ١٨٢٣م في مدينة ويلز في بريطانيا. وهو عالم طبيعة ومستكشف وجغرافي وعالم أحياء. اشتهر بتطوير نظرية التطور من خلال الانتقاء الطبيعي. توفي سنة ١٩١٣م. www.wikipedia.org.

(٣) ينظر: قطب، سيد، في ظلال القرآن، ج ١، ص ١٨٣.

(٤) ينظر: المرجع السابق، ج ١، ص ١٨٤.

إن هذه تعطينا حقيقة غير نهائية قابلة للتعديل أو البطلان أما الآية القرآنية فتعطينا حقيقة نهائية في أن الشمس تجري وكفى فلا نعلق هذه بتلك أبداً. ويقول القرآن الكريم: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء، ٣٠]، ثم تظهر نظرية تقول: إن الأرض كانت قطعة من الشمس فانفصلت عنها فنحمل النص القرآني ونلهث لنذكر هذه النظرية العلمية ونقول هذا ما تعنيه هذه الآية القرآنية. لا.. ليس هذا هو الذي تعنيه فهذه نظرية ليست نهائية، وهناك عدة نظريات عن نشأة الأرض في مثل مستواها من ناحية الإثبات العلمي، أما الحقيقة القرآنية فهي نهائية ومطلقة وهي تحدد فقط أن الأرض فصلت عن السماء.. ومن ثم لا يجوز أن يقال عن أي فرض من الفروض العلمية في هذا الموضوع أنه المدلول النهائي المطابق للآية^(١).

وخلاصة منهج سيد قطب في ربط النصوص القرآنية بالحقائق العلمية بقصد تفسيرها تفسيراً علمياً أو بيان ما فيها من إعجاز علمي يوجزه بقوله: إن المنهج الصحيح في الانتفاع بالكشوف العلمية يكون في توسيع مدلولات الآيات القرآنية وتعميقها دون تعليقها بنظرية خاصة أو بحقيقة علمية خاصة تعليق تطابق وتصديق وفرق بين هذا وذاك. كما أن ما أثبته العلم لا يجوز أن يؤخذ على أنه التفسير الحتمي للنص القرآني، فقد تكون الحقيقة القرآنية هذا الذي أثبته العلم أو تعني شيئاً آخر سواه وتقصد إلى صورة أخرى من صوره الكثيرة التي يتحقق بها معنى الآيات القرآنية. وينبه بشدة إلى ضرورة عدم قصر النص القرآني على كشف علمي بشري قابل للخطأ والصواب والتعديل والتبديل كلما ارتفعت معارف الإنسان وكثرت وتحسنت وسائل المعرفة.

وينكر سيد قطب على بعض المخلصين من الباحثين الذين يسارعون إلى المطابقة بين مدلول النصوص القرآنية والكشوف العلمية-تجريبية أو افتراضية- بنية بيان ما في القرآن من إعجاز. فالقرآن معجز سواء طابقت الكشوف العلمية المتأرجحة نصوصه الثابتة أم لم تطابقها ونصوصه أوسع مدلولاً من حصرها في نطاق تلك الكشوف القابلة دوماً للتعديل والتبديل بل للخطأ والصواب من الأساس، وكل ما يستفاد من الكشوف العلمية في تفسير النصوص القرآنية هو توسيع لمدلولاتها في تصورنا كلما اطلعنا على شيء مما تشير إليه إشارات مجملة من آيات الله في الأنفس والآفاق دون أن يحمل النص القرآني على أن مدلوله هو هذا الذي كشفه العلم إنما جواز أن يكون هذا بعض ما يشير إليه^(٢).

(١) ينظر: قطب، سيد، في ظلال القرآن، ج ١، ص ١٨٤.

(٢) ينظر: المرجع السابق، ج ٦، ص ٣٤٥١.

المبحث الثاني

آراء وأدلة العلماء المانعين للإعجاز العلمي في القرآن الكريم وأثره في تعطيل النص القرآني

المطلب الأول: آراء وأدلة العلماء المانعين للإعجاز العلمي في القرآن الكريم

تباينت آراء العلماء المانعين للتفسير العلمي وما يتبعه من إعجاز بحسب درجة رفضهم لهذا الاتجاه من التفسير، وسيتم الوقوف على آراء وأدلة هؤلاء العلماء، ومن هذه الأدلة:

الدليل الأول:

ما ذهب إليه الشاطبي من (أمية الشريعة) لأنها نزلت على أمة أمية، ولذلك لا دخل لهذه الشريعة بالعلوم، وهو أجرى على اعتبار المصالح التي يقصدها الشارع الحكيم^(١). وقد استدل على ذلك بأمور^(٢):

١- آيات وأحاديث دالة على أمية الرسول وأمته، ومنها قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢]. وقوله تعالى: ﴿... فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبَعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨]. وفي الحديث قال رسول الله ﷺ: «إنا أمة أمية، لا نكتب ولا نحسب، الشهر هكذا وهكذا وهكذا» وعقد الإبهام في الثالثة «والشهر هكذا، وهكذا، وهكذا» يعني تمام ثلاثين^(٣). وفسر الشاطبي معنى الأمية في الحديث أي ليس لنا علم بالحساب ولا بالكتاب، ونحوه قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ وَبِمِثْقَلِ إِذَا لَأَزْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٨].

٢- إن الشريعة التي بعث بها النبي إلى العرب خاصة وإلى من سواهم بشكل عام إما أن تكون على نسبة ما عليه العرب من الأمية فتكون شريعة أمية أو لا تكون كذلك، وعندها لا تنزل من أنفسهم منزلة ما

(١) ينظر: الشاطبي، الموافقات، ج ٢، ص ١٠٩.

(٢) ينظر: المرجع السابق، ج ٢، ص ١٠٩-١١١.

(٣) مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري (٢٦١هـ)، صحيح مسلم، تحقيق: محمد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، باب وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال، والفطر، ج ٢، ص ٧٦١، حديث رقم: ١٠٨٠.

تعهد، وهذا على خلاف وضع الأمر فيها. إذاً فلا بد أن تكون على ما يعهدون والعرب لا تعهد إلا على ما وصفها الله به من الأمية فالشريعة أمية.

٣- لو لم يكن القرآن على ما يعهدون لم يكن عندهم معجزاً، ولخرجوا عن مقتضى الإعجاز بقولهم: هذا على غير ما عهدنا إذ ليس لنا عهد بمثل هذا الكلام، فكلامنا معروف مفهوم، وهذا ليس بمعروف ولا مفهوم، فلم تقم الحجة عليهم به، ولذلك قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ۖ أَءَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ...﴾ [فصلت: ٤٤]. فجعل لهم الحجة على فرض كون القرآن أعجمياً، ولما قالوا: ﴿لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣]. ولكنهم أذعنوا لظهور الحجة فدل على أن ذلك لعلمهم له وعهدهم بمثله مع العجز عن مماثلته. (١)

الدليل الثاني:

ذهب الشاطبي إلى دليل آخر في إنكاره للتفسير العلمي وما يتبعه من إعجاز فقال: إن السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن يليهم كانوا أعرف الناس بالقرآن وبعلومه وما أودع فيه، ولم يبلغنا أنه تكلم أحد في شيء من هذا المدعى سوى ما كان معروفاً عندهم فقط، ولو كان عندهم في ذلك خوض ونظر لبغنا منه ما يدلنا على أصل المسألة، إلا أن ذلك لم يكن فدل على أنه غير موجود عندهم، وذلك دليلهم أن القرآن لم يقصد فيه تقرير لشيء مما زعموا (٢).

الدليل الثالث:

التصرف غير المشروع في اللفظ القرآني والبلاغة القرآنية، والتوسع كثيراً في فهم ألفاظ القرآن إذ تفسر بمعان لم تكن قد اكتسبتها زمن النزول وحدثت باصطلاح حادث، وتقترض أن المخاطبين ملمون بما لم يكن قد ظهر من العلوم بعد، وهل يعقل أن الله إنما أراد بهذه الألفاظ القرآنية هذه المعاني التي حدثت بعد نزول القرآن بأجيال (٣).

(١) ينظر: الشاطبي، الموافقات، ج ٢، ص ١١٢.

(٢) ينظر: المرجع السابق، ج ٢، ص ١٢٧-١٢٨.

(٣) ينظر: الذهبي، محمد حسين، التفسير والمفسرون، ج ٢، ص ٣٦٠، الخولي، أمين، مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير، ص ٢٢١.

الدليل الرابع:

إذا كانت البلاغة هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال، فإن ما يقال بأن القرآن متضمن لهذه العلوم والمعاني المستحدثة التي لم يفهمها العرب سيوقعنا في إحدى الورطتين: إما خدش بلاغة القرآن لأنه خاطب العرب بما لا يفهمون، وإما الذهاب بفطانة العرب لأنهم لم يدركوا مراد الله من خطابه. وإن كانوا يعرفون هذه المعاني فلم تظهر نهضة العرب العلمية من لدن نزول القرآن الذي حوى علوم الأولين والآخرين؟ ولم لم تقم نهضتهم على هذه الآيات الشارحة لمختلف العلوم وسائر الفنون؟ وهذا أيضاً سلب لأهم خصائص العرب ومميزاتهم^(١).

الدليل الخامس:

إن النظرة العلمية للقرآن، وجعله مصدراً لجوامع الطب والفلك ونظريات الهندسة وقوانين الكيمياء إلى غير ذلك من العلوم المختلفة هي نظرة خاطئة لأن الله لم ينزل القرآن ليكون كتاب علم يتحدث فيه إلى الناس عن دقائق الفنون ونظريات العلوم وأنواع المعارف^(٢).

الدليل السادس:

إن النظرة العلمية للقرآن توقع الشك في عقائد المسلمين نحو القرآن، وذلك لأن قواعد العلوم ونظرياته لا تعرف الثبات ولا القرار ولا الرأي الأخير، فرب نظرية علمية قال بها عالم اليوم ثم رجع عنها بعد زمن قليل أو كثير لأنه ظهر له خطأها^(٣).

الدليل السابع:

إن عدم استقرار النظريات العلمية وخضوعها إلى التغير المستمر يعرض التفسير العلمي وما ينتج عنه من إعجاز إلى البلبلة ويفضي إلى النيل من قدسيته، ويوقف المشتغلين به موقفاً محرّجاً في الدفاع عنه^(٤).

(١) ينظر: الذهبي، محمد حسين، التفسير والمفسرون، ج ٢، ص ٣٦٠، الخولي، أمين، مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير، ص ٢٢٢.

(٢) ينظر: شلتوت، محمود، تفسير القرآن الكريم الأجزاء العشرة الأولى، ص ١٣، الذهبي، محمد حسين، التفسير والمفسرون، ج ٢، ص ٣٦١، الخولي، أمين، مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير، ص ٢٢٢، المحتسب، عبد المجيد، اتجاهات التفسير في العصر الراهن، ص ٣١٨.

(٣) ينظر: الذهبي، محمد حسين، التفسير والمفسرون، ج ٢، ص ٣٦٠، شلتوت، محمود، تفسير القرآن الكريم الأجزاء العشرة الأولى، ص ١٣.

(٤) ينظر: شلتوت، محمود، تفسير القرآن الكريم الأجزاء العشرة الأولى، ص ١٣، الذهبي، محمد حسين، التفسير والمفسرون، ج ٢، ص ٣٦١، الخولي، أمين، مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير، ص ٢٢٢.

الدليل الثامن:

إن التفسير العلمي والذي هو أساس الإعجاز العلمي للنصوص القرآنية يعرض القرآن للدوران مع مسائل العلوم في كل زمان ومكان، فالعلوم لا تعرف الثبات ولا الاستقرار ولا الرأي الأخير فقد يصح اليوم في نظر العلم ما يصبح غداً من الخرافات ^(١).

الدليل التاسع:

إن عدم وجود تصادم بين الحقائق القرآنية المطلقة والحقائق العلمية القاطعة يكفي ويغني عن القول بالإعجاز العلمي للقرآن ^(٢).

الدليل العاشر:

التأويل المستمر مع التمثل والتكلف لنصوص القرآن تأويلاً يتنافى مع الإعجاز، والقرآن غني عن الاعتزاز بمثل هذا التكلف الذي قد يوشك أن يخرج به عن هدفه الإنساني الاجتماعي في إصلاح الحياة ورياضة نفوس الناس جميعاً على اختلاف حظهم من العلوم الطبيعية والرياضية وما إليها ^(٣).

الدليل الحادي عشر:

إن نصوص القرآن أوسع مدلولاً من حصرها في نطاق الكشوف العلمية القابلة دوماً للتعديل والتبديل بل للخطأ والصواب من الأساس، وقصر النص القرآني على كشف علمي بشري قابل للتعديل كلما ارتفعت معارف الإنسان وكثرت وتحسنت وسائل المعرفة، وأخذ ذلك على أنه التفسير الحتمي للنص القرآني، فقد تكون الحقيقة القرآنية هذا الذي أثبتته العلم أو شيئاً آخر سواه، وتقصد إلى صورة أخرى من الصور الكثيرة التي يتحقق بها معنى الآيات القرآنية ^(٤).

(١) ينظر: الذهبي، محمد حسين، التفسير والمفسرون، ج ٢، ص ٣٦١.

(٢) ينظر: الذهبي، محمد حسين، التفسير والمفسرون، ج ٢، ص ٣٦١، الخولي، أمين، مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير، ص ٢٢٣، المحتسب، عبد المجيد، اتجاهات التفسير في العصر الراهن، ص ٣٢٣.

(٣) ينظر: قطب، سيد، في ظلال القرآن، ج ١، ص ١٨٢، الذهبي، محمد حسين، التفسير والمفسرون، ج ٢، ص ٣٦١، شلتوت، محمود، تفسير القرآن الكريم الأجزاء العشرة الأولى، ص ١٤، الخولي، أمين، مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير، ص ٢٢٣.

(٤) ينظر: قطب، سيد، في ظلال القرآن، ج ٦، ص ٣٤٥١.

الدليل الثاني عشر:

التفسير العلمي تفسير طارئ وليد أحداث مستمدة في العصر الحديث نتجت عنها في المجتمعات الإسلامية تحديات قومية وحضارية تعود أساساً إلى انبهار الشرق بما فعله الغرب من تقدم علمي ورقي حضاري، لذلك سعى القائلون بالتفسير العلمي إلى الرد على هذه التحديات ولإثبات إعجاز القرآن وصلاحيته لكل زمان ومكان، والتأكيد على اشتماله لأسباب تفوق الغرب أي العلوم الحديثة^(١).

الدليل الثالث عشر:

إن ما ورد في القرآن من مشاهد الكون ونواميسه قد استهدف لفت نظر السامعين إلى عظمة الله الدالة على وجوده، كما قد استهدف رياضة وجدانات الناس ولاسيما أن القرآن قد خاطب الناس جميعهم عالمهم وجاهلهم، والهدى هو القدر المشترك فيهم جميعاً، والذهاب لغير ذلك هو تكلف وتزيد قد يخرج القرآن عن نطاق قدسيته إلى الجدل والنقاش والأخذ والرد^(٢).

الدليل الرابع عشر:

عدم ورود التفسير العلمي عن السلف لذلك كانت الدعوة إليه دعوة إلى الانصراف عن التفسير الذي بلغنا عن مدرسة النبوة، فالسلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن يليهم كانوا أعرف بالقرآن وبعلمه وبما أودع فيه ولم يبلغنا أنه تكلم أحد منهم في شيء من هذا المدعى^(٣).

الدليل الخامس عشر:

إن حرف السين في كلمة ﴿سُرِّيهِمْ﴾ في قوله تعالى: ﴿سُرِّيهِمْ ءَايَاتُنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۖ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣] تدل على المستقبل والمستقبل هنا لا ينتهي بل إن عطاءه مستمر لهذا الجيل والجيل الذي بعده، ومن هنا فإن الله سبحانه وتعالى أعلمنا أن هناك حقائق وآيات سيكشف عنها لكل جيل، ولكن ليس معنى هذا أن نحمل آيات القرآن

(١) ينظر: بنت الشاطي، عائشة عبد الرحمن، القرآن والتفسير العصري، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٠م، ص ٤٠-٤١، الذهبي، محمد حسين، التفسير والمفسرون، ج ٢، ص ٣٦١.

(٢) ينظر: دروزة، محمد عزة، القرآن المجيد، بيروت، منشورات الكتب العصرية، ص ١٩٠-١٩٢، الخولي، أمين، مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير، ص ٢٢٤.

(٣) ينظر: الخولي، أمين، مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير، ص ٢٢٠، المحتسب، عبد المجيد، اتجاهات التفسير في العصر الراهن، ص ٣١٧.

ومعانيه أكثر مما تحتل، وأن نتعامل معه على أساس أنه كتاب جاء ينبئنا بعلوم الدنيا، فالقرآن لم يأت ليعطينا أسرار علم الهندسة أو علم الفلك أو علم الفضاء، ولكنه كتاب هداية وإرشاد كما بدأ في أول سورة منه بعد الفاتحة بقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢] (١).

الدليل السادس عشر:

إن جعل الارتباط بين القرآن وبين الحقائق العلمية المختلفة ناحية من نواحي بيان صدقه أو إعجازه أو صلاحيته للبقاء هو خلط بين علم التفسير وعلم إعجاز القرآن، وفي هذا الصدد يقول محمود شاكِر: لا بدّ للمتكلم في إعجاز القرآن من أن يتبين حقيقتين عظيمتين قبل النظر في هذه المسألة وأن يفصل بينهما فصلاً ظاهراً لا يلتبس وأن يميز بينهما تمييزاً واضحاً: (٢)

فالحقيقة الأولى:

إن إعجاز القرآن هو دليل النبي ﷺ على صدق نبوته وعلى أنه رسول يوحى إليه هذا القرآن وأن النبي ﷺ كان يعرف إعجاز القرآن من الوجه الذي عرفه منه سائر من آمن به من قومه العرب. وأن آيات التحدي التي وردت في القرآن نحو قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [هود: ١٣-١٤]. وقوله تعالى: ﴿قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨]، إنما هو تحدٍ بلفظ القرآن ونظمه وبيانه لا بشيء خارج عن ذلك، وليس تحدٍ بالإخبار بالغيب المكنون، ولا بالغيب الذي يأتي تصديقه بعد دهر من تنزيله، ولا بعلم ما لا يدركه من علم المخاطبين به من العرب.

الحقيقة الثانية:

إن إثبات دليل النبوة وتصديق دليل الوحي وأن القرآن تنزيل من عند الله، كما أنزلت التوراة والإنجيل والزيور وغيرها من كتب الله ليست دليلاً على أن القرآن معجز فلا يمكننا القول بأن التوراة والإنجيل والزيور كتب معجزة بالمعنى المعروف في شأن إعجاز القرآن من أجل أنها كتب منزلة من عند الله. (٣)

(١) ينظر: الشعراوي، محمد متولي، معجزة القرآن، القاهرة، المختار الإسلامي للطباعة والنشر، ط ١، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، ج ١، ص ٤٢.

(٢) ينظر: شاكِر، محمود، مقدمة كتاب الظاهرة القرآنية لمالك بن نبي، ص ٢٤.

(٣) ينظر: المرجع السابق، ص ٢٤-٢٧.

ومن البين أن العرب قد طولبوا بأن يعرفوا دليل نبوة الرسول ودليل صدق الوحي الذي يأتيه بمجرد سماع القرآن نفسه لا بما يجادلهم به حتى يلزمهم الحجة في توحيد الله أو تصديق النبوة، ولا بمعجزة كمعجزات إخوانه من الأنبياء مما آمن على مثله البشر. وقد بين الله في غير آي من القرآن أن سماع المشركين للقرآن يقتضيهم إدراك مباينته لكلامهم وأنه ليس من كلام البشر وأنه كلام رب العالمين وبهذا جاء الأمر في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ ابْلِغْهُ مَا مَنَّهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٦].^(١)

فالقرآن المعجز هو البرهان القاطع على صحة النبوة، أما صحة النبوة فليست برهاناً على إعجاز القرآن، وهذا يقتضي أن جملة ما في القرآن من حقائق الأخبار عن الأمم السابقة ومن أنباء الغيب، ومن دقائق التشريع، ومن عجائب الدلالات على ما لا يعرفه البشر من أسرار الكون إلا بعد القرون المتطاولة من تنزيله كل ذلك بمعزل عن إعجاز القرآن المتمثل في نظمه وبيانه، والذي طولب به العرب هو إعجاز القرآن المتمثل في نظمه وبيانه وانفكاكه من نظم البشر وبيانهم، فإذا هم أقرروا أنه كلام رب العالمين بهذا الدليل كانوا مطالبين بأن يؤمنوا بأن ما جاء فيه من أخبار الأمم وأنباء الغيب ودقائق التشريع وعجائب الدلالات على أسرار الكون هو كله حق لا ريب فيه. فإذا إقرارهم من وجه النظم والبيان أن هذا القرآن كلام رب العالمين دليل يطالبهم بالإقرار بصحة ما جاء فيه من كل ذلك. أما صحة ما جاء فيه فليست هي الدليل الذي يطالبهم بالإقرار بأن نظم القرآن وبيانه مباين لنظم البشر وبيانهم وأنه بهذا كلام رب العالمين.^(٢)

المطلب الثاني: أثر الإعجاز العلمي في تعطيل النص القرآني

إن تعليق القرآن بالنظريات العلمية يعتبر خطأ منهجياً بحكم المنهج العلمي الإنساني ذاته، فالحقائق القرآنية هي حقائق نهائية قاطعة مطلقة، أما ما يصل إليه البحث الإنساني فهي حقائق غير نهائية ولا مطلقة كما أنها مقيدة بحدود تجارب وظروف هذه التجارب وأدواتها هذا بالقياس إلى الحقائق العلمية... والأمر أوضح بالقياس إلى النظريات والفروض العلمية التي تفسر أكبر قدر من الظواهر الكونية أو الحيوية أو النفسية أو الاجتماعية، وهي قابلة دائماً للتغيير والتبديل والتعديل ولأن تتقلب رأساً على عقب بظهور أداة كشف جديدة، أو بتفسير جديد لمجموعة من الملاحظات القديمة.^(٣)

(١) ينظر: شاکر، محمود، مقدمة كتاب الظاهرة القرآنية لمالك بن نبي، ص ٢٧-٢٨.

(٢) ينظر: شاکر، محمود، مقدمة كتاب الظاهرة القرآنية لمالك بن نبي، ص ٢٩.

(٣) ينظر: الخالدي، صلاح، البيان في إعجاز القرآن، عمان، دار عمار، ص ٢٦٩.

وإن كل محاولة لتعليق الإشارات القرآنية العامة بما يصل إليه العلم الحديث من نظريات متجددة، أو حتى بحقائق علمية ليست مطلقة تحتوي على خطأ منهجي أساسي كما تتطوي على ثلاثة معان كلها لا تليق بجلال القرآن وقديسيته:

الأولى:

الهزيمة الداخلية التي تخيل لبعض الناس أن العلم هو المهيمن والقرآن تابع، ومن هنا يحاولون تثبيت القرآن بالعلم أو الاستدلال له من العلم. على حين أن القرآن الكريم كتاب كامل في موضوعاته نهائي في حقائقه، والعلم ما زال في موضوعه ينقض اليوم ما أثبتته بالأمس، وكل ما يصل إليه غير نهائي ولا مطلق كونه مقيد بوسط الإنسان وعقله.

الثانية:

سوء فهم طبيعة القرآن وطبيعته، وهي أنه حقيقة نهائية مطلقة تعالج بناء الإنسان بناءً يتفق مع طبيعة هذا الوجود وناموسه الإلهي، حتى لا يصطدم الإنسان بالكون من حوله، بل يصادقه ويعرف بعض أسرارهِ ويستخدم بعض نواميسه في خلافته هذه النواميس التي تكشف له بالنظر والبحث والتجريب والتطبيق وفق ما يهديه إليه عقله الموهوب له.

الثالثة:

التأويل المستمر مع التمثل والتكلف لنصوص القرآن كي نحملها ونلث بها وراء الفروض والنظريات العلمية التي لا تثبت ولا تستقر وكل يوم يجد فيها جديد^(١).

ويمكن أن يعطل التفسير العلمي وما يتبعه من إعجاز النصوص القرآنية من خلال التالي:

أولاً: حصر دلالة الآية القرآنية على الحقيقة الواحدة وعدم إبقاء دلالتها مفتوحة تحتل كل ما يتفق مع

معناها

فقد تكون الحقيقة العلمية التي رجحت على ضوئها هذه الدلالة إحدى وجوه دلالات الآية وظلالها ممتدة إلى جوانب أخرى لم نتمكن من الوصول إليها حسب معطيات عصرنا، إلا أن التقدم العلمي كفيل بأن يميّط اللثام عن الدلالات الأخرى. فمثلاً كان ينظر إلى دلالة (تسوية البنان) في قوله تعالى: ﴿بَلَّ قَدْرَيْنَ عَلَى أَنْ تُسَوَّىٰ بَنَانُهُ﴾ [القيامة: ٤]. إلى ما يقرب من مائة سنة، نظرة تختلف عن نظرنا لها الآن بعد معرفة قضية

(١) ينظر: الخالدي، صلاح، البيان في إعجاز القرآن، ص ١٧٠-٢٧١، قطب، سيد، في ظلال القرآن، ج ١، ص ١٨٠-١٨٤.

البصمات، إلا أننا لا نبطل كلام السلف في معنى الآية، فالآية تدل على ما قالوه وفهموه والشعور الذي استقر في نفوسهم عن أن هنالك حكمة عظيمة في خلق الإنسان شعور مرهف وصحيح، وإن كان فهمنا الآن لدلالة الآية على ضوء معطيات العلم الحديث أعمق وأدل، وكذلك فإن شعورنا في دقة صنع الخالق سبحانه وتعالى وحكمته سليم وصحيح. ومع ذلك فإننا لا نستطيع أن نقول: إن معنى الآية هو هذا فحسب وليس بعد فهمنا لها فهم آخر بل قد يكشف المستقبل عن أسرار إلهية في البنان فوق ما تصورناه ووصلت إليه مداركنا العصرية، وتبقى الآية مجال بحث الباحثين واستنباط المفكرين على مر العصور^(١).

ثانياً: إن توظيف الحقائق العلمية القاطعة التي لا رجعة فيها في إثبات إعجاز النصوص القرآنية التي تتحدث عن الخلق بأبعاده الثلاثة (الكون والإنسان والحياة) يؤثر على مصداقية التفسير العلمي للنصوص القرآنية

فالخلق عملية غيبية لم يشهدها أحد من الإنس أو الجن، كما أنها لا تقع تحت إدراك الإنسان فلا يمكن أن يصل فيها العلم المكتسب إلى حقيقة أبدأ، وهذه الأبعاد الثلاثة يدور فيها الإنسان في مدار النظرية أو الفرض، وتختلف هذه الفروض والنظريات باختلاف مفسرها وواضعها. ومن الأخطاء التي وقع فيها مفسرون سابقون مثل طنطاوي جوهرى، فسروا الآيات التي تتحدث عن الخلق بالنظريات العلمية الاحتمالية كالنظرية التي تقول إن الأرض ثابتة وهي مركز الكون والشمس تابعة لها وتجري حولها، وهذه نظرية علمية سابقة أثبت العلم الحديث خطأها، وفسروا بتلك النظرية المفروضة آيات جريان الشمس حول الأرض في قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [يس: ٣٨]^(٢).

ومن النظريات العلمية السائدة في العصر الحديث عن شكل الأرض أنها منبعجة عند خط الاستواء ومتقاصرة أو منبسطة عند القطبين نتيجة لدوران الأرض حول نفسها كما تختلف الجاذبية من نقطة لأخرى على سطح الأرض، ومن العوامل المؤثرة على قوة الجاذبية القوة المركزية الطاردة لدوران الأرض المضادة لقوة الجاذبية وتكون القوة المركزية الطاردة أكبر ما يمكن عند خط الاستواء ثم تقل تدريجياً مع خطوط العرض حتى تصل إلى الصفر عند القطبين، ولهذا السبب وبسبب قصر المسافة أيضاً تزداد قوة الجاذبية قليلاً كلما اتجهنا نحو القطبين^(٣).

(١) ينظر: مسلم، مصطفى، مباحث في إعجاز القرآن، ص ١٧٣-١٧٤.

(٢) ينظر: الخالدي، صلاح، البيان في إعجاز القرآن، ص ٢٦٥.

(٣) ينظر: بيل، جيرارد، حقائق عن كوكب الأرض، ترجمة: علي ناصيف، القاهرة، دار الكتب المصرية، ص ٢١٥-٢١٦.

وقد ذكر طنطاوي جوهري هذه النظرية في تفسيره "الجواهر في تفسير القرآن الكريم" في معرض حديثه عن الجاذبية في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [آل عمران: ٥]، " يكون الجسم عند خط الاستواء أخف وعند القطبين أثقل لأن خط الاستواء بعيد عن المركز أكثر من القطبين لأن حركة الأرض هناك سريعة وبالعكس يكون القطبان. فإن الأرض منبعجة عندهما فالجسم يكون أقرب إلى المركز والحركة الطاردة هناك ضعيفة عنها في خط الاستواء، وعليه تكون الأجسام في مصر أثقل منها في خط الاستواء وأخف منها في القطبين لأن أرض مصر أبعد من القطبين عن المركز والحركة فيها أشد" (١). وبذلك نجد أن حقيقة الخلق لا يستطيع العلم البشري أن يصل إليها إلا من طريق الوحي من خالق السماوات والأرض لأن وسائل البشر محدودة فلا يستطيع الإنسان أن يخترق بوسائله المادية حجب غيب الماضي ليعرف تكوين الأجرام السماوية مثلاً والسابق منها عن اللاحق، فطالما أن الإنسان أي إنسان لم يشهد خلق السماوات والأرض وكذلك لم يشهد خلق نفسه ولا خلق غيره فكيف يعرف الحقيقة إذن؟ وصدق الله تعالى في قوله: ﴿مَا أَشْهَدُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسَهُمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَصَدًا﴾ [الكهف: ٥١]. وتفسير حقيقة الخلق وفق النظريات العلمية يؤثر على مصداقية التفسير العلمي إذا تم نقض هذه النظريات، كما تم نقض النظرية التي تقول إن الأرض ثابتة والشمس تجري حولها والتي تم الاستدلال بها في تفسير بعض الآيات القرآنية (٢).

أما الحقائق العلمية القاطعة المقررة فيما يتعلق بالكون والحياة والإنسان والتي لا يمكن أن تبطل أو تنتقض مهما تقدمت علوم الإنسان ومكتشفاته ومعارفه فهي الحقائق العلمية اليقينية، فهذه لا مانع لأن نوسع معنى الآيات القرآنية التي توحى بتلك الحقائق ونشير إليها لأننا على يقين من صدقها ومن ذلك "الزوجية" التي هي أساس الخلق والوجود والحياة فكل المخلوقات وجدت على أساس النظام الزوجي، فالزوجية حقيقة بديهية يمكن أن نستعين بها في تفسير الآيات القرآنية التي تقررها وتثبتها كقوله تعالى: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات: ٤٩]. وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ [النجم: ٤٥] (٣).

(١) جوهري، طنطاوي، الجواهر في تفسير القرآن، ج ١، ص ٢٣.

(٢) ينظر: مسلم، مصطفى، مباحث في إعجاز القرآن، ص ١٧٩.

(٣) الخالدي، صلاح، البيان في إعجاز القرآن، ص ٢٦٦.

ثالثاً: محاولة مطابقة الحقائق العلمية القطعية مع الحقائق القرآنية المطلقة لإثبات إعجاز القرآن الكريم قد تؤدي إلى خطأ في تفسير النص القرآني

فهناك فرق بين الحقيقة القرآنية والحقيقة العلمية، فمن سمات العلم أنه تاريخي وله مراحل أو طبقات فما كان حقيقة يوماً ما صار غير ذلك، أو ما هو فرض الآن يمكن أن يتحول إلى حقيقة علمية يوماً ما، فهناك ما يعرف بتاريخ العلم، أما الحقيقة القرآنية فهي مطلقة بمجرد نزولها من عند الله وفي لحظتها فهي متجاوزة للتاريخ بخلاف الحقيقة العلمية وفي كل لحظة حقيقة غير قابلة للاختبار أو المراجعة أو إعادة النظر ^(١).

رابعاً: عدم التقيد بالمفهوم اللغوي الصحيح للنصوص القرآنية يؤدي إلى تطويع معاني الكلمات ومدلول الآيات لتتوافق مع ما وصلت إليه العلوم الكونية وهو ما يعرف بلي أعناق الآيات القرآنية

فقد بالغ البعض في بيان الإعجاز العلمي وخرج إلى درجة من الإفراط لا تقبل بأي حال، فصاروا يلهثون وراء أي خبر علمي أو فرضية علمية وينزلونها على آية قرآنية بدت لهم فيها إشارة غامضة إلى ذلك الخبر أو تلك النظرية.

ومنهم من قال: إن القرآن يشير إلى وجود أعمدة كهربائية في الشوارع والطرق وذلك في قوله تعالى: أي أن التيار الكهربائي يسري في عمد ممددة، ومنهم من قال: إن القرآن يشير إلى وجود السيارات وسيرها في مطلع سورة العاديات في قوله تعالى: ﴿وَالْعَدِيَّتِ صُبْحًا ۝ فَأَلْمُورِيَّتِ قَدْحًا ۝ فَأَلْمُغِيرَتِ صُبْحًا ۝ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ۝ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا﴾ [العاديات: ١-٥] وفسروا ﴿وَالْعَدِيَّتِ صُبْحًا﴾ [العاديات: ١] على أنها السيارات تضج وتخرج صوتها عند السير ﴿فَأَلْمُورِيَّتِ قَدْحًا﴾ [العاديات: ٢] تعني تشغيل محرك السيارات، ﴿فَأَلْمُغِيرَتِ صُبْحًا﴾ [العاديات: ٣]: أي سيرها في الصباح، ﴿فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا﴾ [العاديات: ٤]: أي سيرها في طريق ترابي والغبار خلفها، ﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا﴾ [العاديات: ٥]: أي وقفت في المجمع الذي تتجمع فيه. فهذا نوع من الإفراط في التفسير العلمي لأنه نوع من تحريف الآيات والتلاعب بها والخروج بها عن المعنى اللغوي الصحيح الموافق لها ^(٢).

(١) ينظر: زغلول، سعد، الإعجاز العلمي خطيئة المنهج وخطايا التطبيق، مقالة على موقع: www.tammam.org.

(٢) ينظر: الخالدي، صلاح، البيان في إعجاز القرآن، ص ٢٦٨-٢٦٩.

خامساً: الدخول في تفاصيل علمية دقيقة كالمعادلات الرياضية والرموز الكيميائية الدقيقة يثقل النص القرآني

ويحمل الآيات القرآنية على غير معناها

ومثال ذلك ما قام به طنطاوي جوهري في تفسيره "الجواهر في تفسير القرآن" حيث ملأ هذا التفسير الضخم بمئات المسائل العلمية التي تتحدث عن مظاهر الكون حديث الفيزيائي والكيميائي والطبيعي والفلكي والجغرافي والنباتي، فهو ينتهز كل كلمة عابرة كالرعد أو المطر أو النحل أو النمل ليفيض في حقائق علمية تعرض خواص هذه الأشياء دون أن تدعو إليها حاجة العقول للكتاب الكريم^(١).

كما خلط في تفسيره خطأ كثيراً فوضع فيه صور النبات والحيوانات ومناظر الطبيعة وتجارب العلوم، كما شرح بعض الحقائق الدينية بما جاء عن أفلاطون^(٢) في جمهوريته وعن إخوان الصفا^(٣) في رسائلهم، واستخدم الرياضيات في تفسير النصوص القرآنية، وفسر بعضها تفسيراً يقوم على نظريات علمية حديثة، الأمر الذي أساء إلى التفسير إساءة بالغة من حيث يظن أنه يحسن صنعا، فلم يجد تفسيره قبولاً لدى كثير من المتقنين لما فيه من تعسف في حمل الآيات على غير معناها^(٤).

سادساً: البعد في تأويل النصوص القرآنية

مثال ذلك: ما ذكره حنفي أحمد في تفسير المصباح في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَضَرِبَ اللَّهُ الْأَمْثَلِ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٥].

(١) ينظر: عباس، فضل، التفسير والمفسرون أساسياته واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث، ج ١، ص ٥٩٤.

(٢) أفلاطون: فيلسوف يوناني كلاسيكي، رياضي، كاتب لعدد من الحوارات الفلسفية، ويعتبر مؤسس لأكاديمية أثينا التي هي أول معهد للتعليم العالي في العالم الغربي، معلمه سقراط وتلميذه أرسطو. وضع أفلاطون الأسس الأولى للفلسفة الغربية والعلوم. www.wikipedia.org

(٣) إخوان الصفا: جماعة من فلاسفة المسلمين من أهل القرن الثالث الهجري والعاشر الميلادي بالبصرة اتحدوا على أن يوفقوا بين العقائد الإسلامية والحقائق الفلسفية المعروفة في ذلك العهد فكتبوا في ذلك خمسين مقالة سموها "تحف إخوان الصفا". وهناك كتاب آخر ألفه الحكيم المجريطي القرطبي المتوفى سنة ٣٩٥ هـ وضعه على نمط تحفة إخوان الصفا وسماه "رسائل إخوان الصفا".

www.wikipedia.org.

(٤) ينظر: القطان، مناع، مباحث في علوم القرآن، ص ٣٨٣.

ويرى حنفي أحمد أن المصباح ليس ما تعارف عليه الناس، وإنما هو شيء آخر، وقوله تعالى: ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ ليس المقصود به مضاعفة النور كما يرشد إليه سياق الآية، كما أن اللمعان والتلألؤ الذي يصف به الله تعالى سطح الزجاج الداخلي يشاهده الناس في الأحجار الكريمة الشفافة الصافية كالماس واللؤلؤ ذات الكثافة العالية نوعاً ما إذ يرون في داخلها نقاطاً عديدة تسطع وتلمع كأنها مصادر ضوء قوي، وسبب ذلك أن الأشعة التي تصل إلى داخل الماس يتكرر انعكاسها كلياً مرات متوالية في داخلها فيتراكم بعضها على بعض في نقط عديدة ثم تنبعث إلى الخارج، فترى كأنها صادرة عن مصادر ضوئية ينشأ منها اللمعان، فيكون إذاً وصفه تعالى الضوء اللامع المتألئ من سطوع ولمعان زجاج المصباح، ففي قوله تعالى: ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ إشارة إلى أن هذا اللمعان ينبعث من تراكم أضواء عديدة منعكسة انعكاساً كلياً، أي أنوار تتجمع فوق عض في نقط مختلفة داخل الزجاج قبل انبعاثها إلى الخارج، وأنه تعالى يخاطب بهذه الإشارة أهل الخبرة بحال الضياء.

ولما كان الزجاج في اللغة معناه كل حجر شفاف فتري أن صورة المصباح المقصود في هذه الآية الكريمة على حسب وصفه تعالى إنما هي شعلة فتيل كاملة الاحتراق والإضاءة موضوعة في فجوة داخل حجر شفاف سميك من الأحجار الثمينة الطبيعية ذات الكثافة العالية كالماس أو اللؤلؤ التي كان العرب يعرفونها ولا يعرفون سبب لمعانها، ولا يجوز فهمه على أنه مصباح كالفناديل المعروفة لدى الجمهور والمصنوعة من الزجاج العادي لأن مثل هذا الزجاج لا تسمح كثافته ولا سمكه بحدوث ظاهرة اللمعان والسطوع المقصود في الآية (١).

ويرى فضل عباس (٢) أنه لا داعي لهذا البعد في التأويل وأن الآية واضحة الأهداف ظاهرة المقصد، فالمصباح هو المصباح الذي يعرفه الناس، والمثل الذي جاءت به الآية مثل من واقع الناس، وإن قوله تعالى: تبعاً لهذا إنما يقصد به مضاعفة هذا النور وقوة إشعاعه (٣).

(١) ينظر: حنفي، أحمد، التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن الكريم، القاهرة، دار المعارف، ص ١٤٨.

(٢) فضل عباس: أحد أبرز علماء السنة في الأردن، وأحد العلماء المعدودين في علوم التفسير وعلوم اللغة والبلاغة، ولد سنة ١٩٣٢م في بلدة صفورية في فلسطين، برز الدكتور فضل عباس كأحد أهم علماء التفسير والتلاوة وكان ذلك في السبعينات حين سجلت له الإذاعة الأردنية ٤٠٠ حلقة إذاعية في تلاوة وتفسير القرآن الكريم كاملاً، كانت باكورة مسيرته العلمية التي أثمرت فيما بعد نتاجاً كبيراً وهاماً من المؤلفات والنظرات الجديدة في تفسير القرآن الكريم، ومن مؤلفاته: "إعجاز القرآن الكريم"، "اتجاهات التفسير ومناهج المفسرين في العصر الحديث". توفي سنة ٢٠١١م. www.wikipedia.org.

(٣) ينظر: عباس، فضل، التفسير والمفسرون أساسياته واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث، ج ١، ص ٦١٢.

سابعاً: محاولة إثبات صحة الوحي القرآني وصدق ما احتواه من خلال إثبات الإعجاز العلمي في بعض النصوص القرآنية ليس متسقاً مع أهداف القرآن من ذلك

ففي أساليب القرآن ومحتوياته ما فيه أقوى إثبات على صحة الوحي القرآني وصدق ما احتواه، فأسلوب القرآن البسيط القوي المسترعي للأذهان والحس الذي أشير به إلى النواميس والمشاهد الكونية، والذي هو سائغ لجميع الناس على اختلاف طبقاتهم فلا يقصر أحد عن إدراك ما في تلك المشاهد والنواتج من عظمة ونفع وقوام حياة وبرهان، ولا يتردد أحد في رد ذلك إلى قدرة الله ورحمته والإقناع بأنها ليست في نطاق قدرة ما غير قدرة الله عز وجل الخالق البارئ المصور الرزاق، وبأن الذي يقدر على هذا يقدر على كل شيء بما في ذلك بعث الناس يوم القيامة ومحاسبتهم ومجازاتهم حسب أعمالهم لأن ذلك من مقتضيات عدل الله وحكمته، وهذا الأسلوب تكرر في كل المناسبات والآيات المماثلة ^(١). ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ۝ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ نَخِيلٍ ۝ تَبَصَّرَةٌ وَذَكَرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۝ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبْدًى فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَبَّتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ۝ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ۝ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ۝ ﴾ [لق: ٦-١١]. ومن ذلك أيضاً ما جاء في سورة الروم قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيَذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝ ﴾ [الروم: ٤٦]، وأيضاً قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۚ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝ ﴾ [الأعراف: ٥٧].

فأسلوب القرآن الكريم هو أسلوب مخاطبة العقل والقلب والبصر والحس والبرهان الحي المائل لكل الناس من جميع الطبقات في كل زمان ومكان، وما دام هذا الأسلوب في عرض مشاهد الكون والطبيعة في القرآن قد قصد به استرعاء الأذهان والأبصار إلى عظمة الله وقدرته والبرهنة على أنه وحده المستحق للعبادة والاتجاه عبر ما يلمسه السامعون ويشاهدونه ويعرفون مداه فالأولى إبقاء القرآن في هذا النطاق وعدم محاولة الخروج منه إلى بحوث فنية تهدف إلى إثبات صدق الوحي والقرآن ^(٢).

(١) ينظر: دروزة، محمد عزة، التفسير الحديث، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٨٣هـ، ج ١، ص ٢٢٦.

(٢) ينظر: المرجع السابق، ج ١، ص ٢٢٥.

ثامناً: إخراج القرآن الكريم عن هدفه الوعظي والتذكيري وتعريضاً له للجرح والتعديل اللذين يرافقان عادة

الأبحاث العلمية على غير طائل ولا ضرورة

ولقد جاء في سورة يونس في صدد منازل القمر آية تفيد أن الله قدر القمر منازل ليعلم الناس عدد السنين والحساب قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [يونس: ٥]. فإذا لاحظنا أن منازل القمر أو دوراته اليومية التي تتبدل بها صورته كانت هي الوسيلة الممكنة المشاهدة لمعرفة حساب الأيام والأشهر والسنين بالنسبة للسامعين رغم كونها ليست دقيقة تبين لنا أنا حكمة التنزيل اقتضت أن يكون الخطاب كما جاء بسبيل تنبيه السامعين إلى نواميس الكون وإثبات وجود الله وقدرته على ما هو ملموح بقوة من هذه الآية، لأنه كان هو المفهوم من قبل السامعين بمداه ومعناه، وتبين لنا مدى ما في تجاوز هذا النطاق إلى استخراج النظريات الفنية من القرآن أو تطبيقها على الآيات القرآنية من تجور وتمحل وخروج بالقرآن عن نطاق حكمة تنزيله^(١).

كما أن ولع المشتغلين بالإعجاز العلمي من خلال محاولتهم استنباط النواميس العلمية والفنية واستخراج النظريات العلمية كالدورات الشمسية والقمرية والأرضية وأطوار النشوء وانفتاح السماء والأرض من بعض النصوص القرآنية، أو محاولة تطبيق النظريات العلمية المتصلة بنواميس الكون والشمس والقمر والسماء والأرض والحياة وغيرها ليدلوا على احتواء القرآن على أسس هذه الإشارات أو نواتها يؤدي إلى صرف هذه الإشارات والتنبيهات والتعابير عن هدفها الوعظي والتدعيمي للدعوة أولاً وإخراج القرآن من نطاق هذا الهدف وقديسيته إلى نطاق الجدل والبحث والنفي والإثبات في حقائق النظريات العلمية والفنية الكونية، وما تتعرض له من هذه النظريات من التبدل والتجدد والتطور^(٢).

(١) ينظر: دروزة، محمد عزة، القرآن المجيد، ج ٣، ص ٣١-٣٢.

(٢) ينظر: المرجع السابق، ص ٢٤٨-٢٤٩.

تاسعاً: إن الإعجاز العددي والذي هو لون من ألوان الإعجاز العلمي يدفع صاحبه إلى التمثل والتكلف في سبيل الوصول إلى أعداد متطابقة

فعلى سبيل المثال يذكر عبد الرزاق نوفل في كتابه الإعجاز العددي في القرآن الكريم أنه تكرر ذكر إبليس أحد عشر مرة في القرآن، وليس للفظه مشتقات وذلك مثل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤]. وبنفس العدد أي أحد عشر مرة تكرر الأمر بالاستعاذة إذ ورد الأمر بلفظ أعوذ سبع مرات في مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ [الناس: ١]. وورد الأمر بلفظ فاستعذ أربع مرات في مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ يَخَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [غافر: ٥٦]. فكما تكرر لفظ إبليس أحد عشر مرة تكرر لفظ الاستعاذة منه أحد عشر مرة أيضاً^(١).

وإذا نظرنا إلى لفظ الاستعاذة وجدنا المؤلف لا يورد منه إلا ما هو بلفظ "أعوذ" ولفظ "فاستعذ"، أما الألفاظ "عذت"، "ويعوذون"، "أعيذها"، "معاذ الله"، فإنه لا يعد شيئاً منها مع أن بعضها نص بالاستعاذة من الشيطان قال تعالى: ﴿... وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [آل عمران، ٣٦]، فإن قلت: إنه نص على ما هو أمر بالاستعاذة من إبليس، قلت: إنه عد من الآيات ما ليست أمراً بالاستعاذة منه، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [البقرة: ٦٧]، قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [هود: ٤٧]. قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾ [مريم: ١٨]، فأين الأمر بالاستعاذة؟ بل أين الاستعاذة من إبليس هنا؟ في الأولى استعاذ بالله من الجهل، وفي الثانية استعاذ به سبحانه من أن يسأل الله ما ليس له به علم، وفي الثالثة استعاذت بالله ممن تمثل لها بشراً سوياً قبل أن تعرفه. وعلى هذا كله لا يستقيم له الأمر فيما ذكر؛ ولهذا يبدو التكلف واضحاً بيناً^(٢).

(١) ينظر: نوفل، عبد الرزاق، الإعجاز العددي في القرآن الكريم، بيروت، دار الكتاب العربي، ط٥، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص ٩٧.

(٢) ينظر: الرومي، فهد، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، ج ٢، ص ٦٩٩-٧٠٠.

الفصل الرابع

دراسة ومناقشة وترجيح

المبحث الأول: مناقشة أدلة المجيزين للإعجاز العلمي في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: مناقشة أدلة المانعين للإعجاز العلمي في القرآن الكريم.

المبحث الثالث: الترجيح بين أدلة المجيزين والمانعين للإعجاز العلمي.

المبحث الرابع: دراسة تطبيقية على الإعجاز العلمي المقبول والمردود.

المبحث الأول

مناقشة أدلة المجيزين للإعجاز العلمي في القرآن الكريم

تنوعت وتفاوتت آراء وأدلة العلماء المجيزين للإعجاز العلمي في القرآن وفقاً لدرجة تأييدهم لهذا النوع من الإعجاز. وقد تناول العلماء القدماء كما المحدثين التفسير العلمي وما يتبعه من إعجاز بالبحث والدراسة منذ بداية ظهور فكرة التفسير العلمي بعد أن تم ترجمة العلوم المختلفة إلى العربية.

وسيتم في هذا المبحث مناقشة الآراء والأدلة التي اعتمدها العلماء المجيزين للإعجاز العلمي من القدماء والمعاصرين استناداً إلى أقوال العلماء المعارضين.

وبداية ستم مناقشة آراء وأدلة العلماء القدماء المجيزين، وتجدر الإشارة إلى أن هؤلاء العلماء وإن اتفقوا على أن القرآن الكريم مشتمل على علوم الأولين والآخرين، وأنه ما من شيء إلا ويمكن استخراجها من القرآن فإنهم يختلفون في أسلوب التطبيق على هذا المبدأ^(١).

المطلب الأول: أبو حامد الغزالي

كان الإمام الغزالي -إلى عهده- أكثر من استوفى بيان القول في التفسير العلمي، وأهم من أيده وعمل على ترويجه في الأوساط العلمية الإسلامية^(٢). وقسم الغزالي علوم القرآن إلى قريبة المأخذ منه وبعيدته، وجميع العلوم ما ذكرها ولم يذكرها ليست خارجة عن القرآن ويبقى قوله نظرياً إلى حد بعيد^(٣).

وقد بالغ الغزالي في استنباط العلوم من القرآن، ففي كتابه (إحياء علوم الدين) يعقد الباب الرابع من آداب تلاوة القرآن في فهم القرآن وتفسيره بالرأي من غير نقل. وفيه ينقل عن بعض العلماء قولهم: إنه لكل آية ستون ألف فهم وما بقي من فهمها أكثر^(٤)، وقول ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "أنزل القرآن على سبعة أحرف لكل آية منها ظهر وبطن^(٥)".

(١) أبو حجر، أحمد، التفسير العلمي للقرآن في الميزان، بيروت، دار قتيبة، ط ١، ١٤١١هـ/١٩٩١م، ص ١٤٥.
(٢) ينظر: الخولي، أمين، مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير، ص ٢١٧، الذهبي، محمد حسين، التفسير والمفسرون، ج ٢، ص ٣٤٩، الذهبي، محمد حسين، الاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن دوافعها ودفعها، ص ٨٣.

(٣) ينظر: أبو حجر، أحمد، التفسير العلمي للقرآن في الميزان، ص ١٤٥.

(٤) ينظر: ص ٧٠.

(٥) سبق تخريجه، ص ٧٠.

ومن الآثار التي استدلت بها الغزالي في كتابه الإحياء قول علي رضي الله عنه: إلا أن يؤتي الله عبداً فهماً في كتابه^(١).

فهذه الآثار التي اعتمد عليها الغزالي واستدل بها يجب ألا تؤخذ على ظاهرها وبإطلاق فهي إن دلت على سعة القرآن وأن عجائبه لا تنقضي، وأنه يصلح للأولين والآخرين إلا أن ذلك يحتاج إلى حد تقف عنده. بالإضافة إلى إمكانية ورود إبهام في بعض الآثار كقوله: " وقال بعض العلماء"^(٢)، ولو تدبرنا ما رواه هؤلاء العلماء المبهمون لوجدنا العجب ذلك أن سبعة وسبعين ألفاً ومئتي علم إذا ضربت في أربعة يكون الناتج ثلاثمائة وثمانية آلاف وثمانمائة علم، وهل يعقل أن هناك علوماً بمثل هذا العدد الضخم، وإن بلغت فإننا لا نستطيع تحديدها والوقوف عليها وإثبات الصلة بينها جميعاً وبين القرآن.^(٣)

ولعل ما يهون الأمر أنهم أرادوا بذلك المعاني، فالكلمة قد تشمل أكثر من معنى بحسب الظاهر والباطن والحد والمطلع، والفرق كبير بين المراد بالمعنى والمراد بالعلم، فالعلم هو مرادف الكلمة أو هو ما يفهم منها، أما العلم فله أصول وقواعد وله غاية يحترمها ويسعى إليها. وبذلك لا نستطيع أن نطلق كلمة العلم على المعنى ولا المعنى على العلم. وصحيح أن العلوم كثيرة لا يعلمها إلا الله، ويكن الجزم بأن علوم القرآن المستنبطة منه عددها كذا وكذا وتحديدها بأرقام محددة يعتبر تجاوزاً في الدعوى سواء بلغت العلوم ذلك العدد أم لم تبلغه، لأن علومه لا يعلمها إلا الله وحده، إذن نفوض الأمر لله ونترفع عن الخوض فيه بتحديد العدد^(٤).

وهكذا نلاحظ أن الغزالي قد حمل الآيات ما لا تتحملة من المعاني واعتبر علمية القرآن بمجرد إشارته بالكلمة العادية يبني عليها علماً كاملاً في كلياته وجزئياته^(٥).

كما استدلت الغزالي بقول الرسول ﷺ في حديث علي كرم الله وجهه: «والذي بعثني بالحق نبياً ليفترقن أمتي عن أصل دينها وجماعتها على اثنتين وسبعين فرقة كلها ضالة مضلة يدعون إلى النار فإذا كان ذلك فعليكم بكتاب الله عز وجل فإن فيه نبأ من كان قبلكم ونبأ ما يأتي بعدكم

(١) النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني (٣٠٣هـ)، سنن النسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، حلب، مكتبة المطبوعات الإسلامية، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ج ٨، ص ٢٣، باب: سقوط القود من المسلم للكافر، حديث رقم: ٤٧٤٤.

(٢) ينظر: الغزالي، إحياء علوم الدين، ج ١، ص ٢٨٩.

(٣) بعد التحقيق والبحث عن هذه الآثار لم أجد أصلاً لها.

(٤) ينظر: اللوح، عبد السلام، الإعجاز العلمي في القرآن الكريم (رسالة ماجستير)، ص ١٤٨.

(٥) ينظر: شلبي، هند، التفسير العلمي للقرآن الكريم بين النظريات والتطبيقات، ص ٤٩.

وحكم ما بينكم من خالفه من الجبابرة قصمه الله عز وجل ومن ابتغى العلم في غيره أضله الله عز وجل وهو حبل الله المتين ونوره المبين وشفأؤه النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه لا يمج فيقوم ولا يزيغ فيستقيم ولا تنقضي عجائبه ولا يخلقه كثرة التردد»^(١).

كما يدعو الغزالي إلى عدم الاكتفاء بتفسير القرآن الكريم بظاهر اللفظ في قوله: " من أراد العلم فليثور القرآن فإن فيه علم الأولين والآخرين"^(٢)، وذلك لا يحصل بمجرد تفسير الظاهر، وبالجمله فالعلوم كلها داخلة في أفعال الله عز وجل وصفاته وفي القرآن شرح ذاته وأفعاله وصفاته، وهذه العلوم لا نهاية لها وفي القرآن الكريم إشارة إلى مجامعها، والمقامات في التعمق في تفصيله راجع إلى فهم القرآن ففي القرآن رموز ودلالات علمية يختص أهل العلم بفهمها، ولا يتمكن من ذلك إلا من عرف العلوم المرتبطة بها كعلم الطب والتشريح وتركيب السماوات والأرض"^(٣).

إن النظرة العلمية للقرآن وجعله مصدراً لكافة العلوم هي نظرة خاطئة، لأن الله لم ينزل القرآن ليكون كتاب علم يتحدث فيه إلى الناس عن دقائق الفنون ونظريات العلوم المختلفة وأنواع المعارف^(٤).

ويرى الشاطبي أن هذه الشريعة أمية لأنها نزلت على أمة أمية، ولذلك لا دخل لهذه الشريعة بالعلوم فهو أجرى على اعتبار المصالح التي يقصدها الشارع الحكيم^(٥).

وأما قول الغزالي باحتواء القرآن على رموز ودلالات علمية يختص أهل العلم بفهمها، ولا يتمكن من ذلك إلا من عرف العلوم المرتبطة بها كعلم الطب والتشريح وهيئات تركيب السماوات والأرض، سيوقعنا في إحدى الورطتين: إما خدش لبلاغة القرآن لأنه خاطب العرب بما لا يفهمون، وإما الذهاب بفطانة العرب لأنهم لم يدركوا مراد الله تعالى من خطابه، وإن كانوا يعرفون هذه المعاني فلم لم تظهر نهضة العرب العلمية من لدن نزول القرآن الذي حوى علوم الأولين والآخرين؟ ولم لم تقم نهضتهم على هذه الآيات الشارحة لمختلف العلوم وسائر الفنون؟ وهذا أيضاً سلب لأهم خصائص العرب ومميزاتهم^(٦).

(١) الترمذي، سنن الترمذي، ج ٥، ص ١٧٢، باب ما جاء في فضل القرآن الكريم، حديث رقم ٢٠٦٩.

(٢) سبق تخريجه، ص ٤٨.

(٣) ينظر: الغزالي، إحياء علوم الدين، ج ١، ص ٢٨٩.

(٤) ينظر: الذهبي، محمد حسين، التفسير والمفسرون، ج ٢، ص ٣٦١، الخولي، أمين، مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير، ص ٢٢٢، المحتسب، عبد المجيد، اتجاهات التفسير في العصر الراهن، ص ٣١٨، شلتوت، محمود، تفسير القرآن الكريم الأجزاء العشرة الأولى، ص ١٣.

(٥) ينظر: الشاطبي، الموافقات، ج ٢، ص ١٠٩.

(٦) ينظر: الذهبي، محمد حسين، التفسير والمفسرون، ج ٢، ص ٣٦٠، الخولي، أمين، مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير، ص ٢٢٢.

المطلب الثاني: الفخر الرازي

بينما نرى الغزالي يقسم علوم القرآن إلى قريبة المأخذ منه وبعيدته، وأن جميع العلوم ما ذكرها وما لم يذكرها ليست خارجة عن القرآن، نجد أن قوله يبقى نظرياً إلى حد بعيد بخلاف الرازي الذي يطبق ذلك عملياً في تفسيره (مفاتيح الغيب) على معارف عصره، وإن كانت أغلب العلوم التي طبقها وتناولها هي علوم الفلك والهيئة، بالإضافة إلى حرصه على بيان تفوق الحكمة القرآنية على سائر الطرق الفلسفية^(١).

وقد حاول الرازي تطبيق المنهج العلمي في تفسيره، غير أنه بالغ في الإيمان بنظريات العالم الكوني الذي عرفه العقل البشري في عصره مبالغة طمست معالم الهداية القرآنية، وصرفت الآيات عن مقاصدها في الهداية إلى التوغل في بحوث علمية جافة ونظريات فلسفية معقدة. فأنت تراه في تفسير قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]، يذكر كلاماً يؤمن به ويعتقده في الدلالة على كون الأرض فراشاً للخلق لا تسلمه له النظريات المستحدثة، فهذه النظريات انتهت إلى بداهة أن الأرض متحركة بدورانها حول الشمس... وقد أتمم الرازي كتابه بنظريات العلم الذي ملأ عصره، وجعل هذه النظريات تفسيراً لكتاب الله تعالى، وقد نقض العلم نفسه تلك النظريات بنظريات أخرى قد ينقضها في المستقبل القريب أو البعيد^(٢).

وقد ردّ أبو حيان الأندلسي على استطراد الرازي في التفسير العلمي للقرآن بقوله: "إن كل قاعدة في علم من العلوم يرجع تقريرها إلى ذلك العلم، ونأخذها في علم التفسير مسلّمة من ذلك العلم، ولا نطول بذكر ذلك في علم التفسير، فنخرج عن طريقة التفسير، كما فعل أبو عبد الله محمد ابن عمر الرازي فإنه جمع في كتابه في التفسير أشياء كثيرة طويلة، لا حاجة بها في علم التفسير، ولذلك حكى عن بعض المتطرفين من العلماء أنه قال: فيه كل شيء إلا التفسير"^(٣).

وردّ الإمام الرازي على من اعترض عليه لإيراده في تفسيره ما أورده من مسائل العلم وقضايا الكون، وعرض بأصحاب التفاسير الأخرى، وردّ عليهم بقوله: "وربما جاء بعض الجهال والحمقى، وقال

(١) ينظر: أبو حجر، أحمد، التفسير العلمي للقرآن في الميزان، ص ١٤٥، الذهبي، محمد، الاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن، ص ٨٤.

(٢) ينظر: عرجون، محمد الصادق، القرآن العظيم هدايته وإعجازه في أقوال المفسرين، دمشق، دار القلم، د. ت، ص ٢٦٧-٢٦٩.

(٣) أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، ج ٢، ص ٥٤٧.

إنك أكثر في تفسير كتاب الله من علم الهيئة والنجوم، وذلك على خلاف المعتاد! فيقال لهذا المسكين: إنك لو تأملت في كتاب الله حق التأمل لعرفت فساد ما ذكرته... إن الله تعالى ملأ كتابه من الاستدلال على العلم والقدرة والحكمة بأحوال السماوات والأرض وتعاقب الليل والنهار، وكيفية أحوال الضياء والظلام وأحوال الشمس والقمر والنجوم، وذكر هذه الأمثلة في أكثر السور وكررها، وأعادها مرة بعد أخرى، فلو لم يكن البحث عنها والتأمل في أحوالها جائزاً لما ملأ كتابه منها^(١).

وقد انتقد محمد الصادق عرجون منهج الإمام الرازي في التفسير، واعتبر طريقته التي أراد بها أن يبرهن أن فاتحة الكتاب تتضمن ألوف المسائل والفوائد طريقة أشبه ما تكون بالعمليات الحسابية ولا سيما في تفسير القرآن الكريم الذي أنزل هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، وهي طريقة يمكن لكل عالم أو متعلم أن يقتل فراغ وقته أن يعتمد عليها، ويجربها في كلام آحاد الناس^(٢).

كما حذر أبو حيان الأندلسي من الزيادة على علم التفسير، وأن ذلك يعتبر فضول في هذا العلم، وأنه من كان هذا سبيله فهو نوع من التخليط والتخبيط^(٣).

وبين الرازي في تفسيره عجائب الخلق ومدح المتفكرين فيها، وأن الناس في ذلك التفكير على درجتين: فمنهم من يكتفي بالاستدلال الإجمالي ومنهم من يسمو إلى الاستدلال التفصيلي، وأنه لكثرة الدلائل وتواليها أثراً في تقوية اليقين وإزالة الشبهات، وأن الله أنزل الكتاب لهذه الفوائد والأسرار لا لتكثير النحو الغريب والاشتقاقات الخالية والفوائد والحكايات الفاسدة^(٤).

ويرى بعض المعارضين للتفسير العلمي أن ما ورد في القرآن الكريم من مشاهد الكون ونواميسه إنما هو بهدف لفت نظر السامعين إلى عظمة الله الدالة على وجوده بالإضافة إلى رياضة وجدانات الناس، ولا سيما أن الله قد خاطب الناس جميعهم عالمهم وجاهلهم، والهدى هو القدر المشترك فيهم جميعاً. والذهاب لغير ذلك هو تكلف وتزويد قد يخرج القرآن عن نطاق قدسيته إلى الجدل والنقاش والأخذ والرد^(٥).

(١) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ج ٤، ص ٣٢٤.

(٢) ينظر: عرجون، محمد الصادق، القرآن العظيم هدايته وإعجازه في أقوال المفسرين، ص ٢٣٢.

(٣) ينظر: أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، ج ٢، ص ٥٤٨.

(٤) ينظر: الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ج ١٤، ص ٢٧٤.

(٥) ينظر: الخولي، أمين، مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير، ص ٢٢٢، المحتسب، عبد المجيد،

اتجاهات التفسير في العصر الراهن، ص ٣١٧.

وردّ محمد رشيد رضا على الفخر الرازي في مقدمة تفسيره المنار، فقد نعى في تلك المقدمة على من اتجهوا اتجاهًا علميًا في تفسير القرآن الكريم معتبراً أنه من سوء حظ المسلمين أن أكثر ما كتب في التفسير يشغل قارئه عن المقاصد العالية والهداية السامية، فمنها ما يشغله عن القرآن بمباحث الإعراب وقواعد النحو ونكت المعاني ومصطلحات البيان، ومنها ما يصرفه عنه بجدل المتكلمين وتخريجات الأصوليين واستنباطات الفقهاء المقلدين وتأويلات المتصوفين وتعصب الفرق والمذاهب بعضها على بعض، وبعضها يلفته عنه بكثرة الروايات وما مزجت به من خرافات الإسرائيلية.

وقد زاد الفخر الرازي صارفاً آخر عن القرآن هو ما يورده في تفسير العلوم الرياضية والطبيعية وغيرها من العلوم الحادثة في الملة على ما كانت عليه في عهده، كالهئية الفلكية اليونانية وغيرها، فهو يذكر فيما يسميه تفسير الآية فصلاً طويلاً بمناسبة كلمة مفردة كالسما والارض من علوم الفلك والنبات والحيوان تصد قارئها عما أنزل الله لأجله القرآن^(١).

المطلب الثالث: جلال الدين السيوطي

سار السيوطي على نهج من سبقه من العلماء القدماء المؤيدين للتفسير العلمي للقرآن وما يتبعه من إعجاز، وتابع من سبقه من دعاة التفسير العلمي، ونجد هذه الدعوة واضحة موسعة في كتبه الإتيقان في علوم القرآن، والإكليل في استنباط التنزيل، ومعتك الأقران في إعجاز القرآن^(٢).

ويرى السيوطي أن القرآن يشتمل على علوم الأولين والآخرين، ففي كتابه (الإتيقان في علوم القرآن) نجده في النوع الخامس والستين منه يتكلم عن العلوم المستنبطة من القرآن، ويقرر أن أنواع العلوم ليس فيها باب ولا مسألة هي أصل إلا في القرآن ما يدل عليها، ومنه عجائب المخلوقات وملكوت السماوات والارض وبدء خلق الإنسان إلى موته^(٣).

كما ذكر قول القاضي أبو بكر بن العربي في قانون التأويل: علوم القرآن خمسون علماً وأربعمائة علم وسبعة آلاف علم وسبعون ألف علم على عدد كلم القرآن مضروبة في أربعة، إذ لكل كلمة ظهر وبطن وحد ومطلع، وهذا مطلق دون اعتبار تركيب وما بينها من روابط، وهذا لا يحصى ولا يعلمه إلا الله^(٤).

(١) ينظر: رضا، محمد رشيد، تفسير المنار، ج ١، ص ٧.

(٢) ينظر: الذهبي، محمد حسين، الاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن دوافعها ودفعها، ص ٢٥٥-٢٥٦.

(٣) ينظر: السيوطي، الإتيقان في علوم القرآن، ج ٤، ص ٣٨-٣٩.

(٤) ينظر: المرجع السابق، ج ٤، ص ٢٧.

وعارض الشاطبي هذا الرأي معارضة كبيرة في كتابه الموافقات واعتبره تجاوزاً في الدعوى على القرآن بقوله: "ما تقرر من أمية الشريعة، وأنها جارية على مذاهب أهلها وهم العرب ينبي عليه قواعد منها: أن كثيراً من الناس تجاوزوا في الدعوى على القرآن الحد فأضافوا إليه كل علم يذكر للمتقدمين أو المتأخرين من علوم الطبيعيات والمنطق وعلم الحروف، وجميع ما نظر فيه الناظرون من هذه الفنون وأشباهاها، وهذا إذا ما عرضناه على ما تقدم لم يصح.

والى هذا فإن السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن يليهم كانوا أعرف بالقرآن وعلومه وبما أودع فيه ولم يبلغنا أنه تكلم أحد منهم في شيء من هذا المدعى، سوى ما تقدم وما ثبت من أحكام التكاليف وأحكام الآخرة، وما يلي ذلك، ولو كان لهم في ذلك خوض ونظر لبلغنا منه ما يدلنا على أصل المسألة إلا أن ذلك لم يكن، فدل على أنه غير موجود عندهم، وذلك دليل على أن القرآن لم يقصد فيه تقرير لشيء مما زعموا. نعم تضمن علوماً من جنس علوم العرب، أو ما ينبنى على معهودها مما يتعجب منه أولوا الألباب، ولا تبلغه إدراكات العقول الراجعة دون الاهتداء بأعلامه والاستنارة بنوره، أما أن فيه ما ليس منه فلا^(١).

وأما ما نقله السيوطي عن أبي الفضل المرسي قوله باحتواء القرآن على علوم الطب والجدل والهيئة والهندسة والجبر والمقابلة، وفي القرآن أصول الطبائع وأسماء الآلات التي تدعو إليها الضرورة كالخياطة والحدادة والبناء والنجارة والغزل والنسج... وفيه من أسماء الآلات وضروب المأكولات والمشروبات والمنكوحات، وجميع ما وقع ويقع في الكائنات ما يحقق قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمٌّ أَمْثَلُكُمْ مَا قَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٨]^(٢).

فهذا المنهج في التفسير غريب جداً عن مقصد القرآن وهدايته، لأن هذه العلوم والفنون والصنائع والآلات التي عرض لذكرها هذا المفسر، وجعلها من العلوم التي احتواها القرآن لم يكن المقصود من ورودها في القرآن وروداً عابراً اقتضاه المقام في ذكر قصة أو عظة أو عبرة أو الإشارة إليها في آيات القرآن، أنها علوم ومعارف وفنون أنزل القرآن بمسائلها وقضاياها وموضوعاتها لتبحث في تفسيره كما تبحث في مصانعها ومعاملها بآلاتها ووسائلها التجريبية الخاصة، لأن ذلك مما لا ينبغي أن يكون مما يعرض له القرآن، لأن القرآن لم ينزله الله كتاب فن وصناعة وإنما أنزل هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان^(٣).

(١) ينظر: الشاطبي، الموافقات، ص ١٢٧-١٢٨.

(٢) ينظر: الغزالي، الإتيان في علوم القرآن، ج ١، ص ٣٣-٣٦.

(٣) ينظر: عرجون، محمد الصادق، القرآن العظيم هدايته وإعجازه في أقوال المفسرين، ص ٢٦٥-٢٦٦.

وهذه النظرة العلمية للقرآن، وجعله مصدراً لجوامع العلوم المختلفة هي نظرة خاطئة، لأن الله لم ينزل القرآن ليكون كتاب علم يتحدث فيه إلى الناس عن دقائق الفنون ونظريات العلوم وأنواع المعارف^(١).

ومن الآيات التي استشهد بها السيوطي للدلالة على جواز التفسير العلمي قوله تعالى: ﴿...مَا قَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ...﴾ [الأنعام: ٣٨]. وقوله تعالى: ﴿...وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

وقد رد الشاطبي على هذه الدعوى بقوله: "وربما استدلوا على دعواهم بقوله تعالى: ﴿...وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]. وقوله تعالى: ﴿...مَا قَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ...﴾ [الأنعام: ٣٨]. ونحو ذلك... فأما الآيات فالمراد بها عند المفسرين ما يتعلق بحال التكليف والتعبد، وأما المراد بالكتاب في قوله تعالى: ﴿...مَا قَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ...﴾ فهو اللوح المحفوظ، ولم يذكروا فيها ما يقتضي تضمنه لجميع العلوم النقلية والعقلية"^(٢).

والأدلة التي استدلت بها السيوطي هي عينها الأدلة التي استدلت بها الغزالي، غير أن الغزالي نحى في تأويلها منحى صوفياً لا نجده بارزاً عند السيوطي^(٣).

ولم ينسب السيوطي الكثير من الآثار إلى قائلها^(٤) نحو قوله: "وقال غيره: ما من شيء إلا يمكن استخراجها من القرآن لمن فهمه الله حتى أن بعضهم استنبط عمر النبي ﷺ ثلاثاً وستين سنة من قوله تعالى في سورة المنافقين قال تعالى: ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون: ١١]. فإنها رأس ثلاث وستين سورة، وعقبها بالتعابن ليظهر التعابن في فقده"^(٥).

(١) ينظر: شلتوت، محمود، تفسير القرآن الكريم الأجزاء العشرة الأولى، ص ١٣، الذهبي، محمد حسين، التفسير والمفسرون، ج ٢، ص ٣٦١، الخولي، أمين، مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير، ص ٢٢٢، المحتسب، عبد المجيد، اتجاهات التفسير في العصر الراهن، ص ٣١٨.

(٢) الشاطبي، الموافقات، ج ٢، ص ١٢٩.

(٣) ينظر: شلبي، هند، التفسير العلمي بين النظريات والتطبيقات، ص ٤٧.

(٤) بعد التحقيق والبحث عن هذه الآثار لم أجد أصلاً لها.

(٥) السيوطي، الإكليل في استنباط التنزيل، ج ١، ص ١٣، السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج ٤، ص ٣٠.

كما أن بعض الآثار التي اعتمد عليها لا تؤخذ على ظاهرها وبإطلاق بالإضافة إلى إمكانية تأويل بعضها كقول ابن عباس: لو ضاع لي عقل بغير لوجدته في كتاب الله^(١)، فهل يعقل أن يجد العقل نفسه موجوداً بين صفحات كتاب الله؟ قطعاً لا، ولكنه يجد مثلاً حكم سارقه في كتاب الله^(٢).

المطلب الرابع: طنطاوي جوهري

آمن طنطاوي جوهري بأن القرآن لا يفسر إلا بالعلم الحديث، فألف تفسيراً أسماه (الجواهر في تفسير القرآن الكريم) وضع فيه غرائب العلوم وعجائب الخلق كما قال عنه: "لقد وضعت في هذا التفسير ما يحتاجه المسلم من الأحكام والأخلاق وعجائب الكون، وأثبت فيه غرائب العلوم وعجائب الخلق، مما يشوق المسلمين والمسلمات إلى الوقوف على حقائق معاني الآيات البينات في الحيوان والنبات والأرض والسموات"^(٣).

وقد ملأ تفسيره الضخم بمئات المسائل العلمية التي تتحدث عن مظاهر الكون حديث الفيزيائي والكيميائي والطبيعي والفلكي والجغرافي، فهو ينتهز كل كلمة عابرة كالرعد أو المطر أو النمل أو النحل ليفيض في حقائق علمية تعرض خواص هذه الأشياء دون أن تدعو إليها حاجة^(٤).

كما وضع فيه صور النباتات والحيوانات ومناظر الطبيعة وتجارب العلوم واستخدم الرياضيات في تفسير النصوص القرآنية، وفسر بعضها تفسيراً يقوم على نظريات علمية حديثة الأمر الذي أساء إلى التفسير إساءة بالغة من حيث يظن أنه يحسن صنعاً، فلم يجد تفسيره قبولاً لدى كثير من المثقفين لما فيه من تعسف في حمل الآيات على غير معناها^(٥).

وقد انتقد محمد حسين الذهبي طريقة الطنطاوي في التفسير بقوله: كان يفسر الآيات القرآنية تفسيراً لفظياً مختصراً. لا يكاد يخرج عما في كتب التفسير المألوفة لنا، ولكنه سرعان ما يخلص من هذا التفسير الذي يسميه لفظياً، ويدخل في أبحاث علمية مستفيضة وهي عبارة عن مجموعة كبيرة من أفكار علماء الشرق والغرب في العصر الحديث أتى بها المؤلف ليبين للمسلمين ولغير

(١) ينظر: ص ٥٦.

(٢) ينظر: اللوح، عبد السلام، الإعجاز العلمي في القرآن الكريم (رسالة ماجستير)، ص ١٤٨.

(٣) ينظر: جوهري، طنطاوي، الجواهر في تفسير القرآن الكريم، ج ١، ص ٣٠.

(٤) ينظر: عباس، فضل، التفسير والمفسرون أساسياته واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث، ج ١، ص ٥٩٤.

(٥) ينظر: القطان، مناع، مباحث في علوم القرآن، ص ٣٨٣.

المسلمين أن القرآن قد سبق إلى هذه الأبحاث ونبه إلى تلك العلوم قبل أن يصل إليها هؤلاء العلماء بقرون متطاولة^(١).

وإن محاولة إظهار أن القرآن قد سبق بالإشارة إلى العلوم الكونية ينطوي على ثلاث معانٍ لا تليق بجلال القرآن الكريم، وهذه المعاني هي:

الأول:

الهزيمة الداخلية التي تخيل لبعض الناس أن العلم هو المهيمن والقرآن تابع، كما أنها محاولة لتثبيت القرآن بالعلم على حين أن القرآن كتاب كامل في موضوعه ونهائي في حقائقه، والعلم لا يزال في موضوعه اليوم ينقض ما أثبتته بالأمس.

الثاني:

سوء فهم طبيعة القرآن ووظيفته، وهي أنه حقيقة نهائية مطلقة تعالج بناء الإنسان بناءً يتفق بقدر ما تسمح به طبيعة الإنسان النسبية مع طبيعة هذا الوجود وناموسه الإلهي.

الثالث:

التأمل المستمر مع التمثل والتكلف لنصوص القرآن كي نحملها ونلث بها وراء الفروض والنظريات التي لا تثبت ولا تستقر. وكل أولئك لا يتفق مع جلال القرآن ويحتوي على خطأ منهجي^(٢).

كما اعتبر الذهبي تفسير الجواهر موسوعة علمية، ضربت في كل فن من فنون العلم بسهم وافر مما جعل هذا التفسير يوصف بما وصف به تفسير الفخر الرازي فقليل عنه: فيه كل شيء إلا التفسير. فقد كان المؤلف كثيراً ما يسبح في ملكوت السماوات والأرض بفكره ويطوف في نواح شتى من العلم بعقله وقلبه، ليجلي للناس آيات الله في الأفاق وفي أنفسهم، ثم ليظهر بعد ذلك كله أن هذا القرآن قد جاء متضمناً لكل ما جاء ويجيء به الإنسان من علوم ونظريات، ولكل ما اشتمل عليه الكون من دلالات وأحداث تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿...مَا قَرَّظْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ...﴾ [الأنعام: ٣٨]. ولكن هذا خروج بالقرآن عن قصده وانحراف به عن هدفه^(٣).

(١) ينظر: الذهبي، محمد حسين، التفسير والمفسرون، ج ٢، ص ٣٧٣.

(٢) ينظر: قطب، سيد، في ظلال القرآن، ج ١، ص ١٨٢.

(٣) ينظر: الذهبي، محمد حسين، التفسير والمفسرون، ج ٢، ص ٣٧٩.

والقرآن غني عن الاعتزاز بمثل هذا التكلف الذي قد يوشك أن يخرج به عن هدفه الإنساني الاجتماعي في إصلاح الحياة ورياضة نفوس الناس جميعاً على اختلاف حظهم من العلوم الطبيعية والرياضية وما إليها ^(١).

وقد استشر طنطاوي جوهري الانتقادات التي وجهت إليه في تفسيره وخاصة فيما يتعلق بتفسير سورة الفاتحة وأنه حملها ما لا تحتل ورد على تلك الانتقادات بقوله: لعلك تقول مالي أراك تحمل سورة الفاتحة، وتدخل فيها من العلوم ما لا يعقل مع أن الناس يقرؤونها ولا يلحظون ما تذكرون ويكررونها صباحاً ومساءً، ولا يتهيأ لهم ما تصفون وإنما أنتم تقولون هذا استطراداً لا استنباطاً، وتطويلاً لا تأويلاً، وتعليماً لا تفسيراً، وإكثاراً لا استخراجاً، ويجب عليها بما خلاصته أن ليس من الضروري أن كل قارئ يلحظ ذلك، وما يفعلها إلا العالمون، وذكر أن مثل ذلك كمثّل فلاح ركب دابة ومعه ولده، واتجه إلى حقله فرأى مهندساً وعالماً طبيعياً وحاكماً إلهياً، فكل واحد من هؤلاء تختلف نظرتهم إلى الحقل علواً وانخفاضاً فيقاس عليها نظرات الناس في الفاتحة ^(٢).

وهذا الجواب في الواقع غير مقنع فالقرآن أنزل للهداية لا ليكون موسوعة لكل العلوم، فيجب أن تصرف آياته وكلماته إلى مقصودها اللغوي أو المأثور عنه ﷺ، ومن الممكن تأليف كتب مستقلة عن التفسير في هذه العلوم، ولا مانع بتضمينها إشارات القرآن إليها، باعتباره دعا إلى جميع العلوم التي تنفع الناس ^(٣).

وقد انتقد محمد رشيد رضا في تفسيره المنار مذهب الطنطاوي في تفسيره سورة الفاتحة بقوله: وقد ذهب بعض المعاصرين مذهباً بعيداً في تفسير الفاتحة وغيرها من القرآن حيث يرى أن تفسير لفظ العالمين مثلاً يقتضي بيان كل ما وصل إليه علم البشر من مدلول هذا اللفظ، وأن تفسير لفظة الرحمن الرحيم يقتضي بيان كل ما يعرف من نعم الله وإحسانه بخلقه وإلى خلقه من كل وجه، فاتباع هذا المذهب في تفسير الفاتحة أو آية أو كلمة منها لا يكمل إلا بكتابة ألوف من المجلدات يدون فيها كل ما وصل إليه علم جميع علماء الأرض في أعيان العالم وصفاتها وأحوالها من أدنى الحشرات إلى أرقى البشر، وإن عُدَّ مثل هذا التفسير إضلالاً عن القرآن، وإنما يحسن في

(١) ينظر: شلتوت، محمود، تفسير القرآن الكريم الأجزاء العشرة الأولى، ص ١٤، الذهبي، محمد حسين، التفسير والمفسرون، ج ٢، ص ٣٦١، الخولي، أمين، مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير، ص ٢٢٣.

(٢) ينظر: طنطاوي، جوهري، الجواهر في تفسير القرآن، ج ١، ص ١٧.

(٣) ينظر: أبو حجر، أحمد، التفسير العلمي للقرآن في الميزان، ص ١٨١.

التفسير تذكير المؤمن بألا يغفل عن ذكر الله، والتفكر في آياته ورحمته ونعمه في كل نوع من مخلوقاته عند النظر فيها والتفكر في آيات الله الدالة عليها^(١).

كما يرى محمد رشيد رضا أن الإسهاب في تفسير الآية يصد القارئ عما أنزل لأجله القرآن منتقداً بذلك طنطاوي جوهرى وإن لم يصرح باسمه حيث قال: " وقلده (الفخر الرازي) بعض المعاصرين بإيراد مثل هذا من علوم العصر وفنونه الكثيرة الواسعة، فهو يذكر فيما يسميه تفسير الآية فصولاً طويلة بمناسبة كلمة مفردة كالسما والارض من علوم الفلك والنبات والحيوان تصد قارئها عما أنزل لأجله القرآن"^(٢).

وتحت عنوان الشريعة الإسلامية والنظر في الأنفس والآفاق، حصّ طنطاوي جوهرى على النظر في آيات العلوم الكونية القرآنية، وذكر أنه ينبغي أن ندرس علوم الهيئة والفلك والحساب والهندسة وعلم المعدن والنبات والحيوان وسائر علوم هذه الدنيا، وأن دراستها من الدين فيكون علم الدين على قسمين: العلم الأول: علم الآفاق والأنفس والعلم الثاني: علم الشريعة، وبذلك ترى العالم الديني شارحاً للنبات والحيوان، والآخر يدير المعمل الكيماوي، وهذا من قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ...﴾ [فصلت: ٥٣]^(٣).

ويرى الشعراوي^(٤) أن حرف السين في قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ...﴾ [فصلت: ٥٣]. تدل على المستقبل، والمستقبل هنا لا ينتهي بل إن عطاءه مستمر لهذا الجيل والجيل الذي بعده، ومن هنا فإن الله سبحانه وتعالى أعلمنا أن هناك حقائق وآيات سيكشف عنها لكل جيل. ولكن ليس معنى هذا أن نحمل آيات القرآن ومعانيه أكثر مما تحتتمل، وأن نتعامل معه على أساس أنه كتاب جاء ينبئنا بعلوم الدنيا، فالقرآن لم يأت ليعطينا أسرار علم الهندسة أو علم الفلك أو علم الفضاء، ولكنه كتاب هداية وإرشاد كما بدأ في أول سورة منه بعد الفاتحة بقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة، ٢]^(٥).

(١) ينظر: رضا، محمد رشيد، تفسير المنار، ج ١، ص ٨٥.

(٢) رضا، محمد رشيد، تفسير المنار، ج ١، ص ٧.

(٣) ينظر: أبو حجر، أحمد، التفسير العلمي للقرآن في الميزان، ص ١٧٩.

(٤) الشعراوي: عالم دين ووزير أوقاف مصري سابق. يعد من أشهر مفسري معاني القرآن الكريم في العصر الحديث. من مؤلفاته: "معجزة القرآن"، "المنتخب في تفسير القرآن الكريم". www.wikipedia.org.

(٥) ينظر: الشعراوي، محمد متولي، معجزة القرآن، ص ٤٢.

ولم يلق هذا التفسير قبولاً لدى كثير من المثقفين: حيث نجد أن الكثير من أقواله قد صدرت في مقام الرد على من كان يوجه إليه اللوم والاعتراض على ما كان منه من تحميل القرآن الكريم علوماً ونظريات مستحدثة لا عهد للعرب بها، ولا صلة للقرآن بشيء منها. ويظهر لمن يتصفح هذا التفسير أن المؤلف لاقى الكثير من لوم العلماء على مسلكه الذي سلكه في تفسيره، مما يدل على أن هذه النزعة التفسيرية لم تلق قبولاً لدى كثير من المثقفين ^(١).

حتى أن بعض القائلين بالتفسير العلمي ومنهم حنفي أحمد انتقد هذا التفسير فهو يرى أن الطنطاوي أفاض في تفسيره الجواهر وأسهب كثيراً، وبين الكثير من العلوم المختلفة التي تشير إليها الآيات الكونية، وزاد في هذا البيان حتى جاوز حدود معاني الآيات، ولم يحاول الجمع بينها فحفي بذلك كثير من حقيقته ومقدار العلم المنزل بها ^(٢).

المطلب الخامس: عبد الرزاق نوفل

سار عبد الرزاق نوفل على منوال طنطاوي جوهري في كتبه الكثيرة التي تحدث فيها عن الإعجاز العلمي. فقد ألف كتابه الله والعلم الحديث الذي عقد فيه فصلاً للإعجاز العلمي للقرآن عالج فيه ربط بعض الآيات القرآنية بالعلوم الحديثة، ثم أتبعه بكتاب الإسلام والعلم الحديث لفائدة المسلمين وغيرهم ممن يودون أن يعرفوا عن حقيقة هذا الدين. كما ألف كتاباً بعنوان بين الدين والعلم أثبت فيه ألا تعارض ولا جفوة بين الدين والعلم إطلاقاً.

ويرى عبد الرزاق نوفل أن الإعجاز العلمي من ضمن أوجه إعجاز القرآن التي تخرص السنة كل مكابر، فقد أثبت التقدم الفكري في العلوم في العصر الحديث أن القرآن كتاب علم قد جمع أصول كل العلوم والحكمة، وكل مستحدث من العلم نجد أن القرآن قد وجه إليه النظر أو أشار إليه ^(٣).

وفي كتابه القرآن والعلم الحديث ينطلق من فكرة أساسية عند القائلين بالتفسير العلمي وهي صلاحية القرآن لكل زمان ومكان، فهو يرى أن القرآن معجزة علمية حوت أصول العلم الحديث، كما سبق بالإشارة إلى كل مستحدث من العلوم، وأن هذا الوجه من الإعجاز كاف لإقناع رجال

(١) ينظر: الذهبي، محمد، التفسير والمفسرون، ج ٢، ص ٣٧٢.

(٢) ينظر: أحمد، حنفي، التفسير العلمي للآيات الكونية، ص ٧.

(٣) ينظر: نوفل، عبد الرزاق، القرآن والعلم الحديث، ص ٢٣، الرومي، فهد، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، ج ٢، ص ٥٧٢، المحتسب، عبد المجيد، اتجاهات التفسير في العصر الراهن، ص ٢٨٧.

الغرب بمعجزة القرآن الكريم، وأن هذا الإعجاز هو السبيل لتبليغ الدعوة الإسلامية لغير العرب، واليوم الذي ننشر على العالم بلغاته المختلفة ما قد سبق القرآن إلى القول به وأثبتته التقدم العلمي في مختلف العلوم هو اليوم الذي نكون فيه قد أدينا الرسالة وأبلغنا لدعوة وأظهرنا معجزة القرآن لغير العرب.^(١)

ويرى الخولي أن اتجاه المؤيدين المعاصرين للتفسير العلمي أو ما يسميهم بذوي النوايا الطيبة في جعل الارتباط بين كتاب الدين والحقائق العلمية المختلفة ناحية من نواحي بيان صدقه أو إعجازه أو صلاحيته للبقاء ضرره أكثر من نفعه، وإن كانوا قد سلكوا هذا الاتجاه للدفاع عن مناقضة العلم للدين، فيكفيهم أنه لا يوجد في كتاب الله نص صريح يصادم حقيقة علمية يكشف البحث أنها من نواميس الكون ونظم وجوده، وحسب كتاب الدين بهذا القدر من صلاحيته للحياة ومسايرة العلم وخلصاً من النقد.

وخير لأصحاب هذه الرغبات الذين يبينون الصدق والإعجاز أو الصلاحية لكتاب الله بهذا النحو من التفسير العلمي ألا يتكلفوا في ربط الكتاب العلم وإن كانوا لا بد فاعلين فحسبهم كما تقدم ألا يكون في القرآن نص صريح يصادم حقيقة علمية دون أن يمكن التوفيق بينه وبينها... والقرآن غني على أن يعتز بمثل هذا التكلف الذي يوشك أن يخرج به عن هدفه الإنساني الاجتماعي في إصلاح الحياة ورياضة نفوس الناس جميعاً على اختلاف حظهم من العلوم الطبيعية والرياضية وما إليها.^(٢)

كما رد الذهبي على إثبات الإعجاز العلمي للقرآن بدعوى إظهار صلاحيته للحياة بقوله: من الخير ألا يسلك هذا المسلك - التفسير العلمي - في تفسير القرآن بدعوى إظهار إعجاز القرآن وصلاحيته للتمشي مع التطور الزمني، وحسب القرآن أنه يمكن التوفيق بينه وبين ما جدّ ويجدّ من نظريات وقوانين علمية تقوم على أساس من الحق، وتستند إلى أصل صحيح.^(٣)

وإن جعل الارتباط بين القرآن وبين الحقائق العلمية ناحية من نواحي بيان صدقه أو صلاحيته للبقاء أو إعجازه هو خلط بين علم التفسير وعلم إعجاز القرآن.^(٤)

(١) ينظر: نوفل، عبد الرزاق، القرآن والعلم الحديث، ص ٢٦، أبو حجر، أحمد، التفسير العلمي للقرآن في الميزان، ص ٢٠٨.

(٢) ينظر: الخولي، أمين، مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير، ص ٢٢٣.

(٣) الذهبي، محمد حسين، الاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن دوافعها ودفعها، ص ٩١.

(٤) ينظر: محمود شاكر، مقدمة كتاب الظاهرة القرآنية لمالك بن نبي، ص ٢٤.

كما أن التفسير العلمي يعتبر تفسيراً طارئاً وليد أحداث مستمدة في العصر الحديث نتجت عنها في المجتمعات الإسلامية تحديات قومية وحضارية تعود إلى انبهار الشرق بما فعله الغرب من تقدم علمي ورقي حضاري، لذلك سعى القائلون بالتفسير العلمي إلى الرد على هذه التحديات لإثبات إعجاز القرآن وصلاحيته لكل زمان ومكان، والتأكيد على اشتماله لأسباب تفوق الغرب أي العلوم الحديثة^(١).

ويدافع عبد الرزاق نوفل عن اتجاهاته في تفسير بعض آيات القرآن تفسيراً علمياً في كتابه (بين الدين والعلم): وقد يكون لبعض المعترضين الحق إذا كان ما ندعو إليه هو التفسير بنظريات علمية، ولكن لم يتجه أي إنسان مخلص في دعوته إلى النظريات العلمية بل إلى الحقيقة العلمية، والفارق بين النظرية العلمية والحقيقة العلمية كبير وكبير جداً، إذ أن النظرية العلمية هي ما لم يتم الدليل على صحتها بدرجة تجعلها حقيقة علمية غير قابلة للتطور أو التغيير أو التبديل^(٢).

إلا أن هناك فرق كبير أيضاً بين الحقيقة العلمية والحقيقة القرآنية فمن سمات العلم أنه تاريخي وله مراحل وطبقات، فما كان حقيقة يوماً صار غير ذلك، أو ما هو فرض الآن يمكن أن يتحول إلى حقيقة علمية يوماً ما. فهناك ما يعرف بتاريخ العلم أما الحقيقة القرآنية فهي مطلقة بمجرد نزولها من عند الله وفي لحظتها فهي متجاوزة للتاريخ بخلاف الحقيقة العلمية وفي كل لحظة غير قابلة للاختبار أو إعادة النظر أو المراجعة^(٣).

وبالنهاية يمكن القول بأن ولع المشتغلين بالإعجاز العلمي ومحاولتهم استنباط النواميس العلمية والفنية، واستخراج النظريات العلمية كالدورات الشمسية والقمرية والأرضية وأطوار النشوء وانفتاح السماء والأرض من بعض النصوص القرآنية، أو محاولة تطبيق النظريات العلمية المتصلة بنواميس الكون والشمس والقمر والسماء والأرض والحياة وغيرها ليدلوا على احتواء القرآن على أسس هذه الإشارات يؤدي إلى صرفها عن هدفها الوعظي والتدعيمي للدعوة أولاً، وإخراج القرآن من نطاق قدسيته إلى نطاق الجدل والبحث والنفي والإثبات في حقائق النظريات العلمية والفنية والكونية، وما تتعرض له هذه النظريات من التبدل والتجدد والتطور^(٤).

(١) ينظر: بنت الشاطي، عائشة، القرآن والتفسير العصري، ص ٤٠-٤١، الذهبي، محمد، التفسير والمفسرون، ج ٢، ص ٣٦١.

(٢) ينظر: نوفل، عبد الرزاق، بين الدين والعلم، بيروت، دار الكتاب العربي، ص ١٤٤.

(٣) ينظر: زغلول، سعد، "الإعجاز العلمي خطيئة المنهج وخطايا التطبيق"، www.tammam.org

(٤) ينظر: دروزة، محمد عزة، القرآن المجيد، ص ٢٤٨-٢٤٩.

المبحث الثاني

مناقشة أدلة المانعين للإعجاز العلمي في القرآن الكريم

إن النزعة العلمية التي نزع بها طائفة من العلماء في تفسير القرآن بإدخال نظريات العلم التي هي نتاج فكري بشري على مناهج التفسير، وتحكيم تلك النظريات في معاني النصوص القرآنية حمل طائفة من العلماء القدامى والمحدثين على الوقوف في مقابلة أولئك، زاعمين أنه لا ينبغي مطلقاً أن ندخل نظريات العلم الحديث ساحة تفسير القرآن، بل لا ينبغي أن يستعان بشيء من هذه النظريات على تبين معاني القرآن.

المطلب الأول: الشاطبي

حمل الشاطبي في كتابه (الموافقات في أصول الأحكام) على القائلين بالتفسير العلمي وأن القرآن يحوي جميع علوم الأولين والآخرين.

ويرى الشاطبي أن علم التفسير مطلوب فيما يتوقف عليه فهم المراد من الخطاب، فإذا كان المراد معلوماً، فالزيادة على ذلك تكلف، ويتبين ذلك في مسألة عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين قرأ قوله تعالى: ﴿وَفِكَهَةٌ وَأُنثَى﴾ [عبس: ٣١]. وقال: فهذه الفاكهة فما الأب، ثم قال: «نهينا عن التكلف»^(١). فالأب معنى إفرادي لا يقدح العلم به في علم المعنى التركيبي للآية، إذ هو مفهوم من حيث أخبر الله تعالى في شأن طعام الإنسان أنه أنزل من السماء ماءً فأخرج به أصنافاً كثيرة مما هو طعام الإنسان مباشرة كالحب والعنب والزيتون والنخل، ومما هو من طعامه بواسطة، مما هو مرعى للأنعام على الجملة، فبقي التفصيل في كل فرد من تلك الأفراد فضلاً، فلا على الإنسان أن يعرفه، ومن هذا الوجه والله أعلم عدّ البحث عن معنى الأب من التكلف، وإلا فلو توقف عليه فهم المعنى التركيبي من جهته لما كان من التكلف، بل من المطلوب علمه لقوله تعالى: ﴿... لِيَذْكُرُوا أَنِيتِهِمْ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩]^(٢).

ثم يتحدث الشاطبي عن تكلف أهل العلوم الطبيعية وغيرها على الاحتجاج على صحة الأخذ من علومهم بآيات من القرآن وأحاديث النبي ﷺ، فقد استدل أهل العدد بقوله تعالى: ﴿... فَسَكَلِ الْعَادِينَ﴾ [المؤمنون: ١١٣]. وأهل النسب الهندسية بقوله تعالى: ﴿... إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ

(١) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما يكره من كثرة السؤال وتكلف ما لا

يعنيه، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، ج ٩، ص ٩٥، حديث رقم ٧٢٩٣.

(٢) ينظر: الشاطبي، الموافقات، ص ٥٧-٥٨.

اعتلاق بذلك، فالحقيقة العلمية مرادة بمقدار ما بلغت إليه أفهام البشر وبمقدار ما ستبلغ إليه. وذلك يختلف باختلاف المقامات ويبنى على توفر الفهم، وشرطه ألا يخرج عما يصلح له اللفظ، ولا يبعد عن الظاهر إلا بدليل، ولا يكون تكلفاً بيناً، ولا خروجاً عن المعنى الأصلي^(١).

ويقرر الشاطبي في المسألة الثالثة من مسائل بيان قصد الشارع في وضع الشريعة للأفهام في كتابه الموافقات أن هذه الشريعة أمية لأن أهلها كذلك فهو أجرى على اعتبار المصالح أي أن تنزيل الشريعة على مقتضى حال المنزل عليهم أوفق برعاية المصالح التي يقصدها الشارع الحكيم، ويدل على ذلك عدة أمور أحدها النصوص المتواترة اللفظ والمعنى كقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢]، وقوله تعالى: ﴿... فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبَعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وفي الحديث قال رسول الله ﷺ: «إنا أمة أمية، لا نكتب ولا نحسب، الشهر هكذا وهكذا وهكذا» وعقد الإبهام في الثالثة «والشهر هكذا، وهكذا، وهكذا» يعني تمام ثلاثين^(٢)، وفسر الشاطبي معنى الأمة الأمية في الحديث بالأمة التي ليس لها علم بالحساب ولا بالكتاب^(٣).

وموقف الشاطبي في هذه القضية متهافت لا يقوم على دعائم من الأصول العقدية التي تسنده، إذ لا دخل لأمية النبي التي فسرهما العلماء بأنه كان لا يقرأ ولا يكتب، وأنه لم يجلس إلى العلماء لمدارسة العلم عن الكتب كما يشير إلى ذلك ما ساقه الشاطبي نفسه في أدلته نحو قوله تعالى: ﴿... فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبَعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكُمْ إِذَا لَأَزْتَابُ الْمُبْطِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٨]^(٤).

وأما قول الشاطبي بأن الشريعة التي بعث بها النبي الأمي ﷺ إلى العرب خصوصاً وإلى من سواهم عموماً، إما أن تكون على نسبة ما هم عليه من وصف الأمية أو لا، فإن كان كذلك، فهو معنى كونها أمية، أي: منسوبة إلى الأميين، وإن لم تكن كذلك، لزم أن تكون على غير ما عهدوا،

(١) ينظر: عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ج ١، ص ٤٤.

(٢) مسلم، صحيح مسلم، باب وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال، والفطر، ج ٢، ص ٧٦١، حديث رقم: ١٠٨٠.

(٣) ينظر: الشاطبي، الموافقات، ج ٢، ص ١١١.

(٤) ينظر: عرجون، محمد الصادق، القرآن العظيم هدايته وإعجازه في أقوال المفسرين، ص ٢٧٠.

فلم تكن لتتنزل من أنفسهم منزلة ما تعهد، وذلك خلاف ما وضع عليه الأمر فيها، فلا بد أن تكون على ما يعهدون، والعرب لم تعهد إلا ما وصفها الله به من الأمية، فالشريعة إذًا أمية^(١).

فيتساءل عبد الله دراز في تعليقه على ذلك: "هل لو جاءت الشريعة على طريق يحتاج لعلوم كونية ووسائل فلسفية، ولكنها صيغت في القالب العربي المعجز لهم عن الإتيان بمثله، بحيث يفهمون معناه والغرض منه، وإن كانوا في تطبيقه وتعرف مبنى أحكامه محتاجين إلى تلك الوسائل، كما إذا بنى أوقات الصلوات الخمس على مواعيد تحتاج إلى الآلات والتقويم الفلكية، ولم يكتف بالمشاهدات الحسية كما صنع في الزوال والغروب والشفق إلخ، أو بنى الصوم لا على رؤية الهلال بالبصر، بل وضع القاعدة على لزوم معرفة علم الميقات لمعرفة أول رمضان، لو كان الشارع بدل أن يبنى الأحكام على الأمور الحسية التي تسع جميع الخلق بناها على أمور علمية كما صورنا، هل كان ذلك يمنع عن فهم القرآن وغرضه، ويكون الحال مثل ما إذا جاء بلغة أعجمية بالنسبة للعرب؟ الجواب بالنفي، غايته أنه يكون في تكاليفها مشاق على أكثر الخلق بإلزامهم بتعرف هذه الوسائل ليطبّقوا أوامر الشريعة حسبما أرادت، أما أنهم يعجزون عن فهم الكتاب حتى لا يكون حجة، فليس بظاهر لأن حجيته عليهم جاءت من جملة أمور أهمها عندهم أنه كلام من جنس كلامهم في كل شيء إلا أنه بأسلوب أعجزهم عن الإتيان بمثله"^(٢).

وينعكس هذا الدليل على الشاطبي فالشريعة التي بعث بها النبي ﷺ إلى الناس كافة، وفيهم العرب الأميون إما أن تكون على نسبة ما كان ويكون عليه عامة الإنسانية كلها في أممها وشعوبها من العلم والمعرفة الحاصلة والمتجددة إلى يوم القيامة أو لا تكون كذلك، فإن كانت على نسبة ما عليه الإنسانية المبعوث إليها رسول الله ﷺ من حصائل الفكر الإنساني في العلم والمعرفة، وما يكون لها من مستقبل في حياتها من التفكير العلمي المستكشف لحقائق الكون وأسرار الطبيعة، وذلك هو معنى كونها شريعة علمية أي منسوبة إلى العلم والمعرفة، على معنى أن كتابها هو دستورها الأعظم فتح للعقل الإنساني مجالات البحث والتفكير والحث على العلم والمعرفة بما لم يبلغه كتاب سواه. وإن لم تكن على نسبة ما عليه الإنسانية وما يكون لها في مستقبل حياتها من العلم والمعرفة لزم أن تكون هذه الشريعة على غير ما تعهد الإنسانية، وما تعرف من تاريخها العلمي وأطوارها الفكرية في المعرفة، فلم تكن لتتنزل من أنفس الأمم والشعوب العالمة التي تعنى بالمعرفة وحصيلة الفكر الإنساني المتجددة منزلة ما عهدوا. وذلك خلاف ما جاءت به الشريعة

(١) ينظر: الشاطبي، الموافقات، ج ٢، ص ١١١.

(٢) الشاطبي، الموافقات، من تعليق عبد الله دراز على الموافقات، ج ٢، ص ١١١.

ووضع عليه أمرها، فلا بد أن تكون على ما تعهد عليه الإنسانية وتعرف من واقعها وتاريخها العلمي. فالشريعة إذاً علمية، لا تقف أبداً دون البحث العلمي ولا تأبى دون أن تؤاخي العلم والمعرفة، وهي بهذا تتألف الأمة في طبيعتها وفي حقيقتها، وأمية نبيها مفخرة لها ومعجزة لنبيها وكتابها، كما أن أمية العرب واقع تاريخي تحدث عنه النبي ﷺ في صدد بيان الحكم الشرعي يتعلق بعامة من كان في عصره مؤمناً برسالته، وهم جمهور العرب الأميين الذين كانوا لا يقرؤون ولا يحسبون، لم يكن الإسلام قد امتد إلى الأمم التي تقرأ وتحسب، وهي بلا شك لو وصلت إليها الدعوة لم يحكم عليها بالأمية التي هي واقع العرب وقت نزول الشريعة، والأحكام الشرعية تناط بأعم الوسائل المحققة عند كافة الخلق لأن التشريع للكافة لا للخاصة^(١).

وما ذكره الشاطبي من أن القرآن لو لم يكن على ما تعهده العرب لم يكن معجزاً عندهم، ولكانوا يخرجون عن مقتضى التعجيز بقولهم: هذا على غير ما عهدنا، إذ ليس لنا عهد بمثل هذا الكلام من حيث أن كلامنا معروف مفهوم عندنا، وهذا ليس بمفهوم ولا معروف فلم تقم الحجة عليهم به، ولذلك قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُضِّلَتْ ءَايَاتُهُ ۖ ءَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ...﴾ [فصلت: ٤٤]، فجعل لهم الحجة على فرض كون القرآن أعجمياً، ولما قالوا لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين، ولما قالوا إنما يعلمه بشر ردّ عليهم بقوله لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين، ولكنهم أذعنوا لظهور الحجة فدلّ ذلك على علمهم به وعهدهم بمثله مع العجز عن مماثلته^(٢).

ويعكس هذا الدليل على الشاطبي أيضاً، فلنأخذ أن يقول: لو لم يكن القرآن في هدايته العامة الشاملة لجميع ما يقوم بحاجة الإنسانية الفكرية والاجتماعية قياماً عاماً باقياً ببقاء رسالته على الأرض على ما تعهد الإنسانية كلها باعتبارها مدعوة للإيمان برسالة القرآن من العلم والمعرفة الشاملين لجميع فنونهما لم يكن عندهم معجزاً، وكان كثير من الأمم والشعوب يخرجون عن مقتضى التعجيز بقولهم: هذا القرآن على غير ما عهدنا ونعهد فأسلوبه وألفاظه وعباراته ليست من أسلوبنا وألفاظنا وعبارتنا، فليس لنا بأسلوبه وألفاظه وعباراته عهد ولا معرفة، ومعانيه وأفكاره قاصرة على ما يعهد الأميون من المعاني والأفكار المعهودة لهم، وليس فيه ما نعهد من المعاني والأفكار العلمية شيء فلا تلزمنا الحجة به^(٣).

(١) ينظر: عرجون، محمد الصادق، القرآن العظيم هدايته وإعجازه في أقوال العلماء، ص ٢٧١-٢٧٢.

(٢) ينظر: الشاطبي، الموافقات، ج ٢، ص ١١٢.

(٣) ينظر: عرجون، محمد الصادق، القرآن العظيم هدايته وإعجازه في أقوال المفسرين، ص ٢٧٢.

ومن القواعد التي تبنى على ما تم تقريره من أمية الشريعة أن كثيراً من الناس قد تجاوز في الدعوى على القرآن الحد فأضافوا إليه كل علم يذكر للمتقدمين أو المتأخرين من علوم الطبيعيات والتعاليم والمنطق وعلوم الحروف وجميع ما نظر فيه الناظرون من هذه الفنون وأشباهها، وهذا إذا ما عرضناه على ما تقدم لم يصح، وإلى هذا فإن السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن يليهم كانوا أعلم بالقرآن وعلومه وبما أودع فيه، ولم يبلغنا أن تكلم أحد منهم في شيء من هذا المدعى سوى ما ثبت من أحكام التكاليف وأحكام الآخرة وما يلي ذلك، ولو كان لهم في ذلك خوض ونظر لبغنا منه ما يدل على أصل المسألة إلا أن ذلك لم يكن، فدل أن ذلك لم يكن موجوداً عندهم^(١).

وإن الأساس الذي أسسه الشاطبي من كون القرآن لما كان خطاباً للأُميين وهم العرب فهو يعتمد في مسلك فهمه وإفهامه على مقدرتهم وطاقتهم، لهو أساس واه لعدة وجوه: الأول: أن ما بناه عليه يقتضي أن القرآن لم يقصد منه انتقال العرب من حال إلى حال، وهذا باطل لقوله تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَقِيبَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود: ٤٩]. الثاني: أن مقاصد القرآن راجعة إلى عموم الدعوة وهو معجزة باقية فلا بد أن يكون فيه ما يصلح لأن تتناوله أفهام من يأتي من الناس في عصور انتشار العلوم في الأمة، الثالث: إن القرآن لا تنقضي عجائبه يعنون معانيه، ولو كان كما قال الشاطبي لانقضت عجائبه بانحصار أنواع معانيه، الرابع: أن من تمام إعجازه أن يتضمن من المعاني مع إيجاز لفظه ما لم تف به الأسفار المتكررة، الخامس: أن مقدار أفهام المخاطبين به ابتداءً لا يقتضي أن يكون المعنى الأصلي مفهوماً لديهم، فأما ما زاد عن المعاني الأساسية فقد يتهياً لفهمه أقوام وتحجب عنه أقوام ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، السادس: أن عدم تكلم السلف عليها إن كان فيما ليس راجعاً إلى مقاصده فنحن نساعد عليه، وإن كان راجعاً إلى مقاصده فلا نسلم وقوفهم عند ظواهر الآيات بل قد بينوا وفصلوا وفرعوا في علوم عنوا بها ولا يمنعنا ذلك أن نفتني آثارهم في علوم أخرى راجعة لخدمة المقاصد القرآنية أو لبيان سعة العلوم الإسلامية، أما ما وراء ذلك فإن كان ذكره لإيضاح المعنى فذلك تابع للتفسير أيضاً، لأن العلوم العقلية إنما تبحث عن أحوال الأشياء على ما هي عليه، وإن كان فيما زاد على ذلك فذلك ليس من التفسير لكنه تكملة للمباحث العلمية، واستطراداً في العلم لمناسبة التفسير ليكون متعاطي التفسير أوسع قريحة في العلوم^(٢).

(١) ينظر: الشاطبي، الموافقات، ج ٢، ص ١٢٧-١٢٨.

(٢) ينظر: عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ج ١، ص ٤٤-٤٥.

وهذا الذي ذهب إليه الشاطبي جعله محل نقد ومؤاخذه لأن القرآن ليس قصراً على العرب وعلى الأميين، إنما هو دعوة عالمية تخاطب العربي وغير العربي والأمي والحكيم، زمن النزول وبعده. يقول الله تعالى في هذا المعنى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سبأ: ٢٨]. لذلك اشتد الشيخ محمد الطاهر بن عاشور في الرد على الشاطبي، واعتبر الأساس الذي بنى عليه نظريته أساساً واهياً ورده من ستة وجوه^(١).

والقرآن لم ينزل لأمة واحدة أو قرن واحد، بل نزل لجميع الأمم في شتى القرون المتعاقبة ليأخذ كل جيل من هديه ما يناسب استعداده الذهني والنفسي، ولن يضير النهر المتفرق أن يرتوي منه غلام ناشئ أو شاب مكتمل^(٢).

فعدم نظر المسلمين الأوائل في هذا لا يدل على تحريم النظر ممن جاء بعدهم، فالقرآن للأجيال كلها، ولو قصرنا القرآن على ما عند العرب وقت نزوله لأصبح الآن غير ذي جدوى ووضوح بالنسبة لحياة الناس ومعاملاتهم التي جدت والتي ستجد.

وقد رد الشاطبي على الأدلة التي استند إليها القائلين بالتفسير العلمي ومنها قوله تعالى: ﴿...مَا قَرَأْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ...﴾ [الأنعام: ٣٨]، وقوله تعالى: ﴿...وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]، بأنها مما لم يعهد عند العرب، والمراد بها عند المفسرين ما يتعلق بحال التكليف والتعبد، والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ، ولم يذكرها فيها ما يقتضي تضمنه لجميع العلوم العقلية والعقلية. وأما فواتح السور فقد تكلم الناس فيها بما يقتضي أن للعرب عهداً بها، كعدد الجمل الذي تعرفوه من أهل الكتاب حسبما ذكره رأي أصحاب السير، أو هي المتشابهات التي لا يعلم تأويلها إلا الله تعالى، وأما تفسيرها بما لا عهد به فلا يكون ولم يرَ أحد ممن تقدم فلا دليل على ما ادعوا. فليس بجائز أن يضاف إلى القرآن ما لا يقتضيه، ويجب الاقتصار في الاستعانة على فهمه على كل ما يضاف علمه إلى العرب خاصة. فيه يتوصل إلى علم ما أودع من الأحكام الشرعية فمن طلبه بغير ما هو أداة له ضلَّ عن فهمه وتقول على الله ورسوله^(٣).

(١) ينظر: شلبي، هند، التفسير العلمي للقرآن الكريم بين النظريات والتطبيقات، ص ٢٣.

(٢) ينظر: البيومي، محمد رجب، "التفسير العلمي للقرآن"، مجلة الأزهر، ١٣٨٠هـ، مجلد رقم ٣٢، ص ٤٦٣-٤٦٤.

(٣) ينظر: الشاطبي، الموافقات، ج ٢، ص ١٢٩-١٣١.

وإذا أخذنا بقول الشاطبي هذا فإنه لا يجوز لنا أن نتوصل إلى فهم ما مثل آيتي سورة النحل في تكوين اللبن والعسل بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً لِّتُنْقِضُوا بِطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ ٦٦﴾ وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٦٧ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ٦٨ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بَطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ٦٩﴾ [النحل: ٦٦-٦٩]. وما فيهما من أعاجيب ربنا في صنعه، لا يجوز لنا أن نتوصل إلى ذلك من علم حياة النحل وعلم حياة الحيوان ذي الدّر.

مع العلم أنه لا يمكن أن تتم العظة، والاعتبار الذي يشير إليه القرآن في آخر كل آية منها قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾. وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ لا يتم على وجهه الأكمل إلا بمعرفة تكوين العسل واللبن في علم حياة النحل وغيره. وكذلك لا يتم فهم على وجهها إلا بعد معرفة ما يصلح من الأمراض أن يكون العسل دواء له، وما لا يصلح أن يكون دواء له بل يكون ضاراً، ويترتب عليه أن تكون اللام في الناس للجنس أو العموم، والواقع أن كتاب الله للناس كلهم يأخذ منه كل على قدر استعدادته وحاجته، وإلا لاستوى العرب أنفسهم في الفهم للقرآن والأمر ليس كذلك^(١).

وكان هؤلاء المعارضين يريدون ألا يفهم من الآيات الكونية في القرآن إلا ما يفهمه العرب الذين نزل القرآن بينهم، فیلجأ بعضهم إلى تفسير ابن كثير ليخرج منه تفسير ابن عباس لسورة الأنبياء من أن السماوات كانت رتقاً لا تمطر والأرض كانت رتقاً لا تنبت فلما خلق الله للأرض أهلاً فتق هذه بالمطر، وفتق هذه بالنباتات، وغاب عنهم أن القرآن ليس مراداً به العرب وحدهم بل البشرية كلها. يفهم من آياته كل عصر بقدر ما آتاهم الله من العلم فتتجدد حجة الله على الناس بتجدد إعجاز القرآن العلمي من غير تعسف ولا تكلف^(٢).

(١) ينظر: الشاطبي، الموافقات، تعليق عبد الله دراز على الكتاب، ج ٢، ص ١٣٠.

(٢) ينظر: الغمراوي، محمد، الإسلام في عصر العلم، ص ٢٦٢-٢٦٣.

وعليه فلا يجب أن ينظر للقرآن بهذه النظرة التي تقف بالقرآن في هدايته ومعانيه عند مفهوم العرب الأميين، وإنما يجب أن ينظر إليه على أساس كونه كتاب هداية ودعوة إلى الله الواحد الأحد، وأنه أنزل من عند الله بشريعة خاتمة للشرائع الإلهية قائمة على نظام شامل للحياة.

وقد اقتضت دعوة القرآن وهدايته أن يكون حجة عقلية تقوم على النظر في الكون وآياته في الآفاق والأنفس، وبيان ما فيها من آثار اقتدار الله تعالى وحكمته، ولا يمكن الوصول إلى إقامة هذه الحجة لتكون برهاناً يقنع غير الأميين من أبناء الإنسانية في أرجاء الأرض حاضرها ومستقبلها إلا إذا اعتمدت على دعائم العلم والبحث^(١).

المطلب الثاني: أبو حيان الأندلسي

عارض أبو حيان الأندلسي التفسير العلمي وما يتبعه من إعجاز لا عجزاً منه، وإنما عمداً وقصداً لعدم الخروج عن حدود التفسير المقبول عنده^(٢).

كما حمل على الفخر الرازي لنزعه العلمية وأيضاً على من نحا نحو الاتجاه العلمي في تفسير القرآن، وسمى هذا الاتجاه فضولاً وتخبیطاً وتخليطاً، ولا بد من إرجاع كل قاعدة في علم من العلوم في تقريرها إلى ذلك العلم، وأخذها مسلمة من ذلك العلم دون الإطالة بذكرها في علم التفسير، مستشهداً على ذلك بقول أبي جعفر الثقفي فيما معناه، إذا رأيت الرجل ينتقل من فن إلى فن في البحث أو التصنيف فاعلم أن ذلك إما لقصور علمه بذلك الفن أو لتخليط في ذهنه، وعدم إدراكه إذ يظن أن المتغايرات متماثلات^(٣).

وما ذكره أبو حيان من أن التفسير العلمي هو مجاوزة لحدود التفسير المقبول وأنه نوع من التخليط والتخبيط فإن ذلك يرجع إلى الجهل بالعلوم الذي يؤدي إلى الخطأ في التفسير^(٤). وقد وردت فكرة أن الجهل بالعلوم مدعاة إلى الخطأ بالتفسير عند الرافعي الذي اعتبر أن من أدلة إعجاز القرآن أن يخطئ الناس في بعض تفسيره على اختلاف العصور لضعف وسائلهم العلمية^(٥).

(١) ينظر: عرجون، محمد الصادق، القرآن العظيم هدايته وإعجازه في أقوال المفسرين، ص ٢٧٣-٢٧٤، أبو حجر، أحمد، التفسير العلمي للقرآن في الميزان، ص ٢٩٢-٢٩٣.

(٢) ينظر: المحتسب، عبد المجيد، اتجاهات التفسير في العصر الراهن، ص ٢٩٥؛ الرومي، فهد، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، ج ٢، ص ٥٦١؛ الرومي، فهد، دراسات في علوم القرآن، ج ١، ص ٢٩٣.

(٣) ينظر: الأندلسي، أبو حيان، البحر المحيط، ج ٢، ص ٤٥٨.

(٤) ينظر: شليبي، هند، التفسير العلمي للقرآن الكريم بين النظريات والتطبيقات، ص ٦٢.

(٥) ينظر: الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص ١٤٣.

وإن مفسري القرآن خلال القرون (بما فيهم مفسرو الفترة العظيمة للمدنية الإسلامية) قد ارتكبوا دونما ريب أخطاء في تفسير بعض الآيات التي لم يكونوا يدركون معانيها الدقيقة، وقد ظلوا كذلك حتى الفترة الأخيرة القريبة من هذا العصر، حيث تمكنوا من تفسيرها التفسير الصحيح، وهذا يفيد بأنه لا يكفي حتى نفهم الآيات القرآنية التبحر في المعارف اللغوية، بل لا بد من امتلاك معارف علمية متنوعة جداً، وليس القرآن كتاباً هدفه عرض بعض الأنظمة التي تحكم الكون بل هو كتاب ذو هدف ديني، وهذا واضح على الخصوص بمناسبة أوصاف القدرة الإلهية المطلقة التي تستنهض الناس للتفكير في أعمال الخلق مقترنة إما بالإشارات إلى وقائع خاضعة للملاحظة الإنسانية، أو إلى قوانين حددها الله تحكم نظام الكون فيما يخص علوم الطبيعة، وفيما يخص الإنسان. وبعض هذه الأمور سهل الفهم وبعضها الآخر لا بد أن يكون لدينا معارف علمية ضرورية حتى نفهمه، ولذلك فإن بعض المفسرين القدامى لم يكونوا قادرين على كشف ظاهر المعنى الذي قد يحملهم في بعض الأحوال على الوصول إلى نتائج غير صحيحة لعدم اكتمال معرفتهم إذ ذاك ^(١).

وهذا النوع من المعارف التي جاءت في سياق بيان آيات الله وحكمه كانت مجهولة للعرب، أو لجميع البشر في الغالب حتى أن المسلمين كانوا يتأولونها ليخرجوها عن ظواهرها لتوافق المعروف عنهم في كل عصر من ظواهر وتقاليد أو من نظريات العلوم والفنون الباطلة، فإظهار ترقى العلم لحقيقتها المبينة فيه ما يدل على أنها موحى بها من الله تعالى ^(٢).

ويتحتم علينا أن نبين أن القرآن الذي هو كلام الله هو كلام علم أيضاً لقوله تعالى: ﴿سَرُّهُمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣]. لا نعني بذلك أن القرآن معجم علمي ولكنه كتاب مستوحى من روح العلم وجوهره، كما أن القرآن معجزة علمية لا لأنه يحتوي على القواعد والقوانين العلمية أي لا بصفته معجماً علمياً، ولكن لأنه مستوحى من روح العلم وجوهره. فمثلاً ما اكتشفه علماء الفضاء من أن الأرض ليست كروية الشكل ولكنها على شكل بيضة أو إجاصة، ورد في القرآن بقوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ [النازعات: ٣٠]. والدحية هي البيضة. ^(٣)

(١) ينظر: بوكاي، مورييس، التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، ترجمة: حسن خالد، بيروت، المكتب الإسلامي،

ط٣، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م، ص ١٥٠.

(٢) ينظر: رضا، محمد رشيد، تفسير المنار، ج ١، ص ١٧٧.

(٣) ينظر: التركي، بشير، الله العلم، تونس، د. د، ط ١، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ص ٨١-٨٣.

وبذلك نجد أن القرآن كتاب علم لا يفوته أي علم يكتشفه البشر. وهكذا فإن تفسير القرآن لن ينتهي أبداً وهو دائماً سابق العلم البشري، وتوجد فيه حلول مشاكل عديدة يبحث عن حلها علماء اليوم، وأكثر من ذلك فقد ذكر القرآن مشاكل علمية مع حلولها لا يستطيع العلم اليوم أن يصنع شكلها ولا أن يطرحها^(١).

المطلب الثالث: محمود شلتوت

تحدث محمود شلتوت في مقدمة كتابه (تفسير القرآن الكريم الأجزاء العشرة الأولى) عن ناحيتين يجب تنزيه القرآن عنهما حفاظاً على قدسيته وجلاله، وهاتان الناحيتان هما: ناحية استخدام آيات القرآن لتأييد الفرق والاختلافات المذهبية، وناحية استنباط العلوم الكونية والمعارف النظرية منه، هذه الناحية التي استند المشتغلون بها إلى النظريات العلمية الحديثة لتفسير القرآن الكريم. وإن الاتجاه العلمي لتفسير القرآن الكريم هو اتجاه خاطئ لأن الله لم ينزل القرآن ليكون كتاب يتحدث فيه إلى الناس عن نظريات العلوم ودقائق الفنون وأنواع المعارف^(٢).

ولا ينبغي أن يتم التفريق بين القرآن والعلم؛ ذلك أن القرآن باعتباره كتاباً يحتوي على أصول العقيدة وأصول الشريعة الإسلامية يتميز عن غيره من كتب الديانات الأخرى أنه جمع بين أمرين من عاداتهما ألا يجتمعا في شيء واحد فهو من ناحية كتاب عقيدة وكتاب أخلاق فيه الأوامر والنواهي، وفيه توجيه نحو الحقيقة المطلقة وجعلها يقيناً راسخاً وهو ما يسمى الإيمان، ومن ناحية أخرى كتاب علم لأن فيه دعوة إليه مع تحديد مفهوم واضح لمفهومه وإطلاق لموضوعه، فباب العلم في القرآن واسع ومهما بلغ المسلم من العلم فإنه يعتقد أن وراء ما بلغه أمور أخرى تحتاج إلى المعرفة، وهذا ما يفسر كثرة العلوم في الحضارة الإسلامية وتنوع موضوعاتها. وما يميز القرآن أنه ضم بين جنبه العقيدة التي تؤدي إلى الإيمان والعلم الذي يؤدي إلى المعرفة وجعل بينهما ارتباطاً وثيقاً.

إن الوحدة المتحققة في القرآن بين الإيمان والعلم هي التي تجعل طرح مشكل التفسير العلمي للقرآن غير شرعي؛ وعليه فلا تجوز التفرقة في حق القرآن، فهو يؤكد على وجود الحقيقة مثل ما يفعل ذلك العلم، ولا يفرضها على الفكر قسراً بل يستدرجه نحوها ويبين له سبل الوصول إليها، ويربط درجة العمق في إدراكها بدرجة العمق في البحث عنها^(٣).

(١) ينظر: التركي، بشير، الله العلم، تونس، د. د، ط١، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ص ٨٤.

(٢) ينظر: شلتوت، محمود، تفسير الأجزاء العشرة الأولى، ص ١٠-١١.

(٣) ينظر: شلبي، هند، التفسير العلمي للقرآن بين النظريات والتطبيق، ص ٧٧-٧٨.

وإن المتعرض لتفسير شيء من الكتاب العزيز عرضة للخطأ، وتبعة خطأه واقفة عليه هو لا على الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وإلا لاشتربنا من المفسر أن يكون معصوماً من الخطأ وهو شرط مستحيل تحققه في غير نبي، وتكون النتيجة تحريم تفسير القرآن على كل إنسان بعد عهد النبي ﷺ يستوي في ذلك التفسير الكوني وغير الكوني من آيات القرآن^(١).

ويرى محمود شلتوت أن النظرة العلمية للقرآن تعرضه للدوران مع مسائل العلوم في كل زمان ومكان، والعلوم لا تعرف الثبات ولا القرار ولا الرأي الأخير، فقد يصبح اليوم في رأي العلم ما يصبح غداً من الخرافات، ولو طبقنا القرآن على هذه المسائل العلمية المتقلبة لعرضناه للتقلب معها وتحمل تبعات الخطأ فيها^(٢).

بينما يرى موريس بوكاي^(٣) أنه ينبغي التمييز بين النظرية العلمية عن الملاحظة الدقيقة، لأن غاية النظرية توضيح حدث أو مجموعة أحداث صعبة الفهم، فهي إذاً متغيرة في عديد من الأحوال وقابلة للتحويل والاستبدال، وعلى العكس فإن فعل الملاحظة المحقق تجريبياً لا يكون قابلاً للتحويل فقد يمكن تحديد خصائصه بصورة أفضل، ولكنه يبقى كما كان.

فما تم إثباته من دوران الأرض حول الشمس، ودوران القمر حول الأرض لن يكون موضع إعادة نظر. ولعل هذه النظرة للسمة المتبدلة للنظريات هي التي حدثت بي إلى استبعاد آية قرآنية فكر عالم بالطبيعة مسلم بأنها تعلن مفهوم اللامادة، وهي نظرية يدور الجدل حولها حالياً، وعلى العكس يمكن شرعاً لفت انتباهه إلى آية من القرآن تذكر أصل الحياة المائي، وهي ظاهرة لا يمكن إثباتها مطلقاً وإن كانت تلتقي عليها آراء كثيرة. أما بخصوص عوامل الملاحظة كتطور الجنين الإنساني فإنه يمكننا أن نواجه تماماً مختلف المراحل الموصوفة في القرآن بمعطيات علم الجنين الحديث، واكتشاف اتفاق العلم المطلق مع الآيات القرآنية المتعلقة به^(٤).

(١) ينظر: الغمراوي، محمد، الإسلام في عصر العلم، ص ٢٦٧.

(٢) ينظر: شلتوت، محمود، تفسير الأجزاء العشرة الأولى، ص ١٣.

(٣) موريس بوكاي: طبيب فرنسي، ولد سنة ١٩٢٠م، ونشأ على المسيحية الكاثوليكية، وكان الطبيب الشخصي للملك فيصل آل سعود ومع عمله في المملكة العربية السعودية وبعد دراسة للكتب المقدسة عند اليهود والمسلمين ومقارنة قصة فرعون، أسلم وألف كتاب "التوراة والأنجيل والقرآن الكريم بمقاييس العلم الحديث" الذي ترجم لسبع عشرة لغة منها العربية. توفي سنة ١٩٩٨م. www.wikipedia.org.

(٤) ينظر: بوكاي، موريس، التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، ص ١٥١-١٥٢.

وبينما يرى شلتوت أن النظرة العلمية للقرآن خاطئة لأنها تحمل أصحابها والمغرمين بها على تأويل آيات القرآن تأويلاً متكلفاً يتنافى مع الإعجاز ولا يسيغه الذوق السليم^(١)، يرى المؤيدون للإعجاز العلمي وفي مقدمتهم الإمام الغزالي أن الأصل هو جواز التفسير بالرأي، والتفسير العلمي هو نوع من أنواع التفسير بالرأي حيث يجتهد المفسر في بيان معنى الآية، وهو الذي فتح المجال أمام العلماء للاستنباط من القرآن كل بقدر فهمه وحد عقله^(٢).

وإذا كانت الحقيقة العلمية تتفق تماماً مع الآية القرآنية فما الذي يمنع عقلاً وشرعاً من تفسير الآية طبقاً لتلك الحقيقة ولا سيما أن العصر الذي نعيش فيه مادي يبني كل شيء فيه على الملاحظة والتجربة والنتيجة، ولا يؤمن بغير العلم وسيلة للتخاطب والإقناع^(٣).

كما أن أبحاث الإعجاز العلمي تسهم في الرد على الملحدّين حيث يعجز الإلحاد أن يجد موضعاً للتشكيك في الإعجاز العلمي إلا أن يتبرأ من العقل، فالحقيقة العلمية التي لم تعرفها الإنسانية إلا في القرن التاسع عشر أو العشرين والتي ذكرها القرآن لا بد أن تقوم عند كل ذي عقل دليلاً محسوساً على أن خالق هذه الحقيقة هو منزل القرآن^(٤).

وقد أتى القرآن الكريم بحقائق علمية دقيقة لم تكن معروفة في زمن النبي ﷺ، ومازال العلم يكشف عن حقائقها عصرًا بعد عصر، كما وصف القرآن هذه المسائل العلمية بدقة وسلامة لفظية لا مثيل لها في كتاب من الكتب^(٥). وإن من أعظم جوانب إعجازه اشتماله على مسائل علمية لم تكن معروفة في عصر نزوله، ثم عرفت بعد ذلك بما انكشف للباحثين والمحققين من طبيعة الكون وتاريخ البشر وسنن الله في الخلق^(٦).

فالإشارات العلمية الموجودة في الآيات القرآنية تحمل علماً إلهياً يعرفه البشر عند ارتقائهم بأسباب العلوم والمعارف في ذلك الميدان الذي تتحدث عنه الآيات القرآنية.

المطلب الرابع: أمين الخولي

استند الخولي في إنكاره للتفسير العلمي إلى ما استند إليه الشاطبي، وأضاف إلى ذلك من النظريات الحديثة ما يؤيده ويعززه ومنها:

(١) ينظر: شلتوت، محمود، تفسير الأجزاء العشرة الأولى، ص ١٣.

(٢) ينظر: الغزالي، إحياء علوم الدين، ج ١، ص ٢٨٥، الشّدي، عادل، التفسير العلمي التجريبي للقرآن الكريم، ص ٦٨.

(٣) ينظر: حسب النبي، منصور، الكون والإعجاز العلمي، ص ٨.

(٤) ينظر: الغمراوي، محمد، الإسلام والعلم، ص ٢٥٠.

(٥) ينظر: نخبة من العلماء الأمريكيين، الله يتجلى في عصر العلم، ص ١٦٩.

(٦) ينظر: رضا، محمد رشيد، تفسير المنار، ج ١، ص ١٧٥-١٧٧.

١- الناحية اللغوية في حياة الألفاظ وتدرج دلالتها، فقد حصل توسع عجيب في فهم ألفاظ القرآن وجعلها تدل على معاني وإطلاقات لم تعرف لها ولم تستعمل فيها، وإن كانت تلك الألفاظ قد استعملت في شيء منها فباصطلاح حادث في الملة بعد نزول القرآن بأجيال.

٢- الناحية البلاغية- إن شئت- والبلاغة فيما يقال مطابقة الكلام لمقتضى الحال، فهل كان القرآن على هذا النحو المتوسع من التفسير العلمي كلاماً يوجه إلى من خاطب به من الناس في ذلك العهد مراداً به تلك المعاني المذكورة مع أنها معانٍ من العلم لم تعرفها الدنيا إلا بعد ما جاوزت آماداً بعيدة، وجاهدت جهاداً طويلاً ارتقى به عقلها وعلمها؟ وهب هذه المعاني العلمية المدعاة كانت هي المعاني المرادة بالقرآن، فهل فهمها أهل العربية منه إذ ذاك وأدركوها! وإذا كانوا قد فهموها فما لهنضتهم العلمية في علوم الحياة المختلفة لم تبدأ بالظهور وقت نزول القرآن، ولم تقم على هذه الآيات الشارحة لمختلف نظريات العلوم المختلفة لدقائقها؟ وإذا كانت لم تفهم منها ولم يدركها أصحاب اللغة الخلف من عباراتها- كما هو الواقع فعلاً- فكيف تكون معاني القرآن المرادة؟ وكيف تكون تلك الألفاظ مفهومة لها؟ وهل هذه هي المطابقة لمقتضى الحال؟^(١)

وأمام هذه الاستفهامات التي ساقها الخولي نشير إلى أنه من خصائص القرآن التي لا نستطيع إيجادها في غير هذا الكتاب العزيز أن معانيه مصوغة بحيث يصلح أن يخاطب بها الناس كلهم على اختلاف مداركهم وثقافتهم وعلى تباعد أزمانهم وبلدانهم ومع تطور علومهم واكتشافاتهم. فالآية الواحدة فهم منها المسلمون الأولون المعنى المراد كما كان في عصرهم، ويفهم منها من جاء بعدهم كما تطور في زمنهم، على أن كلا الفهمين من المدلولات القريبة من الآية، وليس من قبيل التكلف أو تحميل اللفظ ما لا يحتمل، ولكن الفهم الثاني كان مطلوباً عن السابقين لعدم وجود ما يفهم به إذ ذاك، وليس معنى ذلك أيضاً أن الآية تحتل وجهين متناقضين أو فهمين متعارضين، كلا بل هو معنى واحد ولكن له أبعاد يتضمنها جميعاً أسلوب الآية^(٢).

(١) ينظر: الخولي، أمين، *مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير*، ص ٢٢٣.

(٢) ينظر: البوطي، محمد سعيد، *من روائع القرآن*، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ص ١١٤-

كما أن الأسلوب الذي جاء به التعبير في القرآن عن آيات الله الكونية أسلوب جمع بين البيان والإجمال في آن واحد، بحيث يمر النظم الكريم على سامعيه في كل جيل وقبيل، فإذا هو فيما سيق له من دلالة الإنسان وهدايته إلى الله. ثم إذا هو مجمل التفاصيل يختلف الخلق في معرفة تفاريحه ودقائقه باختلاف ما لديهم من مواهب ووسائل وعلوم وفنون^(١).

يرى الخولي أن اتجاه المؤيدين المعاصرين للتفسير العلمي في جعل الارتباط بين كتاب الدين والحقائق العلمية المختلفة ناحية من نواحي بيان صدقه أو إعجازه أو صلاحيته للبقاء ضرره أكثر من نفعه^(٢).

بينما يرى المؤيدون المعاصرون للتفسير العلمي أنه لا بد من نشر أوجه الإعجاز العلمي للقرآن في أنحاء العالم، لنظهر للعالم أن القرآن الكريم هو معجزة الدهر، فالإنسانية بحاجة إلى دين تخرج به من ورطتها بعد أن كادت تهلك حين نسيت الدين. والقرآن هو الكتاب الوحيد المهيمن على باقي الكتب والذي بقي شامخاً ولم يطرأ عليه التغيير بما احتواه من إعجاز علمي يتبين للناس منه على مر العصور أوجهاً لم تكن تتبين من قبل؛ فيكون هذا التجدد في الإعجاز هو تجديد للرسالة الإسلامية فكأنما رسول الله ﷺ قائم في كل عقد يدعو الناس إلى دين الله مصداقاً لقوله تعالى: ﴿سَرُّهُمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣]^(٣).

وفي القرآن الكريم من الآيات الكونية ما لا يقل عن ثمانمائة آية، ويتوقف على فهمها تيسير الدعوة إلى دين الله في هذا العصر، عصر العلم الحديث الذي سبقه القرآن إلى حقائق كونية بعضها لم يكشف عنه العلم إلا حديثاً جداً، وبعضها من القضايا الكلية التي تنطوي على قضايا جزئية ثبت بعضها ولا تزال صالحة لتشمل ما يمكن أن يكشف عنه العلم في مجالها^(٤).

المطلب الخامس: سيد قطب

يعجب سيد قطب في تفسيره الظلال لسذاجة المتحمسين للقرآن الذين يحاولون أن يضيفوا إليه ما ليس منه، وأن يحملوا عليه ما لم يقصد إليه، وأن يستخرجوا منه جزئيات في علوم الطب

(١) ينظر: أبو حجر، أحمد، التفسير العلمي للقرآن في الميزان، ص ٣٠٥، الزرقاني، عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، ج ٢، ص ٢٥١-٢٥٢.

(٢) ينظر: الخولي، أمين، مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير، ص ٢٢٣.

(٣) ينظر: حسب النبي، منصور، الكون والإعجاز العلمي، ص ١٢٧-٢١٨، الغمراوي، محمد، الإسلام والعلم، ص ٢٢٢.

(٤) ينظر: الغمراوي، محمد، الإسلام والعلم، ص ٢٦٧.

والكيمياء والفلك. فالقرآن لم يجيء ليكون كتاب علم فلكي أو كيميائي أو طبي، كما يحاول بعض المتحمسين له أن يلمسوا فيه هذه العلوم، أو كما يحاول بعض الطاعنين فيه أن يلمسوا مخالفاته لهذه العلوم، وكلتا الحالتين سوء إدراك لطبيعة هذا الكتاب ومجال عمله^(١).

فيما يعترف عبد العزيز إسماعيل- أحد القائلين بالتفسير العلمي- في مقدمة كتابه الإسلام والطب الحديث بأن القرآن ليس كتاب طب أو هندسة أو فلك، لكنه يشير أحياناً إلى سنن طبيعية ترجع إلى هذه العلوم، وبما أنه صادر عن واضع السنن كلها كان جميع ما جاء به حقاً لا شية فيه، وإن لم يكن ذلك مدركاً وقت نزوله إلا عن طريق الإجمال أو التأويل لعدم استبحار العلوم إذ ذاك، ولكن مع الترقى في العلوم قلما كان يعتمد إلى تأويله، وكثر ما وجب أخذه على ظاهره في ذلك العهد، ثم يقرر أن كثيراً من الآيات لا يفهم معناها إلا من درس العلوم الحديثة^(٢).

ويرى سيد قطب أن القرآن كامل في موضوعه وموضوعه أضخم من تلك العلوم كلها، لأنه هو الإنسان ذاته الذي يكشف هذه المعلومات وينتفع بها، والبحث والتجريب والتطبيق من خواص العقل في الإنسان والقرآن يعالج بناءً على هذا الإنسان نفسه، بناء شخصيته وضميره وعقله وتفكيره. كما يعالج بناء المجتمع الإنساني الذي يسمح لهذا الإنسان بأن يحسن استخدام هذه الطاقات المذخورة فيه^(٣).

وإن من أهم إشارات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم كما يقول القرضاوي هي: تكوين العقلية العلمية التي ترفض الظن والخرص واتباع الأهواء والعواطف والتقليد الأعمى للآباء والأجداد والطاعة العمياء للسلطة والكبراء، كما تنظر في السماوات والأرض، وما خلق الله من شيء، وتتعبد الله تعالى بالتفكر في الآفاق والأنفس مثلى وفراى، وتعتمد البرهان في العقلية والتوثيق في النقلات والمشاهدة في الحسيات.

ويرى القرضاوي^(٤) أن هذه العقلية التي ينشئها القرآن بوصاياها وتوجيهاته وأحكامه هي التي تحقق الازدهار العلمي، وتهيئ المناخ المناسب لظهور علماء يبحثون ويتكثرون في كل مجال،

(١) ينظر: قطب، سيد، في ظلال القرآن، ج ١، ص ١٨١.

(٢) ينظر: إسماعيل، عبد العزيز، الإسلام والطب الحديث، القاهرة، الشركة العربية للطباعة، ١٩٥٩م، ص ٥-٦.

(٣) ينظر: قطب، سيد، في ظلال القرآن، ج ١، ص ١٨١.

(٤) القرضاوي: يوسف عبد الله القرضاوي ولد في مصر سنة ١٩٢٦م. عالم مصري مسلم ورئيس الاتحاد

العالمي لعلماء المسلمين سابقاً. من مؤلفاته: "كيف نتعامل مع القرآن العظيم"، "المدخل لدراسة الشريعة

الإسلامية"، "المدخل لدراسة السنة النبوية". www.wikipedia.org

وهو ما حدث في الحضارة الإسلامية التي جمعت بين العلم والإيمان، بل التي اعتبرت العلم ديناً والدين علماً، وكان علماءها أساتذة العالم، وكتبها مراجعهم وجامعاتها مؤثرهم لعدة قرون^(١).

ويشير سيد قطب إلى أنه لا يجوز تعليق الحقائق النهائية التي يذكرها القرآن عن الكون بفروض العقل البشري ونظرياته، ولا حتى بما نسميه حقائق علمية مما ينتهي إليه بطريق التجربة القاطعة في نظره.

فالحقائق القرآنية حقائق نهائية قاطعة مطلقة، أما ما يصل إليه البحث الإنساني- أياً كانت الأدوات المتاحة له- بحكم المنهج الإنساني ذاته حقائق غير نهائية ولا قاطعة. هذا بالقياس إلى الحقائق العلمية، والأمر أوضح بالقياس إلى النظريات والفروض العلمية، ومن هذه النظريات والفروض كل النظريات الفلكية، وكل النظريات الخاصة بنشأة المجتمعات وأطوارها، فهذه ليست كلها حقائق علمية حتى بالقياس الإنساني، وإنما هي نظريات وفروض كل قيمتها أنها تصلح لتفسير أكبر قدر من الظواهر الكونية أو الحيوية أو النفسية أو الاجتماعية إلا أن يظهر فرض آخر يفسر قدر أكبر من الظواهر أو يفسر تلك الظواهر تفسيراً أدق، ومن ثم فهي قابلة دوماً للتغيير والتعديل والنقص والإضافة، بل قابلة لأن تتقلب رأساً على عقب بظهور أداة كشف جديدة أو بتفسير جديد لمجموعة الملاحظات القديمة^(٢).

وكل محاولة لتعليق الإشارات القرآنية العامة بما يصل إليه العلم من نظريات متجددة أو متغيرة أو حتى بحقائق علمية ليست مطلقة تحتوي أولاً على خطأ منهجي أساسي كما أنها تنطوي على معان ثلاثة كلها لا يليق بجلال القرآن الكريم وهي:

الأولى: الهزيمة الداخلية التي تخيل لبعض الناس أن العلم هو المهيمن والقرآن تابع، ومن هنا يحاولون تثبيت القرآن بالعلم أو الاستدلال له من العلم على حين أن القرآن كتاب كامل في موضوعه ونهائي في حقائقه والعلم لا يزال في موضوعه ينقض اليوم ما أثبتته بالأمس، وكل ما يصل إليه غير نهائي ولا مطلق لأنه مقيد بوسط الإنسان وعقله وأدواته وكلها ليس من طبيعتها أن تعطي حقيقة واحدة نهائية مطلقة.

الثانية: سوء فهم طبيعة القرآن ووظيفته، وهي أنه حقيقة نهائية مطلقة تعالج بناء الإنسان بناءً يتفق بقدر ما تسمح به طبيعة الإنسان النسبية- مع طبيعة هذا الوجود وناموسه الإلهي.

(١) ينظر: القرضاوي، يوسف، نظرات في التفسير العلمي للقرآن، الدوحة، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، مجلة مركز

بحوث السنة والسيرة، ٩٤، ص ٣٩.

(٢) ينظر: قطب، سيد، في ظلال القرآن، ج ٦، ص ٣٤٠٨.

الثالثة: هي التأمل المستمر مع التمثل والتكلف لنصوص القرآن كي نحملها ونلهث بها وراء الفروض والنظريات التي لا تثبت ولا تستقر، ويجد فيها جديد كل يوم، وكل أولئك لا يتفق مع جلال القرآن ويحتوي على خطأ منهجي كما أسلفنا (١).

وقد ردّ الكثير من المؤيدين للتفسير العلمي على دعوى استخدام الحقائق والنظريات العلمية غير الثابتة في التفسير العلمي للنصوص القرآنية، وفي هذا يقول الغمراوي (٢): "نسب إلينا البعض أننا نرى تفسير الآيات الكونية بجعلها مطابقة لنظريات علمية حديثة، وهذا ما لم نذهب إليه قط، ولا يمكن أن يفهم من شيء كتبناه. بل قد اشترطنا في التفسير العلمي للقرآن أن تكون المطابقة بين الآي القرآني وبين الحقائق الكونية، فلا يطابق بين الآي القرآني والنظريات التي لا تزال محل فحص وتمحيص عند أهلها، اللهم إلا للحكم عليها بالصحة أو البطلان بموافقتها أو مخالفتها للقرآن" (٣).

كما يدافع عبد الرزاق نوفل عن الاتجاه العلمي في تفسير الآيات القرآنية في كتابه بين الدين والعلم بقوله: "قد يكون لبعض المعترضين الحق إذا كان ما يدعو إليه هو التفسير العلمي بنظريات علمية، ولكن لم يتجه أي إنسان مخلص في دعوته إلى النظريات العلمية بل إلى الحقيقة العلمية. والفارق بين النظرية العلمية والحقيقة العلمية كبير وكبير جداً، إذ أن النظرية العلمية هي ما لم يقم الدليل على صحتها بدرجة تجعلها حقيقة غير قابلة للتطور أو التغيير أو التبديل" (٤).

وفي كتابه القرآن والعلم الحديث يوضح الفرق بين النظريات والحقائق العلمية ويحمل على المعارضين للتفسير العلمي الذين أغفلوا الاجتهاد في هذا الجانب من علوم القرآن بقوله: هناك فريق من المسلمين لا يقرون التفسير العلمي لبعض آيات القرآن لأسباب عديدة لكنهم نسوا أن هذا جانب من علوم القرآن يجب ألا يغفل الاجتهاد فيه، بعد أن صار العلم هو اللغة التي يفهمها كل الناس والحجة التي يتقبلونها عن طيب خاطر، وبعد أن أسرفنا في دراسة كثير من العلوم الأخرى التي جاء بها القرآن، وقد يخيّل للبعض منا (خطأ) أن الحقائق العلمية التي نسلم بها اليوم عندما يصيبها شيء من التطور بتقدم ركب العلم يمكن أن يؤدي ذلك إلى قلبها رأساً على عقب، بحيث يصبح يوم من الأيام الأسود أبيض مثلاً، ولكن شيئاً من ذلك لا يمكن أن يحدث، فالتعديلات التي

(١) ينظر: قطب، سيد، في ظلال القرآن، ج ٦، ص ٣٤٠٨.

(٢) الغمراوي: محمد حسنين الغمراوي مدرس مصري. ولد في القاهرة سنة ١٢٨٩هـ/١٨٧٢م. تعلم فيها بدار

العلوم. واشتغل بالتدريس في مصر. له كتاب في "الجغرافية". الزركلي، محمد خير، الأعلام، ج ١، ص ٦٠.

(٣) ينظر: الغمراوي، محمد، الإسلام في عصر العلم، ص ٢٦٥.

(٤) ينظر: نوفل، عبد الرزاق، بين الدين والعلم، ص ١٤٤.

تطراً على بعض الحقائق العلمية هي بمثابة إضافات أو تعميمات، يمثل هذا القدر فقط يمكن أن تتطور الحقائق العلمية، وإلا كان العلم واهياً لا قيمة له ولا يعتد به.

ويعتقد أنه لو فرض جدلاً أنه اتضح فيما بعد خطأ بعض ما أورده من مادة علمية-وهو أمر غير محتمل قط (كما يقول) - فإن ذلك لن يمس كتاب الله في شيء.

ومن مزايا القرآن الفريدة أن بعض آياته تحتل العديد من التفسيرات السليمة، مثل الآية الخاصة بتلقيح الرياح لبعض النباتات لتخصب أو للسحب لتجود بالمطر، وهذا جانب مهم جداً في إعجاز القرآن هضم به ما كان من الحضارات السابقة منذ نزوله حتى يومنا هذا، وسوف يستمر الحال هكذا حتى قيام الساعة^(١).

والتطابق بين حقائق القرآن ومعارف الكون مفروض ابتداءً، فإن منزل الكتاب هو مجري السحاب، ويستحيل أن تختلف حقيقة كونية وحقيقة قرآنية، كما لا يختلف قول العاقل وعمله، والواقع أن القرآن في الدلالة على الله كون ناطق، كما أن هذا الكون الناطق قرآن صامت، وكلاهما ينبثق من ذات واحدة ويهدف إلى غاية واحدة^(٢).

أما القرضاوي فيرى أنه من أولى الأمور التي تجب مراعاتها عند استخدام العلوم الكونية في التفسير وخدمة القرآن استخدام ما استقر من نتائج العلوم وغدا حقيقة علمية يرجع إليها ويعول عليها، ولا يجب أن نعول على النظريات والفروض التي لم تثبت دعائمها حتى لا نعرض فهمنا للقرآن للتقلب مع هذه النظريات، ولكن يستدرك معقّباً على ذلك بقوله: ولا يقال أن العلم ليس فيه حقائق مقررّة ثابتة إلى الأبد فكم من قضايا علمية كانت يوماً ما بل ظلت قروناً وقوفاً حقائق مقدسة، ثم ذهبت قدسيّتها العلمية وأثبت التطور العلمي عكسها. وهذا صحيح ومعروف، ولكن حسبنا الثبات النسبي للحقائق فهذا هو الذي في مقدورنا نحن كبشر، وقد قيل في تعريف التفسير: هو بيان المراد من كلام الله بقدر الطاقة البشرية^(٣).

ويرى جمال الدين الفندي أن التعليقات العلمية على القرآن الكريم ضرورة من ضرورات العصر، لأنه في ضوء تلك التعليقات يسلم الناس بأن خالق الكون هو نفسه الذي نزل القرآن وأوحى به، منطلقاً بذلك من تحليله بأن الكثير من أمور الدين تركها القرآن للحديث والسنة، كما ترك تفاصيل أغلب الأمور العلمية لاجتهاد علماء المسلمين في مختلف العصور، وإن اختلافات

(١) ينظر: نوفل، عبد الرزاق، القرآن والعلم الحديث، ص ١٩ وما بعدها.

(٢) ينظر: الغزالي، محمد، نظرات في القرآن، القاهرة، نهضة مصر، ط ٦، ٢٠٠٥م، ص ١٠.

(٣) ينظر: القرضاوي، يوسف، نظرات في التفسير العلمي للقرآن، ص ٢٣.

الفقهاء والأئمة والمجتهدين في تفسيرهم لكل ما تعرضوا لتفسيره من كتاب الله لم تحدث تأثيراً على الجوهر واللب، ويقود هذا التحليل إلى اعتبار التفسير العلمي لآيات القرآن ضرورة عصرية^(١).

وبعد أن أوضح سيد قطب جوانب الخطأ في ربط الحقائق القرآنية بالفروض والنظريات بل والحقائق العلمية غير المطلقة، يرى أن ذلك لا يعني ألا ننتفع بما يكشفه العلم من نظريات وحقائق عن الكون والحياة والإنسان في فهم القرآن، والاستفادة من تلك الكشوف في توسيع مدلول النصوص القرآنية.

ويحمل على بعض المتحمسين الذين يسارعون إلى المطابقة بين النصوص القرآنية والكشوف العلمية تجريبية أو افتراضية، بغية بيان ما في القرآن من إعجاز، فالقرآن معجز سواء طابقت نصوصه الثابتة أم لم تطابقها، ونصوصه أوسع مدلولاً من حصرها في نطاق تلك الكشوف القابلة دائماً للتعديل والتبديل بل للخطأ والصواب^(٢).

بينما يرى جمال الدين الفندي أنه عندما يتم الحديث عن الإعجاز العلمي في القرآن فلا يعني على الإطلاق أن القرآن يسوق الحقائق العلمية مفصلة كاملة كما يفعل أي مرجع علمي مختص فليست هذه رسالة القرآن، وإنما يتوفر الإعجاز العلمي عن طريق صياغة أغلب الحقائق العلمية كقضايا عامة مع الخوض في التفاصيل أحياناً والإنباء بما لم يتوصل إليه الناس بعد أو يتعرفوا على تحقيقه أو تقرير ما هم مختلفون فيه.

وثمة ناحية أخرى هي أن التطلع إلى الإعجاز العلمي في القرآن هو حد ذاته أكبر حافز للاستزادة من العلم ويعني بذلك العلم التجريبي^(٣).

وفي سياق آخر يقول إن الإعجاز العلمي لا يأخذ بالنظريات المتطورة ولكن بالحقائق العلمية التي صارت بعيدة عن الشبهات مثل: سبح الكواكب حول الشمس، وإثارة الرياح للسحب، ونقص الضغط الجوي بالبعد عن سطح الأرض، ومثل هذه الحقائق العلمية^(٤).

(١) ينظر: الفندي، محمد جمال الدين، القرآن والعلم، بيروت، دار المعرفة، ١٩٦٨م، ص ٣٣-٣٤.

(٢) ينظر: قطب، سيد، في ظلال القرآن، ج ٦، ص ٣٤٥١.

(٣) ينظر: الفندي، محمد جمال الدين، القرآن والعلم، ص ٦.

(٤) ينظر: المرجع السابق، ص ٦.

المبحث الثالث

الترجيح بين أدلة المجيزين والمانعين للإعجاز العلمي

المطلب الأول: الترجيح بناءً على الأدلة

بعد عرض مواقف كلا الفريقين المجيزين والمانعين للتفسير العلمي وما يتبعه من إعجاز، وما استندوا إليه من أدلة يتضح لنا ما يلي:

اعتمد المؤيدون للتفسير العلمي على الأدلة النقلية من القرآن والسنة والأثر، إلا أن بعض الأدلة من السنة كحديث علي كرم الله وجهه: والذي بعثني بالحق نبياً لتتفرقن أمتي عن أصل دينها وجماعتها على اثنتين وسبعين فرقة كلها ضالة مضلة يدعون إلى النار فإذا كان ذلك فعليكم بكتاب الله عز وجل فإن فيه نبأ من كان قبلكم ونبأ ما يأتي بعدكم وحكم ما بينكم من خالفه من الجابرة قصمه الله عز وجل ومن ابتغى العلم في غيره أضله الله عز وجل وهو حبل الله المتين ونوره المبين وشفأؤه النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه لا يعوج فيقوم ولا يزيغ فيستقيم ولا تتقضي عجائبه ولا يخلقه كثرة التردد^(١). والذي قال الحافظ العراقي في تعليقه عليه أنه غريب وإسناده مجهول.

كما أن بعض الآثار التي استدلو بها كقول ابن مسعود قول ابن مسعود رضي الله عنه: من أراد العلم فليثور القرآن فإن فيه علم الأولين والآخرين^(٢)، وقول علي رضي الله عنه: لو شئت أن أقر على الفاتحة سبعين قرأاً لأمكنني ذلك^(٣)، وقول أبي الدرداء رضي الله عنه: لا يفقه الرجل حتى يجعل للقرآن وجوهاً^(٤). فهذه الآثار^(٥) يجب ألا تؤخذ على ظاهرها وبإطلاق فهي إن دلت على سعة القرآن وأن عجائبه لا تتقضي، وأنه يصلح للأولين والآخرين إلا أن ذلك يحتاج إلى حد تقف عنده. بالإضافة إلى إمكانية ورود إبهام في بعضها^(٦).

إلا أن أقوى أدلة المجيزين - إن لم يكن أقواها على الإطلاق - أن الأصل هو جواز التفسير بالرأي، وهو ما استقر عليه العمل عند العلماء دون نكير، ولا بد أن التفسير العلمي نوع من أنواع اجتهاد المفسر برأيه في زيادة إيضاح معنى الآية، ويفند هذا الدليل ما يقوله المعارضون أن التفسير

(١) الغزالي، إحياء علوم الدين، ج ١، ص ٢٨٩.

(٢) سبق تخريجه، ص ٤٨.

(٣) سبق تخريجه، ص ٧٠.

(٤) ينظر: المرجع السابق، ج ١، ص ٢٨٩.

(٥) بعد التحقيق والبحث عن هذه الآثار لم أجد أصلاً لها.

(٦) ينظر: اللوح، عبد السلام، الإعجاز العلمي في القرآن الكريم (رسالة ماجستير)، ص ١٤٨.

العلمي بدعة غير معروفة، بل هو تفسير بالرأي والاجتهاد بحسب العلوم والمعارف التي تظهر للمفسر ويقتنع بصوابها. وأما ما ساقه المعارضون من أدلة ومنها أن القرآن أنزل على أمة أمية لا تعرف القراءة والكتابة، وأن التفسير العلمي لم يرد عن السلف، والدعوة إليه بمثابة الدعوة إلى الانصراف عن التفسير الذي بلغنا عن مدرسة النبوة، إضافة إلى الأدلة التي تؤكد وقوع الزلزال لدى أكثر الخائضين في التفسير العلمي، فهذه الحجج لا تثبت عند النقد العلمي فوقع الزلزال ليس مبرراً للمنع، بل يكفي أن توضع القيود الحائلة دون الوقوع في الخطأ^(١).

وختلاصة القول:

إن التفسير العلمي نوع من أنواع التفسير بالرأي، ومنه ما يكون محموداً جائزاً حين يكون مستنداً إلى الصريح من القول، ومعتمداً على اليقين الثابت من العلم، غير متعارض مع الكتاب والسنة. وأما ما كان قائماً على الظن أو الوهن أو التعسف في التأويل، صادراً عن جهل أو هوى أو عنهما معاً، فإنه غير مقبول فالأصل هو جواز التفسير العلمي لكن بضوابط^(٢).

فإذا كان العالم الباحث يحاول فهم القرآن في ضوء مقررات العلم، وملتزماً بضوابط التفسير العلمي، فإن كان ذلك حقاً ثابتاً فذاك هو المطلوب، وإن لم يكن كذلك فعليه تبعة خطئه، والآية بجلالته وقداستها لا يشوبها خطأ الفهم كما لم يشوبها خطأ التفاسير الأخرى، ولكن وجود الضوابط ضروري لعدم فتح الباب على مصراعيه لكل من هب ودب ولكل حدس وتخمين على حساب العلم لكل زاعم، لأن الاحتياط لكتاب الله واجب على المسلمين عموماً وعلى علماء الأمة على وجه الخصوص^(٣).

وقد اجتهد الباحثون المعاصرون في صياغة ضوابط لقبول التفسير العلمي فاستتبطوها في الغالب من أدلة المعترضين على التفسير العلمي.

واشترط فضل عباس لقبول التفسير العلمي خمسة شروط هي:

- ١- موافقة اللغة العربية موافقة تامة بحيث يطابق المعنى المفسر المعنى اللغوي.
- ٢- عدم مخالفة صحيح السنة المرفوعة أو ما له حكم المرفوع إلى النبي ﷺ.
- ٣- موافقة سياق الآية.
- ٤- التحذير من أن يتعرض التفسير العلمي لأخبار وشؤون المعجزات.
- ٥- أن يكون التفسير حسب الحقائق العلمية الثابتة دون النظريات^(٤).

(١) ينظر: الشدي، عادل، التفسير العلمي التجريبي للقرآن الكريم، ص ٧١-٧٢.

(٢) ينظر: المرجع السابق، ص ٧٢.

(٣) ينظر: أبو حجر، أحمد، التفسير العلمي للقرآن في الميزان، ص ٣٣٥.

(٤) ينظر: عباس، فضل، إعجاز القرآن الكريم، ص ٢٧٢.

واقترع أحمد عمر أبو حجر على اشتراط كون التفسير العلمي مستنداً إلى الصريح من القول معتمداً على اليقين الثابت من العلم ليكون مقبولاً عنده، أما إذا كان هذا التفسير قائماً على الظن أو الوهم أو التعسف أو التأويل فإنه مرفوض.

ويرى أنه ليس هناك ما يمنع من الاستفادة بنور العلم في إيضاح حقائق القرآن. فهناك حقائق علمية أصبحت الآن لا سبيل إلى إنكارها، لأنها ثمرة بحث واستقراء وتجارب طويلة، فإذا رأينا فيها ما يكشف عن جوانب في القرآن لم تعرف من قبل فليس هناك ما يمنع من الاسترشاد بها في فهمه والانتفاع بتفسيره^(١).

أما عبد الله المصلح فقد توسع كثيراً في ضوابط التفسير العلمي فذكر أربعة عشر ضابطاً يمكن تلخيصها بالتالي:

- ١- وجود الإشارة إلى الحقيقة العلمية في النص القرآني بشكل واضح.
- ٢- ثبوت الحقيقة العلمية ثبوتاً قاطعاً وتوثيق ذلك توثيقاً علمياً.
- ٣- جمع النصوص القرآنية والحديثية المتعلقة بالموضوع، ورد بعضها إلى بعض بما في ذلك القراءات الصحيحة وروايات الأحاديث بألفاظها المختلفة.
- ٤- معرفة ما يتعلق بالموضوع من سبب نزول أو نسخ.
- ٥- محاولة فهم النص على وفق مفهوم العرب إبان نزول الوحي مع الإلمام بمسائل معينة على فهم النص كتنقديم النص على الظاهر، والظاهر على المؤول، وتقديم المنطوق على المفهوم، ومراعاة العام والخاص والمقيد والمطلق والمجمل والمبين ومراعاة السياق وقاعدة العبرة بعموم اللفظ وعدم تفسير حرف على معنى لا يقتضيه الوضع العربي، ومراعاة أوجه الإعراب، وإمكانية حمل المشترك اللفظي على أحد معانيه دون نفي الآخر، أو القطع بأن هذا هو الصواب وحده ما لم تكن هناك قرينة راجحة.
- ٦- إظهار وجه الإعجاز بالربط بين الحقيقة العلمية والشرعية بأسلوب واضح ومختصر.
- ٧- عدم البحث في المتشابهات والأمور الغيبية.
- ٨- عدم الاعتماد على الإسرائيليات أو الروايات الضعيفة.
- ٩- الاعتماد على المصادر المعتبرة دون غيرها كأهات التفسير والحديث والإشارة إلى جهود الدراسات السابقة.
- ١٠- الابتعاد عن تسفيه آراء السلف من علماء التفسير والحديث ورميهم بالجهل.
- ١١- حصر الدراسة فيما يقدر عليه الباحث دون التجاوز إلى ما هو أكبر من طاقته.

(١) ينظر: أبو حجر، أحمد، التفسير العلمي للقرآن في الميزان، ص ١١٣.

١٢- اليقين باستحالة مخالفة الوحي للحقائق العلمية.

١٣- تحري الصدق والصواب وإخلاص النية واستشعار المسؤولية.

١٤- أن يتصف الباحث بالصبر مع توافر الكفاءة العلمية المكتسبة^(١).

المطلب الثاني: التّرجيح بناءً على المقاصد

ومن خلال دراستنا لآراء العلماء المؤيدين للإعجاز العلمي قدماء ومعاصرين يتضح لنا أن أبرز مقاصد المؤيدين هي كالتالي:

١- محاولة اتخاذ الدلالات أو الإشارات أو العبارات العلمية وسيلة لإثبات إعجاز القرآن والتنبؤ

عما سيكون عليه العلم الإنساني في الأزمان المتتالية.

٢- إثبات صلاحية القرآن للبقاء عن طريق نشر أوجه الإعجاز العلمي في جميع أنحاء العالم، فيكون هذا التجديد في الإعجاز هو تجديد في الرسالة الإسلامية^(٢).

٣- تقوية إيمان المسلمين ودفعهم إلى اكتشاف أسرار الكون بدوافع إيمانية تعبر بهم مرحلة التخلف وصولاً إلى تحقيق تقدم الأمة الإسلامية بالاهتمام بالعلم والدين معاً مع السير بمنتهى الجدية والتعاون لنشر الدين الإسلامي الذي سيملاً الفراغ الروحي السائد في العالم المادي^(٣).

أما المعارضون فقد اقتصدوا في الاتجاه العلمي في تفسير القرآن وما يتبعه من إعجاز انطلاقاً من المقاصد التالية:

١- إن إدخال التفسيرات العلمية على الإشارات القرآنية بالصورة التي جرى عليها بعض الكتاب والعلماء لا بد أن يفضي عما قريب أو بعيد إلى الحالة التي كانت سبباً في ذلك الصراع المؤسي بين رجال اللاهوت الممثلين للدين ورجال العلم في عصر النهضة الأوروبية وفي حدود العصر الحديث.

٢- إن النزوع إلى التفسير العلمي للآيات القرآنية لا بد مفض إلى تحميل النص القرآني ما لا يحتمل وإلى تأويل عباراته تأويلاً من شأنه أن في النهاية أن يسوق إلى صراع بين القائلين بالتفسير العلمي والمانعين له، وإلى صراع بين الدين والعلم، لا يصيب فيه الدين والعلم

(١) ينظر: المصلح، عبد الله، الإعجاز العلمي في القرآن والسنة تاريخه وضوابطه، ص ٣١-٣٧.

(٢) ينظر: ينظر: حسب النبي، منصور، الكون والإعجاز العلمي، ص ١٢٧-٢١٨، الغمراوي، محمد، الإسلام والعلم، ص ٢٢٢.

(٣) ينظر: حسب النبي، منصور، الكون والإعجاز العلمي، ص ٨.

من ذلك كله إلا خسراناً مبيناً، وتعرش خطي التقدم الفكري في تلك الطريق المنزلة الملتوية^(١).

٣- احتمال نشوء مواقف لا تحمد عقباها نتيجة النزعة العلمية في التفسير، فإذا فرضنا أن العلم قد انتهى إلى نظرية أو حقيقة تناقض آية من آيات القرآن، فماذا يكون موقف رجال الدين من العلم؟ وماذا يكون موقف رجال العلم من الدين؟ ذلك أنه من أخص خصائص العلم التغير لا الثبات^(٢).

٤- عدم فتح الباب على مصراعيه لكل من هب ودب ولكل حدس وتخمين على حساب العلم لكل زاعم، فالاندفاع في تفسير آيات القرآن بنظريات العلم قد يؤدي إلى تأويله بنظريات فاسدة وأوهام باطلة^(٣).

٥- اعتبار القرآن كتاب نظريات علمية مقترحة أو شارحاً لحقائق علمية ثابتة، أو معملاً تجري فيه التجارب ليتوصل إلى نتائج علمية تخالف المتعارف عليه أو تؤكد.

وخلاصة القول:

لا بد من الحد من التوسع في تأويل آيات القرآن وفق النظريات العلمية الحديثة حتى لا يتم حصر الآيات القرآنية في نطاق الكشوف العلمية القابلة للتعديل والتبديل والخطأ والصواب. وعدم قصر الآيات على الكشوف العلمية القابلة للتعديل كلما ارتفعت معارف الإنسان وكثرت وتحسنت وسائل المعرفة. كما ينبغي أن نقبل من هذا اللون من التفسير ما كان إضافة إلى القديم، وليس إلغاءً كلياً له فلا مانع من إضافة فهم جديد للآية أو جزء الآية ضمن الضوابط التي حددها العلماء فالقرآن لا تتقضي عجائبه ولا تنفد كنوزه وأسراره، والله يفتح على عباده في فهمه ما يشاء لمن يشاء.

وبناءً عليه:

المنهج الصحيح في الانتفاع بالكشوف العلمية يكون في توسيع مدلولات النصوص القرآنية وتعميقها وزيادة إيضاحها أو حتى إضافة فهماً جديداً لها لكن دون الجزم بأن هذا هو مراد الله بها فقد تعني الآية ذلك الفهم وقد تعني سواه مع الالتزام بضوابط وحدود ينبغي أن تقف عندها هذه التفاسير.

(١) ينظر: وايت، أندرو ديكسون، بين الدين والعلم تاريخ الصراع بينهما في العصور الوسطى، ترجمة: إسماعيل مظهر، الجيزة، دار الكتب المصرية، ص ٢٣٨.

(٢) ينظر: المرجع السابق، ص ٢٣٨.

(٣) ينظر: أبو حجر، أحمد، التفسير العلمي للقرآن في الميزان، ص ٣٣٥.

وهذا ما ذهب إليه بعض العلماء ومنهم مصطفى مسلم في كتابه مباحث في إعجاز القرآن بقوله: إذاً فلا بد من عدم التفريط في البحث في الآيات الكونية وبشرط التقيد بالمنهج القرآني، وعدم تحميل النصوص ما لا تحتل. فلا ينبغي أن تهمل التوجيهات بصدد ما في الكون المسخر لمصلحة الإنسان، فإن أهملنا فقد فرطنا في مئات الآيات التي تشدنا إليها شداً، إلا أن هذا الشد والتنبية ينبغي أن نقف عند حدوده فلا نتجاوزه إلى البحث عن دقائق خصائص هذه الأمور الكونية أو الإنسانية أو الحيوانية أو النباتية فنفصل القول في ذلك، ونجعل تفاسير القرآن وكأنها كتب لهذه العلوم المختصة، ولا تترك شاردة ولا واردة ولا نظرة مستحدثة إلا ونربطها بتفسير الآية.

إن هذا العمل يخرجنا عن الاعتدال كما يخرج القرآن والتفسير عن هدفه الأساسي، وهو أن القرآن كتاب هداية وإرشاد، وأن تفاسيرنا ينبغي أن تكون لشرح وبيان الأسباب المستخدمة لتحقيق هذه الهداية^(١).

أما محمد الصادق عرجون^(٢) فيرى أن البحث عن حقائق الموجودات سماوية أو أرضية هو في نظر القرآن مهمة الإنسان ما دام على هذه الأرض، لأنه وسيلته إلى استخلاص أكبر قسط من المنافع المادية والروحية التي يحيا بها حياة طيبة ويعمره فيها الإيمان بجلال الخالق العظيم، والجانب الكوني في آيات القرآن الحكيم - هو جانب مهم جداً لأنه عماد الدلائل الإلهية على وجود الله تعالى، وتوحيده وباهر قدرته وواسع علمه - في حاجة ماسة إلى إعادة النظر فيه للتفسير والبيان بأسلوب علمي يبرز عن طريق ملاحظة الظواهر الكونية/حجة الله على خلقه، ويكشف عما في الآيات من أسرار وحقائق ناط الله بها كثيراً من مصالحنا ومنافعنا في الدين والدنيا، وقد أشار إليها القرآن، وبدأ العلم يكشف عنها الحجب، ولكن على شرط أن نحذر فلا نخضع القرآن لنظريات لا تزال في مهب الرياح، فنقول أنها تفسير لآيات القرآن، كما صنع ذلك بعض المتحمسين وبعض المخدوعين ببريق العلم التجريبي.

والقرآن كتاب الله الذي أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير، فهو لا يخضع لأسلوب حديث ولا أسلوب قديم، وإنما تفسره الحقائق والبراهين التي يحققها البحث العلمي المستند إلى الأصول الإسلامية وقضايا العقول المستقيمة^(٣).

(١) ينظر: مسلم، مصطفى، مباحث في إعجاز القرآن، ص ١٧٢.

(٢) محمد الصادق عرجون: ولد في مدينة إدفو (محافظة أسوان بصعيد مصر)، وتوفي في القاهرة. عاش في مصر، وانتدب للتدريس في السعودية، واليمن، والسودان، وليبيا، والكويت، وإندونيسيا. وكان أستاذاً للدراسات العليا (علم الحديث) بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، وبالسودان، وليبيا. www.almoajam.org

(٣) ينظر: عرجون، محمد الصادق، القرآن العظيم هدايته وإعجازه في أقوال المفسرين، ص ٢٦٦-٢٧٤.

ويرى الشعراوي أن كتاب الله كله معجز، ويستطيع العلماء أن يتلمسوا دلائل إعجازه في شتى المجالات، فإذا كنا بصدد إعجازه العلمي تحتم علينا أن نتوخى الدقة التامة فلا نفتعل مناسبة أن نتشبه بلفظ أو نحمله فوق ما يحتمل أو نجعل أو نتجاهل حقائق التاريخ، وينبغي أن يكون لنا في الأئمة السابقين أسوة حسنة حين نرى دقة مناهجهم الشرعية حين تناولوا القرآن الكريم من نواحيه اللغوية والبلاغية والتشريعية^(١).

ويقول فهد الرومي^(٢): لا رفض التفسير العلمي مطلقاً، ولا تأييد وتسليم له مطلقين، بل جمع بين حقيقتين: حقيقة قرآنية وحقيقة علمية ثابتة بالتجربة والمشاهدة القطعيين، ومن هنا كان المسلمون كلهم متفقين على أن القرآن لم ولن يصادم أي حقيقة علمية، وإنما يقع التصادم عندما ندعي حقيقة علمية وهي ليست حقيقة علمية.

ولهذا فلا بأس فيما أرى من إيراد حقائق علمية ثابتة لا تقبل الشك عند تناول النص القرآني، مع إدراك معنى النص وفهمه فهماً سليماً خالياً من الشوائب والمؤثرات الخارجية، أو الميل به والانحراف لموافقة تلك الحقيقة العلمية، وهذا أيضاً كله مشروط بما يأتي:

- ١- ألا تطغى تلك المباحث على المقصود الأول من القرآن؛ وهو الهداية والإعجاز.
- ٢- أن تذكر تلك العلوم لأجل تعميق الشعور الديني لدى المسلم والدفاع عن العقيدة ضد أعدائها.
- ٣- أن تذكر تلك الأبحاث على وجه يدفع المسلمين إلى النهضة، ويلفتهم إلى جلال القرآن، ويحركهم إلى الانتفاع بقوى هذا الكون الذي سخره الله لنا انتفاعاً يعيد للأمة الإسلامية مجدها.
- ٤- ألا تذكر هذه الأبحاث على أنها هي التفسير الذي لا يدل النص القرآني على سواه؛ بل تذكر لتوسيع المدلول، وللاستشهاد بها على وجه لا يؤثر بطلانها فيما بعد على قداسة النص القرآني؛ ذلك أن تفسير النص القرآني بنظرية قابلة للتغيير والإبطال يثير الشكوك حول الحقائق القرآنية في أذهان الناس كلما تعرضت نظرية للرد أو البطلان^(٣).

(١) ينظر: الشعراوي، محمد متولي، معجزة القرآن، ج ١، ص ٤٧.

(٢) فهد الرومي: فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي. من مؤلفاته: "دراسات في علوم القرآن الكريم"، "اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر"، "دراسات في علوم القرآن الكريم". www.fac.ksu.edu.sa.

(٣) ينظر: الرومي، فهد، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، ج ٢، ص ٦٠٣-٦٠٤.

المبحث الرابع

دراسة تطبيقية على الإعجاز العلمي المقبول والمردود

المطلب الأول: أمثلة تطبيقية على الإعجاز العلمي المقبول

إن الهدف الأساسي للقرآن الكريم هو تبصير الإنسان بطرق الهداية ودعوته إلى سلوكها قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٩]، ولما كان المخاطبون بالقرآن هم الناس كافة على اختلاف طبقاتهم وفئاتهم ومستوياتهم الفكرية والثقافية، جاءت هذه الهدايات والدعوة بأساليب متنوعة من البراهين والأدلة والأمثال ما يعم البشرية على مختلف العصور والبيئات. ولأن المنطلقات الإنسانية محكومة بالفطرة والعقل والتجارب، كانت هذه الخطابات تعم كل من كان في عصر نزول الوحي ومن يأتي بعدهم إلى يوم القيامة.

وفي القرآن الكريم الكثير من الآيات التي تتحدث عن سنن الله سبحانه وتعالى في هذا الكون ونظامه وألوان العناية الربانية بمخلوقاته فيه، لذلك انصبَّ اهتمام الكثير من العلماء والباحثين على دراسة هذه الآيات الكونية من خلال تفسيرها تفسيراً علمياً يتفق إلى حد كبير مع هداية القرآن، وفهمه في ضوء ما قال به العلم لأنه يتلمس الحكمة فيما عبر به القرآن واتفق مع ما جاء به العلم تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۚ أَوَلَمْ يَكُنْ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣].

وفيما يلي بعض الأمثلة عن التفسير العلمي المقبول غير المتعارض مع هداية القرآن، وغير المتكلف في تحميل النصوص القرآنية ما لا تحتمله من الدلالات.

المثال الأول: أطوار خلق الإنسان

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ۝ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ۝ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٢-١٤]. وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِّن نُطْفَةٍ ثُمَّ مِّن عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّن يَتَّقَىٰ وَمِنْكُمْ مَّن يُرْدُّ إِلَىٰ أَرْدَلٍ

الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ
أَهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ [الحج: ٥].

ومن هذه الآيات نستطيع أن نحدد معالم أطوار الجنين الإنساني وهي: نطفة، علقة، مضغة
مخلقة وغير مخلقة، عظام، لحم يكسو هذه العظام، التسوية والتصوير (خلق آخر) والتعديل، نفخ
الروح. وقد فصلت هذه الآيات أطوار الخلق ووصفتها وصفاً مبهرًا لا من ناحية المظهر الخارجي،
ولكن من ناحية ميكانيكية التخليق الداخلية التي تتم في طور كل منها حيث تم تقسيم مراحل الخلق
إلى ثلاثة مراحل أساسية هي النطفة، التخليق (المرحلة الجنينية)، مرحلة النشأة (خلقاً آخر) ^(١).

كما تتضمن هذه الآيات وصفاً دقيقاً شاملاً للتخلق البشري من وقت امتزاج الأمشاج وخلال
تكون الأعضاء وما بعد ذلك... ولم يكن هناك أي تدوين مميز شامل للتخلق البشري التصنيف
المرحلي وعلم المصطلحات والوصف قبل القرآن الكريم، فقد سبقها الوصف القرآني والنبوي
بقرون كثيرة في معظم الحالات إن لم يكن كلها تسجيل المراحل المختلفة لتخلق الجنين البشري
في المؤلفات العلمية المعروفة، وقبل ظهور المجهر المركب لم يكن هناك أي وسيلة نعرفها لمراقبة
المراحل الأولى للتخلق البشري ^(٢).

والتعبير القرآني عن الرحم بالقرار المكين موافق لما جاء به العلم الحديث، فالرحم تربطه
ألياف قوية في موضعه، وتثبتته أربطة متينة في جوسقته (بيته الصغير)، ويحمله حوض من عظام
متينة ففوقه الحجبتان (العظمتان فوق العانة)، وعلى جانبيه الحرققان (العظم الجانبي في
الحوض)، وعظام العجز (أسفل العمود الفقري)، والعصعص (أسفل العجز)، ومن خلفه سنادات
ثم إنه ليغطي من أعلى بالمثانة ومن أسفل بالمستقيم... وقد ثبت طبياً أن جميع الجراثيم لا تستطيع
اختراق خط الدفاع ماعدا جرثومة السيلان (والسيلان مرض ينتقل بالزنا) وكأن الله تعالى لم يشأ
بذلك أن يحمي نسل الزناة ويؤيد ذلك عدم استقرار الأجنة في أرحام المصابات بالزهري. هذا وإن
الجنين نفسه وهو في الرحم قد لف بثلاثة أكسية كساء من فوق كساء وبين الأكسية ماء لوقاية
الجنين كما يمنع عنه تأثير الصدمات ويحفظ حرارة جسمه ^(٣).

(١) ينظر: دياب، محمد، الإعجاز الطبي في القرآن، ص ٢٢-٢٦، الهيممي، زكريا، الإعجاز العلمي في القرآن
الكريم، القاهرة، مكتبة منبولي، ط ١، ٢٠٠٢م، ص ٩١-٩٤.

(٢) ينظر: الزنداني، نظرة تاريخية في علم الأجنة، من أبحاث المؤتمر العالمي الأول للإعجاز العلمي في القرآن
والسنة، إسلام آباد، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م، ص ١٠-١١.

(٣) ينظر: الغوابي، حامد، بين الطب والإسلام، الجيزة، وكالة الصحافة العربية، ٢٠١٨م، ص ٢٦-٢٨.

وقد كشف العلم الحديث الكثير من التفاصيل لهذا الوصف الجامع المعبر فالرحم للنطفة ولمراحل الجنين اللاحقة سكن لمدة تسع أشهر، فعلى الرغم من أن طبيعة الجسم أن يطرد كل جسم خارجي فإن الرحم يأوي الجنين ويغذيه، وللرحم عضلات تحمي الجنين وتمتد بدرجة كبيرة لتتلاءم مع نموه فهو قرار له، كما يحاط الجنين بعدة طبقات بعد السائل الأمنيوسي، وهي الغشاء الأمنيوسي المندمج بالمشيمة وطبقة العضلات السميكة للرحم ثم جدار البطن، وكل هذا يمد الجنين بمكان مناسب للاستقرار والنمو الجيد. أما كلمة متين فتعني مثبت بقوة، وهذا يشير إلى علاقة الرحم بجسم الأم وموقعه المثالي لتخلق ونمو كائن جديد من حيث وقوعه وسط الجسم. وهذا اللفظ جامع معبر عن كل المعاني التي تبين تمكن الرحم وتثبيتته في جسم الأم^(١).

المثال الثاني: البصمات وتحقيق الشخصية

في قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ قَدَرِينَ عَلَىٰ أَن سُوءُ بَنَانِهِ﴾ [القيامة: ٤]. فالإعجاز العلمي في تسوية البنان وتخصيصه دون باقي أعضاء الجسم الإنساني مع أن المناسبة بين السؤال والجواب كانت تقتضي أن يكون الجواب بلى قادرين على أن نسوي عظامه كشف عنه علم تحقيق الشخصية. وهو علم حديث. بأن أدق ما في البنية الإنسانية تسوية البنان، ولهذا لا نجد بناناً في إنسان يشبه بناناً آخر، ولذا حكموه في تحقيق الحوادث والاستغناء به عن التوقيع بصريح الاسم سيما من كان أمياً. ذلك أن أي عضو في جسم الإنسان قد يتشابه، ولكن البصمات أدل على الإنسان من وجهه وأدل من صورته وهي من أخص خصائصه. فسبحان من أقام في اليد شاهداً على كل ما تأتيه وأرغمها على الاعتراف بكل ما تجنيه^(٢).

وتبرز عظمة الخالق في تشكيل هذه الخطوط على مسافة ضيقة لا تتجاوز بضع سنتيمترات مربعة فلا تشابه بين بنان اثنين من ألوف الملايين من البشر. وهذا ما توصل إليه العلماء في الوقت الحاضر، ولكننا لا نقصر دلالة الآية القرآنية على هذا الجانب حصراً بل قد يأتي اليوم الذي تكتشف فيه أسرار ربانية أخرى في تسوية البنان، وتبقى الحقيقة الخالدة ﴿بَلَىٰ قَدَرِينَ عَلَىٰ أَن سُوءُ بَنَانِهِ﴾ [القيامة: ٤]. معلماً على مَرَّ العصور تشير إلى مصدر القرآن الكريم^(٣).

(١) ينظر: الزنداني، وصف التخلق البشري في مرحلة النطفة، من أبحاث المؤتمر العالمي الأول للإعجاز العلمي

في القرآن والسنة، إسلام آباد، ١٤٠٨ هـ/١٩٨٧ م، ص ٣-٤.

(٢) ينظر: أبو حجر، أحمد، التفسير العلمي للقرآن في الميزان، ص ٤٧٠-٤٧١.

(٣) ينظر: مسلم، مصطفى، مباحث في إعجاز القرآن، ص ٢٤٠-٢٤١.

وإذا فحصت هذه الخطوط التي فوق الأصابع وجد أن بها خطوطاً على ثلاثة أنواع: أقواس أو عراو أو دوامات، بمعنى دوائر متحدة بالمركز. وكذلك يوجد نوع رابع يشمل جميع الأشكال التي لم توصف في الثلاثة السابقة الذكر وتسمى المركبات. وهذه الخطوط لا تتغير مدى الحياة.

وكما خلق الله سبحانه وتعالى هذه الخطوط في حياة الأفراد مميزة في كل شخص عن غيره وخاصة به وحده بحيث لا يمكن أن تتشابه في اثنين منهم فإنه يسويها عند الحشر ويرجعها إلى ما كانت عليه في الدنيا، وهو القادر على كل شيء، ويعتبر هذا من إعجاز القرآن الكريم فلم يستطع الإنسان اكتشاف هذه الحقيقة العلمية إلا بعد قرون من نزول هذه الآيات (١).

المثال الثالث: الضغط الجوي وتأثيره على الإنسان

توضيح التشبيه في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٥] في ضوء ما توصل إليه العلم الحديث، هذا التشبيه القرآني المعجز الذي يقابل بين ضيق صدر العازفين عن الهداية الربانية كلما ذكروا بها وضيق صدر الذي يصعد في السماء بغير وسيلة واقية، وهي حقيقة لم يدركها الإنسان في أبعادها الصحيحة إلا بعد ريادته للفضاء (٢).

وفي هذا الصدد يقول العلم الحديث إن الله سبحانه وتعالى قد جعل الضغط في داخل جسم الإنسان متناسباً مع الضغط الجوي المحيط بالجسم، وفي الأحوال الاعتيادية ليس هناك تغلب من الضغط الداخلي على الخارجي ولا العكس. وبعد اكتشاف الوسائل الحديثة للارتفاع في أجواء السماء لاحظوا مدى التأثير عند الصعود وما يرافقه من انقباض وضيق في الصدر وآلام مبرحة في الرأس والأذنين، وكلما ارتفع الإنسان في الجو تخلخل الضغط الجوي وزاد الضيق والشعور بالاختناق. فإذا تجاوز الإنسان ارتفاع الثمانية كيلومتراً فوق مستوى سطح البحر فبالإضافة إلى تعرضه لمشكلات عديدة منها صعوبة التنفس بسبب نقص الأوكسجين وتناقص ضغط الهواء ومنها مشكلات انخفاض الضغط، وتحت هذين العارضين لا يستطيع جسم الإنسان أن يقوم بوظائفه الحيوية. (٣)

(١) ينظر: الغوابي، حامد، بين الطب والإسلام، ص ٧٨.

(٢) ينظر: النجار، زغلول، من آيات الإعجاز العلمي السماء في القرآن الكريم، بيروت، دار المعرفة، ط ٤، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ص ٣٩١.

(٣) ينظر: مسلم، مصطفى، مباحث في إعجاز القرآن، ص ٢٤٤، النجار، زغلول، من آيات الإعجاز العلمي السماء في القرآن الكريم، ص ٤٠٣.

وهنا يمكن تفسير ضيق الصدر الذي يمر به الإنسان عند الصعود إلى تلك المرتفعات بغير استعدادات وقائية كافية، وهذه هي الحالة التي يشبه بها القرآن الكريم حال المعرضين عن الهداية الربانية بحال شعور الضيق والاختناق التي يعاني منها من يصعد في السماء. وهذه الحقائق لم يدركها الإنسان إلا في العقود المتأخرة من القرن العشرين وإن بدأ يتحسسها منذ نهاية القرن الثامن عشر، وورودها في كتاب الله الذي أنزل قبل أربعة عشر قرناً على نبي أمي في أمة غالبيتها الساحقة من الأميين لهو دليل قاطع على أن القرآن الكريم منزل من عند الله تعالى (١).

المثال الرابع: تكوين المطر

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُرْسِئُ سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقُهُ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ﴾ [النور: ٤٣].

ومفتاح هذه الآية قوله تعالى: ﴿...ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ...﴾ لأنها تدل بوضوح على الحقيقة الكهربائية التي تقوم عليها تلك الظواهر الجوية كلها، فالتأليف بين السحاب ما هو إلا إشارة واضحة بل وصف دقيق للتقريب بين السحاب المختلف الكهربائية حيث يتجاذب ويتعاباً في الجو تعبئة تتفق مع ما يريد الله أن يخلقه من بين السحاب من برق أو صواعق ومن مطر أو برد.

فإذا كان السحاب المتجاذب بعضه فوق بعض نشأ السحاب الركام، فإذا حدث التفريغ داخل السحاب بين بعض تلك الطبقات وبعض - كما هو في الغالب - نزل المطر الناشئ عن ذلك التفريغ من خلال الطبقات الدنيا وتكبر قطراته أثناء نزولها بما تستلحقه من القطيرات، وهو الودق. فإذا بلغت الحالة الجوية الكهربائية في ذلك السحاب الركام من القوة ومن الاضطراب ما يسمح بوقوع تلك الظاهرة الغريبة ظاهرة تردد بلورات الماء بين منطقتين ثلجية علوية ومطرية سفلية تكون البرد ونما حتى يصير أثقل من أن يظل في أسر تلك القوى فيسقط على الأرض رحمةً إن كان صغيراً هيناً ونقمةً إن كان كبيراً راجماً. (٢)

(١) ينظر: مسلم، مصطفى، مباحث في إعجاز القرآن، ص ٢٤٥، النجار، زغلول، من آيات الإعجاز العلمي السماء في القرآن الكريم، ص ٤٠٤.

(٢) ينظر: الغمراوي، محمد، الإسلام في عصر العلم، ص ٣٥٤.

وليس يدري الإنسان كثيراً عن الظروف التي يتكون فيها البرد ولكنه يدري أنها ظروف يسودها اضطراب جوي عظيم هذا الاضطراب قد أشارت الآية إليه وإلى طبيعته إشارتين الأولى: حين شبهت السحاب الركام الذي يتكون البرد داخله بالجبال، والثانية: حين أشارت إلى عظم القوى الكهربائية المشتركة في تكوينه بنصها على عظم برقه وشدته وبلوغه من الحرارة درجة الابيضاض أو ما فوق ذلك. وهناك آيات أخرى أشارت إلى الطبيعة الكهربائية لتلك الظواهر إشارة من نوع آخر في قوله تعالى: ﴿أَنزَلْنَاهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ﴾ [الواقعة: ٦٩]. نستطيع بعد معرفة العوامل المتعددة أن ندرك شيئاً من سر الحجة في هذا السؤال (١).

فنزول المطر يتوقف على تكوين السحب الماطرة (المزن)، ومن هذا المزن ما يسمى المزن الركامية، وهي سحب تنمو في الاتجاه الرأسي، وقد تمتد إلى علو عشرين كيلومتراً، وداخل هذه السحب الركامية ثلاث طبقات وهي الطبقة السفلى وقوامها نقط نامية من الماء، ثم الطبقة الوسطى وتكون درجة حرارة الماء فيها تحت الصفر المئوي ومع ذلك فهي باقية في حالة السيولة، أما الطبقة العليا فتتكون من بلورات الثلج ذات اللون الأبيض الناصع (٢).

المطلب الثاني: أمثلة تطبيقية على الإعجاز العلمي المردود

إن القرآن الكريم هو كتاب الله الخالد ومعجزة النبي ﷺ على تعاقب السنين، وهي للبشرية كافة عريبها وأعجميها. كما أن إعجازه العلمي ينبثق للناس شيئاً فشيئاً انبلاج أضواء الفجر على حسب مبالغ الفهم وتطورات العلوم، فهو بأسلوبه المعجز يعطي كلاً ما يناسبه وينهل كل جيل من منهله العذب النмир ما تتسع له ثقافته وحضارته ومدنيته.

وعليه فلا يجوز أن يتم قصر فهم الآيات الكونية على نطاق الثقافة العربية المحدودة في زمن الرسول ﷺ، كما لا يجوز أن نحمل النصوص القرآنية ما لا تحتمله من معان لمحاولة إقحامه في المخترعات العلمية الحديثة ولو كانت فروضاً أو نظريات.

وقد دفع الحماس بعض الباحثين إلى أن يلتمسوا لكل ما توصل إليه العلم في فروضه ونظرياته آية من آيات كتاب الله زاعمين أن القرآن قد سبق بالإشارة إلى هذا المكتشف قبل أن يصل إليه البشر، فعكست تفاسيرهم للآيات الكونية الأهداف التي يريدون تحقيقها من إظهار الصلة بين العلم والقرآن، وأن آيات القرآن دالة على ما يقوم به العلم، فكان ذلك على حساب النص القرآني، حيث طغت المادة العلمية التي يريد المفسر أن يربطها بالنص القرآني على تفسيره، فلم

(١) ينظر: الغمراوي، محمد، الإسلام في عصر العلم، ص ٣٥٤.

(٢) ينظر: مسلم، مصطفى، مباحث في إعجاز القرآن، ص ٢١٢.

يلتفت إلى موضوع الآية ولا إلى سياقها، ولا إلى ألفاظها، وإنما كان همه أن يجعلها دالة على ما يقول به من العلم، الأمر الذي أدى إلى تفسير الظواهر الكونية لا إلى تفسير القرآن الكريم^(١).

وقد أدى ذلك إلى خروج تفاسيرهم عن نطاق الموضوعية والمنهجية إلى التعسف والتكلف والتأويل لغير ضرورة لآيات القرآن. كما أدت هذه الدراسات التي اتجهت هذا الاتجاه من غير ضوابط إلى نتائج عكسية على الرغم من حماس أصحابها وصدق مشاعرهم، مما جعل كثيراً من الناس يحملون على هذا الاتجاه حرصاً منهم على إبعاد القرآن الكريم عن مجال إخضاعه للنظريات العلمية المتقلبة أو التعسف في تأويل النصوص أو تحميلها ما لا تحتل من الدلالات^(٢).

وفي هذا المطلب سيتم ذكر بعض الأمثلة عن هذه التفاسير وما فيها من التعسف والتكلف المؤدي إلى تعطيل هذه النصوص القرآنية وإخراجها عن نطاق الموضوع الذي وردت الآيات في سياقه من جهة، ولا تدل عليه ألفاظها حسب وضعها اللغوي الذي وضعت للدلالة عليه من جهة أخرى.

المثال الأول:

تفسير قوله تعالى: ﴿يَمَعَشَرُ الْجِنَّ وَالْإِنْسُ إِنِ اسْتَطَعُوا أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ [الرحمن: ٣٣]. بما توصل إليه العلم الحديث من غزو الفضاء، ومحاولة الوصول إلى الكواكب الأخرى، والسلطان بالإمكانية العلمية والمادية^(٣).

مع التأكيد على أن هذه الآيات تخص الإنسان في الدنيا وليس في الآخرة، منكرين بذلك على ما يقوله البعض إنها في الآخرة وإنما تخص الحساب ويومه، فيوم الحساب لا يمكن أن يحاول الإنسان أن يهرب من أقطار السماوات والأرض إذ الأرض تكون قد بدلت وكذلك السماء وذلك بالنص الشريف: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ^ط وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم: ٤٨]. كما تطوى السماء فلا مكان لها ولا محاولة للنفوذ منها، وذلك بالنص الكريم، قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ^{هـ} وَعَدَّا عَلَيْنَا^{هـ}

(١) ينظر: صديق، شافية، مجلة البحوث والدراسات الإسلامية، مقالة بعنوان: المسلم والعلم تحدي الهزيمة وارتباك الاستجابة، ع ٥٤، الجزائر، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م، ص ٥٧.

(٢) ينظر: مسلم، مصطفى، مباحث في إعجاز القرآن، ص ١٦٨.

(٣) ينظر: نوفل، عبد الرزاق، القرآن والعلم الحديث، ص ٢١٨.

إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿﴾ [الأنبياء: ١٠٤]. كما أن الحساب لا يمكن أن يهرب منه أي إنسان مهما أوتي من السلطان والإمكانية والآية تفيد إمكانية الخروج (١).

ويرد على هذا التفسير بعدة أمور منها:

مخالفة دلالة اللغة في معنى النفاذ الذي هو موضوع التحدي، كما جاء في القاموس المحيط النفاذ هو جواز الشيء والخلوص منه كالنفوذ ومخالطة السهم جوف الرمية وخروج طرفه من الشق الآخر وسائر فيه لا تنفذ (٢). ولا يتحقق بهذا المعنى غزو الفضاء لأن قطر الشيء هو طرفه وجانبه قال تعالى: ﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَأَتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا فِيهَا إِلَّا بَهِيمَةً﴾ [الأحزاب: ١٤]، وفي لسان العرب القطر بالضم هو الناحية والجانب وأقطارها نواحيها (٣).

وإن كل هدف التسابق لغزو الفضاء هو الوصول إلى القمر أو غيره من الكواكب، والقمر تابع من توابع الأرض كما أثبت العلم الحديث نفسه ذلك بل هي لا تبعد عن الأرض إلا بنحو ٣٨٤ ألف كيلومتراً (٤).

ويصح الفندي-أحد المتخصصين في علم الفلك والأرصاء الجوية- ما اعتبره من تفسير هذه الآية في غزو الفضاء في كتابه القرآن والعلم بقوله: ويظن كثير من الناس خطأ وقد كنت منهم أن قول الله تعالى: ﴿يَمْعَشَرُ الْجِنَّ وَالْإِنْسُ إِنِ اسْتَطَعُوا أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ [الرحمن: ٣٣]. من دلائل انطلاق الإنسان عبر الفضاء، ولكن الحقيقة عندما نفهم معنى أقطار تماماً نجد أن المعنى إشارة واضحة إلى التعجيز كما في قوله تعالى:، أما النفاذ من أقطار الأرض فما من شك أن معناه اختراق الكرة الأرضية عبر باطنها المستعر والخروج من الجهة المقابلة. وما من شك أن مجرد اختراق القشرة اليابسة للأرض معناها انطلاق مواد الباطن على هيئة بركان مدمر، أما اختراق أقطار السماوات فبالمثل معناه عبور

(١) ينظر: الخطيب، عبد الغني، أضواء من القرآن على الإنسان ونشأة الكون والحياة، دمشق، دار الفتح، ط١، ١٩٧٠م، ص ٢٥٠، نوفل، عبد الرزاق، القرآن والعلم الحديث، ص ٢١٩.

(٢) ينظر: الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (-٨١٧هـ)، القاموس المحيط، تحقيق: محمد العرقسوسي، بيروت، لبنان، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ج ١، ص ٣٣٩.

(٣) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج ٥، ص ١٠٦.

(٤) ينظر: الفندي، محمد جمال الدين، السماوات السبع، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٣م، ص ٣٩.

الشموس والنجوم وسائر ألوان الغبار الكوني وأحزمة الأشعة الكونية وهي أشد إحراقاً وفتكاً من براكين الأرض^(١).

والسلطان يطلق في اللغة على الحجة كما يطلق على القدرة والسلطان: قدرة الملك وقدرة من جعل ذلك له، وإن لم يكن ذلك ملكاً كقول: قد جعلت له سلطاناً على أخذ حقي من فلان^(٢).

وقال تعالى على لسان إبليس يخاطب أتباعه الذين اغتروا بفتنته: قال تعالى: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِي إِنْ كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٢٢]. والمعنى: وما كان لي عليكم من تسلط أو حجة تدل على صدقي إلا دعائي إياكم إليه وتسويله.

وقد أقامت عليكم الرسل الحجج والأدلة الصحيحة على صدق ما جاؤوكم به فخالفتموهم فصرتم إلى ما أنتم به فلا تلوموني اليوم ولوموا أنفسكم فإن الذنب ذنبكم لكونكم خالفتم الحجج واتبعتُموني لمجرد دعوتكم إلى الباطل^(٣).

١- مخالفة أصول البلاغة العربية: ذلك أن المقام في هذه الآيات هو مقام تحد وإعجاز، فالمقصود نفي القدرة لا إثباتها لأنه لا يصح أن يقال في التحدي لا يمكنك فعل هذا الأمر إلا بعلمك وقدرك فهذا ليس من بلاغة الأسلوب في التحدي.

٢- تقديم ذكر الجن على الإنس يؤكد على معنى التحدي والتعجيز لأن الجن قد منعوا من

الاقتراب من السماوات بمقتضى قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَهَا مِْلَتَ

حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۝ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعِدًا لِّلسَّمْعِ ۖ فَمَنْ يَسْمَعُ ۚ أَلَمْ يَجِدْ لَهُ ۖ

شُهَابًا رَّصَدًا﴾ [الجن: ٨-٩]. وهذه سابقة في النزول على سورة الرحمن^(٤).

(١) ينظر: المرجع السابق، ص ١٢٥-١٢٦.

(٢) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج ٧، ص ٣٢١.

(٣) ينظر: أبي السعود، محمد بن مصطفى (-٩٨٢هـ)، تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ج ٥، ص ٤٢.

(٤) ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج ١، ص ١٩٤.

وما يؤكد ذلك هو نفي الانتصار لإتمام معنى التعجيز في قوله تعالى: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ﴾ [الرحمن: ٣٥]، فالرحلة إلى الفضاء إن كان محكوماً عليها بالفشل وعدم الانتصار بصريح النص فلا فائدة منها (١).

مخالفة سياق الآيات: فعند تأملنا للآيات نجدها تتحدث عن فناء الخلق وبقاء الخالق قال تعالى: ﴿كُلٌّ مِّنْ عَلَيْهَا فَإِنَّ ۝ وَيَبْقَىٰ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦-٢٧]. وأن جميع الخلق يفتقرون إليه ويسألونه حاجاتهم قَالَ تَعَالَى: ﴿يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩]. وأنه سبحانه وتعالى يهدد الجن والإنس بأنه سيفرغ لحسابهم يوم القيامة، قال تعالى: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ﴾ [الرحمن: ٣١]. ولن يستطيعوا الإفلات من سلطان بل سيخضعون لحسابه وجزائه، وبهذا يتضح خطأ التفسير العلمي الذي قالوا به لأنه مخالف لسياق الآية ولغتها وبلاغتها (٢).

ولا ننسى أن نصوص الكتاب العزيز تنادي بأن السماوات غير النجوم وغير الشمس والقمر، وأيضاً فإنهن مقرونات في الآيات القرآنية بعطف بعضهن على بعض والعطف مقتض للتغاير حتماً قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ۝ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ [نوح: ١٥-١٦]. قال تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ۝ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ ۝﴾ [الانفطار: ١-٢]. فللسماء يوم القيامة الانفطار وللنجوم الانتثار والسماء تطوى يوم القيامة بعد انفطارها طي الصحيفة قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]. فليس الصعود إلى القمر خروجاً من أقطار السماوات والأرض (٣).

المثال الثاني:

تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النمل: ٨٢]. بالأقمار الصناعية والسفن الفضائية وما تحمله من دواب، وفي ذلك يقول توفيق صدقي: أطلقت روسيا أجهزة علمية سميت بالأقمار الصناعية تدور حول الأرض، واتبعتها أجهزة أخرى تحمل نوعاً من الكائنات الحية لتدريس تأثير الانطلاق والارتفاع

(١) ينظر: أبو حجر، أحمد، التفسير العلمي للقرآن في الميزان، ص ٤٣٧.

(٢) ينظر: الشدي، عادل، التفسير العلمي التجريبي للقرآن الكريم، ص ٨٤.

(٣) ينظر: الحامد، محمد، ردود على أباطيل وتمحيصات لحقائق دينية، دمشق، مطبعة القلم، ص ٢٨٤.

والإشعاع والضوء والجاذبية... وهذه الأقمار التي خرجت من الأرض في الوقت الذي انتشر فيه الإلحاد لتتحدث عما في الكون الغامض، وتزيح بعضاً من هذا الغموض ألا يمكن أن تكون هذه هي الدابة التي تنبأ بها القرآن الكريم في سورة النمل بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النمل: ٨٢] ^(١).

وهذا التفسير تنقصه الدقة في المطابقة اللغوية في ألفاظ الآية من جهة والدقة في المناسبة بين الآية وبين ما تقدمها من الآيات التي عطف عليها عطف قصة على قصة أخرى. فالقول أريد به أخبار الوعيد التي كذبوها متهمين باستبطاء وقوعها بقولهم في الآيات السابقة قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [النمل: ٧١]. فالتعريف في القول للعهد لدلالة المقام عليه والوقوع في قوله (وقع) مستعار لحلول وقته والتعبير عن وقوعه بصيغة الماضي لتقريب زمن المستقبل من الماضي ولتحقق الوقوع ^(٢).

وإن تفسير الدابة التي ذكر القرآن خروجها قرب قيام الساعة بالأقمار الصناعية لا يسلم لقائله، ذلك أن الحقيقة الشرعية لا تترك إلى المجاز إلا لصارف يقيني قطعي يضطر الناظر فيها إلى التأويل، ومالم يوجد هذا الصارف فالحقيقة هي المعتمدة وهي المأخوذ بها في الفهم ولا يصح العدول عنها، وإلا لبطلت المعاني الشرعية الحقيقة بالمجازات وهذا معناه إلغاء النصوص جملة. والدابة في لغة العرب هي الحيوان الذي يدب على قوائمه، وهذا الاصطلاح العرفي الحقيقي الذي تضمحل أمامه التأويلات الأخرى ويستحيل أن يفوت النبي وأصحابه وتابعيهم مال ليس حقيقة من الفهم أو أن يفهموا من الآيات خطأ أو أن يصوروا منها غلطاً ^(٣). وعليه فإن دابة الأرض تعبير قرآني عن حيوان -نكل علم لونه وشكله وهيئته إلى الله عز وجل- يظهر للناس قبيل الساعة يكلمهم ويصف كلاً منهم بصفته من الإيمان أو الكفر، فيسم الكافر بوسم الكفر ويطلع المؤمن بطابع الإيمان، وحينئذ لا تنفع نفس إيمانها إن لم تكن آمنت من قبل ^(٤).

(١) ينظر: صدقي، محمد توفيق، دروس سنن الكائنات، نقلاً عن جمال البنا، تفسير القرآن الكريم بين القدامى والمحدثين، د. م. د. ن، د. ت، ص ٣١٣-٣١٤، نوفل، عبد الرزاق، القرآن والعلم الحديث، ص ٢١٢-٢١٦، نقلاً عن أحمد أبو حجر، التفسير العلمي للقرآن في الميزان، ص ٤٤٠.

(٢) ينظر: أبو حجر، أحمد، التفسير العلمي للقرآن في الميزان، ص ٤٤١.

(٣) ينظر: الحامد، محمد، ردود على أباطيل وتمحيصات دينية، ص ٢٨٣-٢٨٤.

(٤) ينظر: البوطي، محمد رمضان، كبرى اليقينيّات الكونية، دمشق، دار الفكر، ط ٨، ١٩٨٢م، ص ٣٣٥.

وحسبنا كما يقول سيد قطب في تفسيره الضلال أن نقف عند النص القرآني والحديث الصحيح الذي يفيد أن خروج الدابة من علامات الساعة^١، وأنه إذا انتهى الأجل الذي تنفع فيه التوبة وحق القول على الباقي فلم تقبل منهم توبة بعد ذلك، وإنما يقضى عليهم بما هم عليه وحينئذ يخرج الله دابة تكلمهم^(٢).

المثال الرابع:

تفسير قوله تعالى: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ۝ ١ ۝ فَالْعَصْفَاتِ ۝ ٢ ۝ وَالنَّشْرِ نَشْرًا ۝ ٣ ۝ فَالْفَرْقَاتِ ۝ ٤ ۝ فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا ۝ ٥ ۝ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ۝ ٦ ۝ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَفْعٍ ۝﴾ [المرسلات: ١-٧]. بالطائرات الحربية بجميع حركاتها وأفعالها تعصف بقنابلها وهي تحتل في اللغة معنيين: تترك الناس كعصف مأكول، وتنتشر المنشورات على الجنود في ميادين الحرب وعلى الأهالي والسكان في المدن للدعاية والإخبار بما تريده الدولة المحاربة، وتفرق بين الجموع والكتائب فرقاً لأن الرعب بها والهزيمة أشد من غيرها بحيث لا يثبت تحتها جمع، بل لمجرد رؤيتها من بعيد يقع الفرار والتفرق والاختفاء في الكهوف والملاجئ ﴿فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا ۝ ٥ ۝ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ۝﴾ [المرسلات: ٥-٦]. في المنشورات عذراً تعتذر به الدولة عن ضربها بعض الأماكن البريئة والتي ليست من مراكز الحرب أو نذراً تنذر به السكان، وتخوف وتوعد وتهدد وتطلب التسليم ونحو ذلك من أنواع الإنذار كما هو معروف^(٣). وهذا التفسير مردود للأسباب التالية:

١- للسلف في تفسير المرسلات قولان هما: الرياح أو الملائكة^(٤). والأرجح أن المرسلات والعاصفات صفتان للرياح وأن ما بعدها صفات للملائكة والواو الثانية للعطف وليست حرف قسم، ومناسبة الجمع بين هذين الجنسين في القسم أن كلاهما من الموجودات العلوية لأن الأصل في العطف بالواو أن يكون المعطوف بها ذاتاً غير المعطوف عليه^(٥).

(١) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في خروج الدجال ومكثه في الأرض، ج ٤، ص ٢٢٦٠، حديث رقم ٢٩٤١.

(٢) ينظر: قطب، سيد، في ضلال القرآن، ج ٢٠، ص ٢٦٦٧.

(٣) ينظر: أبي الفيض، محمد الغماري، مطابقة المخترعات العصرية لما أخبر به سيد البرية، القاهرة، مكتبة القاهرة، ط ٦، ١٣٩١هـ/١٩٧١م، ص ١٦.

(٤) ينظر: الشوكاني، محمد بن علي الشوكاني (-١٢٥٠هـ)، فتح القدير، دمشق، دار ابن كثير، ط ١، ١٤١٤هـ، ج ٥، ص ٤٣٣، الألوسي، شهاب الدين (-١٧٢٠هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عطية، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٥هـ، ج ١٥، ص ١٨٨.

(٥) ينظر: عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ج ٩، ص ٤٢٠.

٢- إن مثل هذا التفسير الإشاري يفتح الباب على مصراعيه لتحميل القرآن ما لا يحتمله من إشارات، يقول من خلالها من دون ضابط من شاء ما شاء، فلو زعم زاعم سبق القرآن إلى اختراع السيارات مستنداً بقوله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَبُشْرَىٰ هَذَا غُلٌّ وَأَسْرُوهُ بِضَلْعَةٍ ۖ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [يوسف: ١٩]، فهل يقبل منه لمجرد ورود اللفظ مع أن معنى اللفظ الذي يعرفه المعاصرون الآن للسيارة مخالف لمعناه في معهود العرب وقت نزول القرآن^(١).

٣- إن جميع ما يقسم به الله سبحانه وتعالى إما أن يكون شيئاً أنكره بعض الناس أن احتقره لغفلته عن فائدته، أو ذهل عن موضع العبرة فيه وعمي عن حكمة الله في خلقه، أو انعكس عليه الرأي في أمره فاعتقد فيه غير الحق الذي قرر الله شأنه عليه^(٢). فيقسم الله به إما لتقرير وجوده في عقل من ينكره، أو يعظم شأنه في نفس من يحقره، أو تنبيه الشعور إلى ما فيه عند من لا يذكره، أو في قلب من أضله الوهم أو خانته الفهم. وإذا لاحظنا هذا فأين القسم بالطائرات الحربية التي أنتجها العقل فيما أنتج من وسائل الحرب والدمار؟ وأين وجوه الانتفاع به للبشرية جمعاء بل هي على العكس من ذلك تهلك الحرث والنسل وتنتشر الفساد في الأرض على أيدي قوم لا يراعون لله حرمة ولا للإنسانية إلا ولا ذمة^(٣).

المثال الرابع:

تفسير اليوم في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ۖ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ۖ وَلَا يَسْأَلُ حِمِيمٌ حَمِيماً ۖ يُصْرُوْنَهُمْ يَوْمَ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بَيْنِيهِ ۖ وَصَلْبَتِهِ وَأَخِيهِ ۖ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ۖ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ۖ كَلَّا إِنَّهَا لَأَنْتَ لَلشَّوَىٰ ۖ﴾ [المعارج: ٨-١٦]. باليوم الذي تظهر فيه الطائرات وقاذفات القنابل المتفجرة والقنابل الذرية والصواريخ الضخمة المدمرة في السماء، حتى تصبح السماء من جراء ذلك كالمهل أي كاللهب الأحمر أو كالشيء المذاب من الحرارة، واليوم الذي تكون فيه الجبال كالعهن أي كالقطن المتناثر من جراء الديناميت والمفرقات والدبابات ونفاثات اللهب ومن القنابل الذرية والإيدروجينية التي

(١) ينظر: الشدي، عادل، التفسير العلمي التجريبي للقرآن الكريم، ص ٨٧.

(٢) ينظر: عبده، محمد، تفسير جزء عم، القاهرة، مطبعة مصر، ط ٣، ١٤٣١هـ، ص ٤٢.

(٣) ينظر: إبراهيم، محمد إسماعيل، معجم الألفاظ والأعلام القرآنية، القاهرة، دار الفكر العربي، ط ٢، ١٩٦٨م،

اخترعت حديثاً والتي تحلل الجبال والأبنية والأشجار والإنسان وسائر الحيوانات والنباتات إلى ذرات هوائية بحيث تجعل كل ما تتناوله هباءً منثوراً كما حصل سنة ١٩٤٥م في بعض المدن اليابانية. وهذا اليوم الذي يفر فيه المرء من أمه وأبيه ويود أن يفترق من عذابه الشديد ببنيه وصاحبه وأخيه ومن في الأرض جميعاً ثم ينجيه من هذه اللظى النزاعة للشوى التي تدعو من أدبر وتولى لسعة دائرة تأثيرها بحيث لا يمكن أن ينجو منها مدبر ولا مقبل. وقد يكون هو اليوم الذي كان العرب يرونه بعيداً ويراه الله قريباً، وإنه يوم العذاب الواقع الذي ليس له دافع مما حصل منه في أيامنا هذه، وسيحصل منه في المستقبل ما هو أشد منه وأعظم بسبب هذه القنابل الذرية ونحوها. وحصوله في الدنيا حسب ما بيناه لا ينافي أصلاً حصول ما هو أكثر منه وأنكى يوم القيامة^(١).

وإن هذا الفهم لهذا النص الكريم على هذا النحو قائم على أمرين:

الأمر الأول:

الولوع بالتجديد والغرام بمخالفة القديم وتحكيم العقل في غير موضعه.

الأمر الثاني:

قطع الآيات عن سابقتها وإغفال لسياقها وبعد أهدافها، فسياق الآيات يدل دلالة واضحة لا خفاء فيها على أن قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ﴾ [المعارج: ٨]. إنما هو انتقال من الرد على المكذابين بالعذاب الذي يظنونهم بعيداً وغير واقع إلى وصف ذلك اليوم الذي وصفه الحق تعالى بأن مقداره خمسون ألف سنة، ثم وصف ما سيحدث فيه بأن السماء تكون كالمهل والجبال كالعهن، وما حصل أو سيحصل في الدنيا من أنواع العذاب لا يساوي شيئاً مما سيحصل في ذلك اليوم الذي قال الله فيه: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ [المزمل: ١٧]. أما حال الخلائق فهي كما قال تعالى: ﴿يَبْصُرُونَهُمْ يَوْمَ الْمُجْرِمِ تَوَفَّتْهُ مِنْ عَذَابٍ يَوْمِيذٍ بِبَنِيهِ ۖ وَصَحْبَهُ وَوَلَدَهُ ۚ وَفَصَّلَتْهُ أَلَّتِي تُوِيهِ ۚ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ﴾ [المعارج: ١٠-١٤]. فمن شدة ما ينزل بهم جميعاً من الهول والفرع يتتاكرون ويتدافعون يميناً وشمالاً، مشتغلاً كل منهم عن غيره بنفسه وتلمس طريق الخلاص لها وينحصر همه في ذلك بحيث لا يعود يسأل عن حميمه ما شأنه. (٢)

(١) ينظر: القيشاوي، عبد الله، القرآن على ضوء العلم، غزة، مطبعة لجنة البيان العربي، ١٩٦٢م،

ص ٢٠-٢١.

(٢) ينظر: أبو حجر، أحمد، التفسير العلمي للقرآن في الميزان، ص ٤٤٨-٤٤٩.

وهذا كما قال الله تعالى في آية أخرى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۖ وَأُمُّهُ وَأَبِيهِ ۖ وَصَلْبَتُهُ
وَبَنِيهِ ۖ لِكُلِّ أَمْرٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤-٣٧]، والقرآن يفسر بعضه بعضاً (١).
ويرى فضل عباس أن بعض المحدثين يحاولون تفسير بعض الآيات القرآنية التي وردت في
يوم القيامة تفسيراً يخضع لظواهر العلم، مع أن هذه الآيات وردت في يوم تتغير فيه القوانين
الطبيعية والسنن المألوفة، ومن الخير عدم التعرض إلى مثل هذا ويكفي أن نطبق قواعد العلم
وقوانينه على دنيانا (٢).

(١) ينظر: أبو حجر، أحمد، التفسير العلمي للقرآن في الميزان، ص ٤٤٩.

(٢) عباس، فضل، التفسير والمفسرون أساسياته واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث، ج ١، ص ٦٣٨.

الخاتمة

وبعد، فهذه دراسة عن الإعجاز العلمي، ومناهج العلماء فيه قديماً وحديثاً، وأثره على النصوص القرآنية، وأمثلة تطبيقية للإعجاز العلمي المردود والإعجاز العلمي المقبول.

وبعد استعراض هذا البحث ودراسته ومعايشته، ألخص بعض أهم النتائج التي توصلت إليها:

نتائج البحث:

أولاً: إن الهدف الأساسي والأسمى للقرآن الكريم هو هداية الناس، ودعوتهم إلى الإيمان بالله، وحثهم على العمل الصالح الذي فيه سعادتهم في الدنيا والآخرة والطريق لإعمار هذه الأرض بما شرعه الله سبحانه وتعالى. وإحدى أساليب الهداية التي جاءت في القرآن الكريم الإشارات القرآنية إلى خلق الله مبثوثة في تضاعيف آية مذكورة في مختلف سوره، تحض الإنسان على النظر والتأمل في حكمة الإبداع، وجمال التنظيم، وكمال القدرة الإلهية في الخلق والتكوين. هذه الإشارات العلمية في الآيات القرآنية لم تأت محددة بالزمان أو المكان أو الكيفية حتى لا تزيل عن القرآن جمال الأسلوب المعجز، ولتحفظ له جلالته وقديسيته بخلاف الكتب العلمية الوضعية.

ثانياً: إن الإعجاز العلمي في القرآن الكريم يظهر منه في كل عصر ما يثبت أن القرآن منزل من عند الله، وينكشف منه في كل عصر على قدر أفهام البشر في ذلك العصر، مما يؤكد صلاحيته لكل العصور والأزمنة حتى قيام الساعة.

ثالثاً: يوجد ترابط وثيق بين التفسير العلمي والإعجاز العلمي في القرآن الكريم، فكل إعجاز علمي هو تفسير علمي والعكس غير صحيح، ذلك أن التفسير العلمي قد يستعين في فهم مدلول الآيات بالنظريات العلمية بخلاف الإعجاز العلمي الذي لا يأخذ إلا بالحقائق العلمية التي تثبت قطعيتها.

رابعاً: يجب التأكيد على أنه ليس شرطاً أن يكون لكل حقيقة علمية ما يوافقها من آيات القرآن، ولكن لم ولن يثبت أنه توجد نصوصاً قرآنية تناقض ما ثبت ثبوتاً قطعياً من الحقائق العلمية، فليس في القرآن ما يخالف الحقائق العلمية بحال من الأحوال، وإذا حدث تعارض ظاهراً بين القرآن والعلم، فلا بد أن يكون سببه إما خطأ في فهم النص القرآني أو أن العلم قد ضلّ طريقه.

خامساً: إن كل ما يستفاد من الكشف العلمية في تفسير نصوص القرآن تفسيراً علمياً واستنباط ما ينتج عنها من إعجاز علمي، إنما هو توسيع لمدلولها كلما أثبت العلم جديداً مما تشير إليه

الإشارات العلمية في الأنفس والآفاق، مع التركيز على عدم تحميل النصوص القرآنية ما لا تحتمل من المعاني والدلالات فلا يجوز لي أعناق الآيات وإرغامها لتوافق الحقائق العلمية.

سادساً: ضرورة عدم قصر النص القرآني على كشف علمي بشري قابل للخطأ والصواب والتعديل والتبديل كلما اتسعت معارف الإنسان، وكثرت وتحسنت وسائل العلم والمعرفة.

سابعاً: لا بد من التصديق والاعتقاد الجازم بأن ما تم اكتشافه في هذا العصر من إدراك علمي لآيات القرآن ليس معناه أن حقائق القرآن قد تغيرت أو تطورت في ذاتها-معاذ الله- وإنما الذي تغير وتطور هو عقل الإنسان نتيجة اتساع مداركه وفكره مع كثرة البحث والتجريب والدراسة.

ثامناً: يجب التأكيد على أن ما ظهر من فهم علمي لآيات القرآن لا يعني أن هذا هو المعنى والفهم النهائي لهذه الآيات، فقد يكشف التقدم العلمي جوانب أخرى من الإعجاز العلمي في هذه الآيات لم يظهر بعد.

تاسعاً: يجب على المشتغلين بالإعجاز العلمي الابتعاد في تفسير القرآن عن البيانات الواهية المغيرة للعقل المتعارضة مع سنن الطبيعة والقوانين العلمية والمتجاوزة حدود عالم الغيب مثل ماهية السماوات والأرض، حتى لا يكون ذلك حجة لأعداء الإسلام للاعتراض على الدين بدعوى وجود تعارض بين العلم والدين. كما أنه لا يوجد في الإسلام قواعد وأحكام يمكن علمياً إثبات مغايرتها للقوانين العلمية وسنن الطبيعة.

عاشراً: الابتعاد عن المنهج أو الطريقة التي تفسر الآيات المتعلقة باليوم الآخر، وما فيه من أمور مغايرة لقوانين الطبيعة بغزو الفضاء، والمكتشفات العلمية الحديثة والسفن الفضائية، الأمر الذي يؤدي إلى إرغام النصوص القرآنية على أن تحمل معان وتأويلات أخرى غير تلك المعاني التي تعنيها النصوص القرآنية.

وأما أهم المقترحات التي أقترحها فهي كالتالي:

أولاً: ضرورة التأكد من توافر الشروط التي وضعتها الهيئة العالمية للإعجاز العلمي مع قدر من العلم التجريبي للباحثين في الإعجاز العلمي في القرآن الكريم.

ثانياً: قيام الهيئة العالمية للإعجاز العلمي بتنظيم دورات مكثفة للراغبين بالبحث في الإعجاز العلمي.

ثالثاً: وجود رقابة على دور النشر، والتأكيد على عدم جواز نشر أي كتاب عن الإعجاز العلمي إلا بعد إحالته من الهيئة العالمية للإعجاز العلمي.

رابعاً: ضرورة وجود موسوعة تحوي كافة الكتب والأبحاث المتعلقة بالإعجاز العلمي بعد الموافقة عليها من الهيئة العالمية للإعجاز.

وفي الختام:

أرجو من الله أن أكون قد وفقت في كتابة هذا البحث، بما يحقق الفائدة والنفع للباحثين في الإعجاز العلمي، وأن أكون قد أضفت عملاً جديداً إلى مكتبة الإعجاز العلمي في القرآن.

وأسأله سبحانه السداد في القول والعمل، وأن يتقبل هذا العمل وأن ينفع به، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وما كان فيه من الصواب فهو فضل من الله، وما كان فيه من خطأ فهو من نفسي ومن الشيطان.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

ملحق

أبرز العلماء القدماء والمعاصرين حسب موقفهم من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم

أبرز العلماء المعجزين	أبرز العلماء المانعين	أبرز العلماء المعتدلين	
أبو حامد الغزالي	أبو إسحاق الشاطبي		العلماء القدماء
الفخر الرازي	أبو حيان الأندلسي		
ابن أبي الفضل المرسي			
السيوطي			
البيضاوي			
طنطاوي جوهري	محمود شلتوت	محمود شاكر	العلماء المعاصرين
عبد الرزاق نوفل	أمين الخولي	محمد رشيد رضا	
محمد عبده	محمد حسين الذهبي	عبد المجيد الزنداني	
محمد جمال القاسمي	سيد قطب	زغلول النجار	
محمد الطاهر بن عاشور		محمد راتب النابلسي	

فهرس الآيات القرآنية

الآية	الصفحة
﴿وَلَقَدْ جِئْنَهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً...﴾	١
﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمٌّ أَمْثَلُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ...﴾	٥٦، ٢، ١١٠، ١٣٧، ١٣٩
﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٣﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا...﴾	٢
﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا﴾	١١
﴿وَمَا أَنُتِم بِمُعْجِزَاتٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ...﴾	١١
﴿...وَأَعْلَمُوا أَنكُمُ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ﴾	١١
﴿قَالَتْ يَوَيْلَآءِ أَلَدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا...﴾	١١
﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٥﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ...﴾	١٦
﴿قُلْ لِّينِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ...﴾	١١٨، ٢١، ١٧
﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾	١٧
﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾ فَلَا تَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ...﴾	١١٨، ١٧
﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُوْرَةٍ مِّثْلِهِ...﴾	١٧

١٧	﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ ۚ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٧﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَأْزَنُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾
٢٠	﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴾
٢١	﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعُرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ... ﴾
٢١	﴿ ... وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾
٢٢	﴿ ... الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ... ﴾
٢٢	﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ... ﴾
٢٣	﴿ إِنَّ اللَّهَ قَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ... ﴾
٢٣	﴿ قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴾
٢٣	﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ ... ﴾
٢٣	﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ... ﴾
٢٣	﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ ... ﴾
٢٣	﴿ أَمْ يَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ ... ﴾
٢٤	﴿ وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾

٢٤	﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ... ﴾
٢٤	﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً ^ط وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴾
٢٤	﴿ ... قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ ... ﴾
٢٥	﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ^ط ... ﴾
٢٥	﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ^ط ... ﴾
٢٥	﴿ ... يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ ... ﴾
٢٥	﴿ ... هُوَ أَجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ^ج ... ﴾
٢٦، ١٥٠، ٩٤، ٦٦	﴿ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ ^ط مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ ... ﴾
٢٦، ٩٦	﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ^ط ... ﴾
٢٧	﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا آتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا ... ﴾
٢٧	﴿ إِنَّمَا يَسْتَبْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ... ﴾
٢٨، ٦٩	﴿ غُلِبَتِ الرُّومُ ۝ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝ فِي بَضْعِ سِنِينَ ^ق لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۝ ^ح يَنْصُرِ اللَّهُ ^ج ... ﴾
٢٨، ١٤١، ٦٨، ١٥٤، ١٥٩، ١٠٩، ٧١، ١٧١	﴿ سَرُّهُمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ^ق الْحَقُّ ... ﴾
٢٨	﴿ وَلَتَعْلَمَنَّ نَبَأُهُ بَعْدَ حِينٍ ﴾
٢٩	﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ... ﴾

٣٣	﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا...﴾
٣٤	﴿...وَلَمَّا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحْيِكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ...﴾
٤٠	﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾
٤٠	﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ...﴾
٤٠	﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِلَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾
٤١	﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ...﴾
٤٢	﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْعَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾
٤٢	﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاحٍ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾
٤٢، ٨٠، ٨٢، ٦٩، ١١٢، ١١٧	﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾
٤٧	﴿وَلَمَّا مَرَضَتْ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾
٤٧	﴿وَحَسَفَ الْقَمَرُ﴾
٤٧	﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ۝ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ۝ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾
٥٤	﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾
٥٦	﴿إِلَّا مَنْ خِطَفَ الْخُطْفَةَ فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾

٥٨	﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾
٦٢، ١٥١، ٩٦	﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾
٦٢	﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾
٦٢	﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْتَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾
٦٢	﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾
٦٢	﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾
٦٣	﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾
٦٣	﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾
٦٣	﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾
٦٣	﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوتٍ فَأَرْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾
٦٣	﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾
٦٤	﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَبَلًا وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾

٦٤	﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾
٦٥	﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْأَكْتُابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْنَا الْأَكْتُابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ...﴾
٦٦	﴿قُلْ فَاتَّبِعُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٥٧﴾ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ...﴾
٦٧	﴿إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾
٦٧	﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٥٨﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٥٩﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٦٠﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾
٦٧، ١٢٦	﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴿١٦١﴾ وَالْأَرْضِ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿١٦٢﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرًا لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾
٦٧	﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمُّ أَمْثَلِكُمْ مَا فَرَقْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾
٦٨	﴿يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾
٦٨	﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى...﴾
٦٨	﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِ رَبِّكَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾

٦٨	﴿ وَمِنْ ءَايَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَخِلْفَ السَّيْتِكُمْ وَالْوَنِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴾
٦٨	﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنۢ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾
٦٨	﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا... ﴾
٦٨	﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَخِلْفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ... ﴾
٦٨	﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾
٧١	﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ ﴾
٧١	﴿ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴾
٧١	﴿ وَجُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴾
٧٤	﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ... ﴾
٧٥، ١٥١، ٩٦، ١٣٧	﴿ ... وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِّلْمُسْلِمِينَ ﴾
٧٥	﴿ ... إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾
٧٥	﴿ فَبِأَيِّ ءَالٍ رَّبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴾
٧٥	﴿ ... لَعَلَّكُمْ يَلْقَاءَ رَبَّكُمْ تَوْفَاقًا ﴾
٧٥	﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴾
٧٩	﴿ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴾
٨١	﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ ... ﴾
٨١	﴿ مَا أَشْهَدُهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴾
٨١	﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِإِيمَانٍ وَلَنَا لَمُوسِعُونَ ﴾

٨٣	﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ تُطْفَةِ أُمِّشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾
٨٥	﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴾
٨٨	﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضْعَةِ ... ﴾
٩٠، ٨٩، ١٥١	﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ... ﴾
٩٢	﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾
٩٢	﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾
١١٤، ٩٣، ٩٢	﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴾
١٤٩، ١١٤، ٩٣، ٩٢	﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُضِّلَتْ ءَايَاتُهُ ؕ أَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ ... ﴾
١٤٧، ٩٢، ١١٣	﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ... ﴾
١٥٠، ٩٣، ١١٣	﴿ وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ ... ﴾
١٤٧، ١١٣، ٩٣	﴿ ... فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ ... ﴾
٩٤	﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ قَدْ فَضَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾
٩٤	﴿ وَعَلَّمَتِ بِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾

٩٤	﴿ وَلَقَدْ رَئَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَجَعَلْنَهَا رُجُومًا لِلشَّيْطَانِ ^ط وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴾
٩٤	﴿ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيرِ ^{٣٦} لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ ^ط وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾
٩٤	﴿ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ^{١٦} وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ ... ﴾
٩٤	﴿ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ^{١٧} ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ ﴾
٩٤	﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَاجًا ﴾
٩٥	﴿ يَبْنِي ۖ ءَادَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ^ط ... ﴾
٩٧	﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا ^ط ... ﴾
٩٩	﴿ فَأَرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ^{١٨} يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾
٩٩	﴿ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴾
١٠٧	﴿ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْرُونَ ﴾
١٠٧	﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ ... ﴾
١٠٧، ١٢١، ١١١	﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ^{٣٨} وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيرِ ﴾
١٠٨	﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ ^ط قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ^ط ... ﴾

١١٠	﴿...وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾
١١١	﴿وَالْجِبَالِ أَوَّادًا﴾
١١١	﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾
١١١	﴿وَمَا كُنْتَ تَتَلَوُا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخْطُهُ رِيسْمِينَكَ إِذَا لَا زِتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾
١١٨، ١٤١	﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾
١١٩	﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾
١٧٤، ١٢٠	﴿بَلَىٰ قَدَرِينَ عَلَىٰ أَنْ تُسَوَّىٰ بَنَانُهُ﴾
١٢٢	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾
١٢٢	﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾
١٢٢	﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾
١٢٢	﴿مَّا أَشْهَدُكُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَصَدًا﴾
١٢٣	﴿وَالْعِدِيدِ صَبْحًا ۝ فَالْمُورِيكِ قَدَحًا ۝ فَالْمُغِيرِ صَبْحًا ۝ فَاتَّزَنَ بِهِ نَقْعًا ۝ فَوَسَطَنَ بِهِ جَمْعًا﴾
١٢٤	﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾
١٢٦	﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيَذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾
١٢٦	﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقِّتَهُ لِبَاسٍ مِثِّي فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۚ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾

١٢٧	﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾
١٢٨	﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾
١٢٨	﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ...﴾
١٢٨	﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً...﴾
١٢٨	﴿... وَإِنِّي أَعِيدُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾
١٢٨	﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ...﴾
١٢٨	﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾
١٢٨	﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾
١٣٧	﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾
١٤٥	﴿... لِيَذَّبَرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾
١٤٥	﴿... فَتَعَلَّ الْعَادِينَ﴾
١٤٥	﴿وَفِكَمَةً وَأَنَا﴾
١٤٥	﴿... إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾
١٤٦	﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا...﴾
١٤٦	﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ...﴾

١٤٦	﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ ... ﴾
١٤٦	﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾
١٥١	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ... ﴾
١٥٤	﴿ وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴾
١٧١	﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾
١٧٢	﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْلًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ... ﴾
١٧٢	﴿ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِّنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِّنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ... ﴾
١٧٥	﴿ فَمَنْ يَرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ... ﴾
١٧٦	﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ... ﴾
١٧٧	﴿ ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ ﴾
١٧٨ ، ١٧٩	﴿ يَمَعَشِرَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ﴾
١٧٨	﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ ^ط وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾
١٧٨ ، ١٨١	﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ... ﴾

١٨٠	﴿ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْنَهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا ﴾
١٨٠	﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ... ﴾
١٨١	﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجدْنَهَا مُلْبَتً حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۝ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعِدًا لِّلشَّمْعِ ۖ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا ﴾
١٨١	﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ ﴾
١٨١	﴿ كُلٌّ مِّنْ عَلَيْهَا فَأِنَّ ۝ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾
١٨٢، ١٨١	﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ... ﴾
١٨١	﴿ إِذَا السَّمَاءُ أَنْفَطَرَتْ ۝ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ ۝ ٢ ﴾
١٨١	﴿ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ۝ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴾
١٨١	﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيَّةَ ثَقَلَانٍ ﴾
١٨١	﴿ يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾
١٨٢	﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾
١٨٣	﴿ وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ۝ فَالْعَصْفِ عَصْفًا ۝ وَالنَّشْرِ نَشْرًا ﴾
١٨٤	﴿ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ ۖ قَالَ يَبُشْرَىٰ هَذَا عُلْمٌ... ﴾
١٨٤، ١٨٥	﴿ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ۝ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ۝ وَلَا يَسْأَلُ حِمِيمٌ حَمِيمًا ﴾
١٨٥	﴿ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴾
١٨٥	﴿ يَوْمَ يَقْرَأُ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ۝ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴾

فهرس الأحاديث النبوية

الصفحة	طرف الحديث
١٣١	١ - «إلا أن يؤتي الله عبداً فهماً...»
٧٣،٦٨	٢ - «ألا إنها ستكون فتنة...»
١٤٧،١١٣،٩٣	٣ - «إنا أمة أمية...»
١٣٠	٤ - «أنزل القرآن على سبعة أحرف»
٢٠	٥ - «جاء الوليد بن المغيرة...»
٢٧	٦ - «دعا يهود فسألهم عن شيء...»
١٦٥،١٣١	٧ - «والذي بعثني بالحق نبياً...»
١٤٦	٨ - «ربّ مبلغ أوعى من سامع»
١٨٤	٩ - «... وَخُرُوجُ الدَّابَّةِ عَلَى النَّاسِ ضُحَى...»
٦٨	١٠ - «ما من الأنبياء نبي...»
١٤٥	١١ - «نهينا عن التكلف»
٨٣	١٢ - «يا يهودي، من كل يخلق...»
٨٨	١٣ - «يحرم من الرّضاع...»

فهرس الأعلام

اسم العلم	رقم الصفحة
١- إبراهيم النّظام	٣٤
٢- إخوان الصفا	١٢٤
٣- أبو إسحاق الرّجّاج	٧٩
٤- إسماعيل السّديّ	٧٦
٥- أفلاطون	١٢٤
٦- أمين الخولي	١٠١
٧- بدر الدين الزركشي	٣٦
٨- أبو بكر العربي	٥٧
٩- أبو حيان الأندلسي	٩٧
١٠- أحمد الخطابي	٢٩
١١- دارون	١٠٠
١٢- جار الله الزمخشري	٣٥
١٣- سيد قطب	٣٧
١٤- طنطاوي جوهري	٣٧
١٥- عائشة عبد الرحمن	٣٧
١٦- أبو العباس الأنصاري القرطبي	١٣٤
١٧- عبد الرحمن السّعدي	٧٩
١٨- عبد الرزاق نوفل	٦٠
١٩- عبد الله البيضاوي	٥٦
٢٠- عبد الله دراز	٣٦

٣٧	٢١- عبد الله المصلح
٣٧	٢٢- عبد المجيد الزنداني
١٢٥	٢٣- فضل عباس
٥٥	٢٤- أبو الفضل المرسي
١٧١	٢٥- فهد الرومي
١٠٤	٢٦- محمد حسين الذهبي
٦١	٢٧- محمد جمال الدين القاسمي
٣٧	٢٨- محمد راتب النابلسي
٤١	٢٩- محمد رشيد رضا
١٥٣	٣٠- محمد الصادق عرجون
٦٤	٣١- محمد الطاهر عاشور
٧٦	٣٢- محمد الطبري
٥٩	٣٣- محمد عبده
١٦١	٣٤- محمد الغمراوي
١٤١	٣٥- محمد متولي الشعراوي
١٠١	٣٦- محمود شاكر
٩٩	٣٧- محمود شلتوت
١٥٦	٣٨- مورييس بوكاي
١٣	٣٩- مصطفى الرافي
١٦٠	٤٠- يوسف القرضاوي

فهرس الألفاظ الغريبة

الصفحة	المفردة
١٧	زارياً
٤٦	الملوان
٨٢	الأنفحة
٨٧	النطاق المتأين
٩٤	الأنواء
٩٥	العيافة
٩٥	الزجر
٩٥	الكهانة
٩٥	خط الرمل
٩٥	الضرب بالحصى
٩٥	الطيرة
١٠٥	الطلسمات

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

أولاً: الحديث وشروحه:

- ١- ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (-٨٥٢هـ)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: محمد عبد الباقي، بيروت، دار المعرفة.
- ٢- البخاري، محمد بن إسماعيل الجعفي (-٢٥٦هـ)، صحيح البخاري، تحقيق: محمد الناصر، د. م، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.
- ٣- الترمذي، محمد بن عيسى الضحاك (-٢٧٩هـ)، سنن الترمذي، تحقيق: أحمد شاكر، ومحمد عبد الباقي، القاهرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط٢، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.
- ٤- ابن حبان، محمد بن حبان التميمي (-٣٥٤هـ)، صحيح ابن حبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
- ٥- ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن حنبل (-٢٤١هـ)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.
- ٦- ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (-٢٧٣هـ)، سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية.
- ٧- مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري (-٢٦١هـ)، صحيح مسلم، تحقيق: محمد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
- ٨- النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني (-٣٠٣هـ)، سنن النسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، حلب، مكتبة المطبوعات الإسلامية، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

ثانياً: التفسير وعلوم القرآن:

- ١- إسماعيل، عبد العزيز، الإسلام والطب الحديث، القاهرة، الشركة العربية للطباعة، ١٩٥٩م.
- ٢- الألوسي، شهاب الدين (-١٧٢٠هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عطية، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ.

- ٣- أرناؤوط، محمد السيد، **مجالات الإعجاز في القرآن الكريم**، القاهرة، دار الأندلس الجديدة، ط ١، ٢٠٠٩م.
- ٤- أبو حجر، أحمد، **التفسير العلمي للقرآن في الميزان**، بيروت، دار قتيبة، ط ١، ١٤١١هـ/١٩٩١م.
- ٥- أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف بن علي (-٧٤٥هـ)، **البحر المحيط في التفسير**، تحقيق: صدقي جميل، بيروت، دار الفكر، ١٤٢٠هـ.
- ٦- أبي الفيض، محمد الغماري، **مطابقة المخترعات العصرية لما أخبر به سيد البرية**، القاهرة، مكتبة القاهرة، ط ٦، ١٣٩١هـ/١٩٧١م.
- ٧- أبي السعود، محمد بن مصطفى (-٩٨٢هـ)، **تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)**، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
- ٨- أحمد، حنفي، **التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن الكريم**، القاهرة، دار المعارف.
- ٩- البار، محمد علي، **خلق الإنسان بين الطب والقرآن**، الرياض، الدار السعودية للنشر، ط ٤، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
- ١٠- الباقلائي، أبو بكر محمد بن الطيب (-٤٠٣هـ)، **إعجاز القرآن**، تحقيق: أحمد صقر، القاهرة، دار المعارف، ط ٥، ١٩٩٧م.
- ١١- البعداني، محمود، **إعجاز القرآن الكريم عند الإمام ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير**، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط ١، ١٤٣٥هـ.
- ١٢- بنت الشاطئ، عائشة عبد الرحمن، **القرآن والتفسير العصري**، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٠م.
- ١٣- البوطي، محمد سعيد، **من روائع القرآن**، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
- ١٤- بوكاي، موريس، **التوراة والإنجيل والقرآن والعلم**، ترجمة: حسن خالد، بيروت، المكتب الإسلامي، ط ٣، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.
- ١٥- البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر (-٦٨٥هـ)، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، تحقيق: محمد المرعشلي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط ١، ١٤١٨هـ.
- ١٦- بيل، جيرارد، **حقائق عن كوكب الأرض**، ترجمة: علي ناصيف، القاهرة، دار الكتب المصرية.
- ١٧- التركي، إبراهيم، **وصف القرآن الكريم بالمعجزة في التراث العربي**، الرياض، دار كنوز إشبيليا، ط ١، ١٤٣٩هـ/٢٠١٨م.

- ١٨- التركي، بشير، **لله العلم**، تونس، د. د، ط ١، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.
- ١٩- ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم (-٧٢٨هـ)، **النبوات**، تحقيق: عبد العزيز الطوقان، الرياض، أضواء السلف، ط ١، ١٤٢هـ/٢٠٠٠م.
- ٢٠- ابن الجوزي، جمال الدين عبد الرحمن بن علي (-٥٩٧هـ)، **زاد المسير في علم التفسير**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، بيروت، دار الكتاب العربي، ط ١، ١٤٢٠هـ.
- ٢١- جوهري، طنطاوي، **الجواهر في تفسير القرآن**، القاهرة، مصطفى البابي الحلبي، ط ٢، ١٣٥٠هـ.
- ٢٢- حاج أحمد، يوسف، **موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة المطهرة**، دمشق، دار ابن حجر، ط ٢، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
- ٢٣- حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني (-١٠٦٧هـ)، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، بغداد، مكتبة المتنبّي، ١٩٤١م.
- ٢٤- الخالدي، صلاح، **البيان في إعجاز القرآن**، عمان، دار عمار، د. ت.
- ٢٥- الخطابي، أحمد بن محمد بن الخطاب البستي (-٣٨٨هـ)، **بيان إعجاز القرآن**، تحقيق: محمد خلف الله ومحمد سلام، القاهرة، دار المعارف، ط ٣، ١٩٧٦م.
- ٢٦- الخطيب، عبد الغني، **أضواء من القرآن على الإنسان ونشأة الكون والحياة**، دمشق، دار الفتح، ط ١، ١٩٧٠م.
- ٢٧- الخطيب، عبد الكريم، **الإعجاز في دراسات السابقين**، القاهرة، دار الفكر العربي، ط ١، ١٩٧٤م.
- ٢٨- الخولي، أمين، **مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير**، القاهرة، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٣م.
- ٢٩- الخولي، محمد أمين، **التفسير معالم حياته منهجه اليوم**، القاهرة، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٣م.
- ٣٠- دحروج، علي وكامل موسى، **التبيان في علوم القرآن**، بيروت، دار بيروت المحروسة، ط ١، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.
- ٣١- دروزة، محمد عزة، **التفسير الحديث**، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٨٣هـ.
- ٣٢- دروزة، محمد عزة، **القرآن المجيد**، بيروت، منشورات الكتب العصرية، د. ت.
- ٣٣- دياب، محمد، **الإعجاز الطبي في القرآن**، ص ٢٢-٢٦.

- ٣٤- الذهبي، محمد حسين، **الاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن دوافعها ودفعها**، القاهرة، مكتبة وهبة، ط٣، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
- ٣٥- الذهبي، محمد، **التفسير والمفسرون**، القاهرة، مكتبة وهبة، د. ت.
- ٣٦- الرافعي، مصطفى صادق (-١٣٥٦هـ)، **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية**، بيروت، دار الكتاب العربي، ط٨، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م.
- ٣٧- الرافعي، مصطفى، **تاريخ آداب العرب**، د. م، دار الكتاب العربي، د. ت.
- ٣٨- رجبى، محمود، **بحوث في منهج تفسير القرآن**، بيروت، ط١، ٢٠٠٧م.
- ٣٩- رضا، محمد رشيد (-١٣٥٤هـ)، **تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)**، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.
- ٤٠- الرمانى، علي بن عيسى (-٣٨٤هـ)، **النكت في إعجاز القرآن**، تحقيق: محمد خلق الله، ومحمد سلام، القاهرة، دار المعارف، ط٣، ١٩٧٦م.
- ٤١- الرومى، فهد، **اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر**، د. ن، ط١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.
- ٤٢- الرومى، فهد، **دراسات في علوم القرآن**، ط٢، ١٤٢٤هـ.
- ٤٣- الزرقانى، محمد عبد العظيم، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، تحقيق: فواز زمري، بيروت، دار الكتاب العربي، ط١، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.
- ٤٤- الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين بن محمد (-٧٩٤هـ)، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل، ط١، ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م، بيروت، دار المعرفة.
- ٤٥- العبيدي، خالد، **القرآن منهل العلوم**، بيروت، دار الكتب العلمية.
- ٤٦- الفخر الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر التيمي (-٦٠٦هـ)، **مفاتيح الغيب**، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط٣، ١٤٢٠هـ.
- ٤٧- الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد (-٧٩٤هـ)، **البرهان في علوم القرآن**، بيروت، دار إحياء الكتب العربية، ط١.
- ٤٨- السَّعدي، عبد الرحمن بن ناصر (-١٧٧٦هـ)، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.
- ٤٩- السَّقا، مرهف عبد الجبار، **التفسير العلمي والإعجاز العلمي في القرآن الكريم**، دمشق، دار محمد الأمين، ط١، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.
- ٥٠- سلامة، محمد علي، **منهج الفرقان في فهم القرآن**، تحقيق: محمد سيد المسير، القاهرة، دار نهضة مصر، ط١، ٢٠٠٢م.

- ٥١- سبيوكر، إسماعيل الحاج عبد القادر، الإعجاز في القرآن الكريم ماهيته وتناوله في الدراسات السابقة (اللغوي والعلمي)، عمان، دار المعتز، ط ١، ١٤٣٨هـ/٢٠١٧م.
- ٥٢- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، القاهرة، المكتبة التوفيقية، ط ٢، ٢٠١٤م.
- ٥٣- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين (-٩*١١هـ)، الإكليل في استنباط التنزيل، تحقيق: سيف الدين الكاتب، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٤هـ/١٩٨١م.
- ٥٤- الشدي، عادل، التفسير العلمي التجريبي للقرآن الكريم، الرياض، مدار الوطن للنشر، ط ١، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.
- ٥٥- الشعراوي، محمد متولي، معجزة القرآن، القاهرة، المختار الإسلامي للطباعة والنشر، ط ١، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.
- ٥٦- شلبي، هند، التفسير العلمي للقرآن الكريم بين النظريات والتطبيق، تونس، رفع المساهم، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م.
- ٥٧- شلتوت، محمود، تفسير القرآن الكريم الأجزاء العشرة الأولى، القاهرة، دار الشروق، ط ١٢، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.
- ٥٨- الشوكاني، محمد بن علي الشوكاني (-١٢٥٠هـ)، فتح القدير، دمشق، دار ابن كثير، ط ١، ١٤١٤هـ.
- ٥٩- الشوم، محمد قاسم، علوم القرآن ومناهج المفسرين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٣٥هـ/٢٠١٥م.
- ٦٠- الطبراني، سليمان بن أحمد اللخمي الشامي (-٣٦٠هـ)، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي السلفي، القاهرة، مكتبة ابن تيميه، ط ٢، د. ت.
- ٦١- الطبري، محمد بن جرير بن يزيد (-٣١٠هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد شاکر، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.
- ٦٢- الطيبي، شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (-٧٤٣هـ)، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، تحقيق: إياد محمد الغوج، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ط ١، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م.
- ٦٣- عباس، فضل، إعجاز القرآن الكريم، د. م، د. ت.
- ٦٤- عباس، فضل، التفسير والمفسرون أساسياته واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث، عمان، دار النفائس، ط ١، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م.

- ٦٥- عاشور، محمد الطاهر (١٣٩٣هـ)، **التحرير والتنوير**، تونس، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.
- ٦٦- عاشور، محمد الفاضل، **التفسير ورجاله**، القاهرة، مجمع البحوث العلمية في الأزهر، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م.
- ٦٧- عبده، محمد، **تفسير جزء عمّ**، القاهرة، مطبعة مصر، ط٣، ١٤٣١هـ.
- ٦٨- العبيدي، خالد، **الطب في القرآن الكريم والسنة المطهرة**، بيروت، دار الكتب العلمية.
- ٦٩- عرجون، محمد الصادق، **القرآن العظيم هدايته وإعجازه في أقوال المفسرين**، دمشق، دار القلم، د. ت.
- ٧٠- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد (٥٠٥هـ)، **جواهر القرآن**، تحقيق: محمد القباني، بيروت، دار إحياء العلوم، ط٢، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
- ٧١- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد (٥٠٥هـ)، **إحياء علوم القرآن**، بيروت، دار المعرفة، د. ت.
- ٧٢- الغزالي، محمد، **نظرات في القرآن**، القاهرة، نهضة مصر، ط٦، ٢٠٠٥م.
- ٧٣- الغزالي، محمد، **كيف نتعامل مع القرآن دراسة أجراها عمر عبيد حسنة**، القاهرة، دار نهضة مصر، ط٧، ٢٠٠٥م.
- ٧٤- الغمراوي، محمد، **الإسلام في عصر العلم**، إعداد: أحمد الكرداني، د. م، مطبعة السعادة، ط١، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.
- ٧٥- الغوابي، حامد، **بين الطب والإسلام**، الجيزة، وكالة الصحافة العربية، ٢٠١٨م.
- ٧٦- الفخر الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر (٦٠٦هـ)، **مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)**، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط٣، ١٤٢٠هـ.
- ٧٧- الفندي، محمد جمال الدين، **السموات السبع**، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٣م.
- ٧٨- الفندي، محمد جمال الدين، **القرآن والعلم**، بيروت، دار المعرفة، ١٩٦٨م.
- ٧٩- القاسمي، محمد جمال (١٣٣٢هـ)، **محاسن التأويل**، تحقيق: محمد عيون السود، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٨هـ.
- ٨٠- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد (٦٧١هـ)، **الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)**، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم اطفيش، القاهرة، دار الكتب المصرية، ط٢، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.

- ٨١- القطان، مناع، مباحث في إعجاز القرآن، القاهرة، مكتبة المعارف، ط٣، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
- ٨٢- قطب، سيد، في ظلال القرآن، القاهرة، دار الشروق، ط٣٢، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.
- ٨٣- قوش، سليمان، الاكتشافات العلمية الحديثة ودلالاتها في القرآن الكريم، الدوحة، دار الحرمين للنشر، ط١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
- ٨٤- القيشاوي، عبد الله، القرآن على ضوء العلم، غزة، مطبعة لجنة البيان العربي، ١٩٦٢م.
- ٨٥- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب (-٧٥١هـ)، التبيان في أقسام القرآن، تحقيق: محمد الفقي، بيروت، دار المعرفة.
- ٨٦- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (-٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي سلامة، دار طيبة، ط٢، ١٤٢٠هـ.
- ٨٧- كنعان، أحمد محمد، الموسوعة الطبية الفقهية المعاصرة، د. م، دار النفائس، د. ط، د. ت.
- ٨٨- المحتسب، عبد المجيد، اتجاهات التفسير في العصر الراهن، عمان، مكتبة النهضة الإسلامية، ط٣، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
- ٨٩- محمود شاكر، مقدمة كتاب الظاهرة القرآنية لمالك بن نبي، دمشق، دار الفكر، ط٤، ١٩٨٧م.
- ٩٠- مجاهد، عماد، تاريخ علم الفلك من عصر الأهرامات إلى عصر الفضاء، د. م، المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع، د. ط، ٢٠٠١م.
- ٩١- مسلم، مصطفى، مباحث في إعجاز القرآن، الرياض، دار المسلم، ط٢، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.
- ٩٢- النابلسي، راتب، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، دمشق، دار المكتبي، ط٢، ١٤٢٦هـ.
- ٩٣- النجار، زغلول، من آيات الإعجاز العلمي السماء في القرآن الكريم، بيروت، دار المعرفة، ط٤، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.
- ٩٤- النجار، زغلول، تفسير الآيات الكونية، مكتبة الشروق، ط١، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.
- ٩٥- النجار، زغلول، من التفسير العلمي للقرآن الكريم (الجزء الثلاثون)، دار نهضة مصر، د. ت.

٩٦- نوفل، عبد الرزاق، الإعجاز العددي في القرآن الكريم، بيروت، دار الكتاب العربي، ط٥، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

٩٧- نوفل، عبد الرزاق، القرآن والعلم الحديث، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

٩٨- نوفل، عبد الرزاق، بين الدين والعلم، بيروت، دار الكتاب العربي.

٩٩- الهميمي، زكريا، الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، القاهرة، مكتبة منبولى، ط١، ٢٠٠٢م.

١٠٠- وايت، أندرو ديكسون، بين الدين والعلم تاريخ الصراع بينهما في العصور الوسطى، ترجمة: إسماعيل مظهر، الجيزة، دار الكتب المصرية.

ثالثاً: كتب اللغة والمعاجم:

١- إبراهيم، محمد إسماعيل، معجم الألفاظ والأعلام القرآنية، القاهرة، دار الفكر العربي، ط٢، ١٩٦٨.

٢- الجرجاني، علي بن محمد (٨١٦هـ)، التعريفات، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

٣- الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد (٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، المفردات في غريب القرآن، دمشق، دار القلم، ط١، ١٤١٢هـ.

٤- ابن فارس، أحمد بن فارس القزويني الرازي (٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

٥- الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (٨١٧هـ)، القاموس المحيط، تحقيق: محمد العرقسوسي، بيروت، لبنان، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

٦- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي (٧١١هـ)، لسان العرب، بيروت، دار صادر، ط٨، ١٤١٤هـ.

رابعاً: كتب متفرقة:

١- البوطي، محمد رمضان، كبرى اليقينيّات الكونية، دمشق، دار الفكر، ط٨، ١٩٨٢م.

٢- الحامد، محمد، ردود على أباطيل وتمحيصات لحقائق دينية، دمشق، مطبعة القلم.

٣- حسب النبي، منصور، الكون والإعجاز العلمي، القاهرة، دار الفكر العربي، ط٢، ١٩٩١م.

- ٤- الزركلي، خير الدين، الأعلام، بيروت، دار العلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٢م.
- ٥- الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي، الموافقات، تحقيق: مشهور آل سليمان، د. م، دار ابن عفان، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.
- ٦- الشافعي، محمد بن علي الشافعي(-١٠٧٥هـ)، دليل الفاتحين لطرق رياض الصالحين، بيروت، دار المعرفة، ط٤، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.
- ٧- صدقي، محمد توفيق، دروس سنن الكائنات، نقلاً عن جمال البناء، تفسير القرآن الكريم بين القدامى والمحدثين، د. م، د. ت.
- ٨- نخبة من العلماء الأمريكيين، الله يتجلى في عصر العلم، تعليق: محمد جمال الدين الفندي، بيروت، دار القلم.

خامساً: الدوريات والرسائل العلمية ومواقع الانترنت:

- ١- البيومي، محمد رجب، "التفسير العلمي للقرآن"، مجلة الأزهر، ١٣٨٠هـ، مجلد رقم ٣٢.
- ٢- زغلول، سعد، "الإعجاز العلمي خطيئة المنهج وخطايا التطبيق"، www.tammam.org.
- ٣- الزنداني، "وصف التخلق البشري في مرحلة النطفة"، من أبحاث المؤتمر العالمي الأول للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، إسلام آباد، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.
- ٤- الزنداني، "نظرة تاريخية في علم الأجنة"، من أبحاث المؤتمر العالمي الأول للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، إسلام آباد، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.
- ٥- صديق، شافية، مجلة البحوث والدراسات الإسلامية، "المسلم والعلم تحدي الهزيمة وارتباك الاستجابة"، ع٥، الجزائر، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م.
- ٦- القرضاوي، يوسف، "نظرات في التفسير العلمي للقرآن"، الدوحة، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، مجلة مركز بحوث السنة والسيرة، ع٩.
- ٧- اللوح، عبد السلام، الإعجاز العلمي في القرآن الكريم (رسالة ماجستير)، غزة، آفاق.
- ٨- النجار، زغلول، "الإعجاز العلمي للقرآن الكريم"، www.aljazeera.net.
- ٩- www.fac.ksu.edu.sa
- ١٠- www.wikipedia.org

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة.....	١
الفصل الأول: الإعجاز العلمي في القرآن الكريم نشأته وأبرز من كتب فيه	
المبحث الأول: تعريف الإعجاز العلمي في القرآن الكريم.....	١١
المطلب الأول: تعريف الإعجاز لغةً واصطلاحاً.....	١١
المطلب الثاني: الفرق بين الإعجاز والمعجزة.....	١٤
المطلب الثالث: وجوه إعجاز القرآن الكريم.....	١٨
المطلب الرابع: تعريف الإعجاز العلمي في القرآن الكريم.....	٣٠
المبحث الثاني: نشأة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم وأبرز من كتب فيه.....	٣٣
المطلب الأول: نشأة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم.....	٣٣
المطلب الثاني: مصادر أبحاث الإعجاز العلمي في القرآن الكريم.....	٣٨
المطلب الثالث: أبرز من كتب في الإعجاز العلمي من القدماء والمعاصرين.....	٣٩
المبحث الثالث: التفسير العلمي والإعجاز العلمي والفرق بينهما.....	٤٤
المطلب الأول: تعريف التفسير العلمي للقرآن الكريم.....	٤٤
المطلب الثاني: نشأة التفسير العلمي.....	٤٦
المطلب الثالث: الفرق بين التفسير العلمي والإعجاز العلمي.....	٤٨

الفصل الثاني: المجيزون للإعجاز العلمي في القرآن الكريم وأدلتهم

- ٥١ المبحث الأول: أبرز المجيزين للإعجاز العلمي في القرآن الكريم.....
- ٥١ المطلب الأول: أبرز العلماء القدماء المجيزين للإعجاز العلمي في القرآن الكريم.....
- ٥٥ المطلب الثاني: أبرز العلماء المعاصرين المجيزين للإعجاز العلمي في القرآن الكريم....
- ٦٥ المبحث الثاني: تأصيل منهج الإعجاز العلمي عند العلماء وأهميته وتوظيفه في فهم النص
القرآني

- ٦٥ المطلب الأول: تأصيل منهج الإعجاز العلمي عند المجيزين.....
- ٧١ المطلب الثاني: أهمية الإعجاز العلمي وتوظيفه في فهم النص القرآني.....

الفصل الثالث: المانعون للإعجاز العلمي في القرآن الكريم وأدلتهم

- ٩١ المبحث الأول: أبرز المانعين للإعجاز العلمي في القرآن الكريم.....
- ٩١ المطلب الأول: أبرز العلماء القدماء المانعين للإعجاز العلمي في القرآن الكريم.....
- ٩٨ المطلب الثاني: أبرز العلماء المعاصرين المانعين للإعجاز العلمي في القرآن الكريم....
- ١١٣ المبحث الثاني: آراء وأدلة العلماء المانعين للإعجاز العلمي في القرآن الكريم وأثره في
تعطيل النص القرآني
- ١١٣ المطلب الأول: آراء وأدلة العلماء المانعين للإعجاز العلمي في القرآن الكريم.....
- ١١٩ المطلب الثاني: أثر الإعجاز العلمي في تعطيل النص القرآني.....

الفصل الرابع: دراسة ومناقشة وترجيح

١٣٠	المبحث الأول: مناقشة أدلة المجيزين للإعجاز العلمي في القرآن الكريم.....
١٣٠	المطلب الأول: أبو حامد الغزالي.....
١٣٣	المطلب الثاني: الفخر الرازي.....
١٣٥	المطلب الثالث: جلال الدين السيوطي.....
١٣٨	المطلب الرابع: طنطاوي جوهري.....
١٤٢	المطلب الخامس: عبد الرزاق نوفل.....
١٤٥	المبحث الثاني: مناقشة أدلة المانعين للإعجاز العلمي في القرآن الكريم.....
١٤٥	المطلب الأول: الشَّاطِبي.....
١٥٣	المطلب الثاني: أبو حَيَّان الأندلسي.....
١٥٥	المطلب الثالث: محمود شلتوت.....
١٥٧	المطلب الرابع: أمين الخولي.....
١٥٩	المطلب الخامس: سيّد قطب.....
١٦٥	المبحث الثالث: التّرجيح بين أدلة المجيزين والمانعين للإعجاز العلمي.....
١٦٥	المطلب الأول: التّرجيح بناءً على الأدلة.....
١٦٨	المطلب الثاني: التّرجيح بناءً على المقاصد.....
١٧٢	المبحث الرابع: دراسة تطبيقية على الإعجاز العلمي المقبول والمردود.....

١٧٢	المطلب الأول: أمثلة تطبيقية على الإعجاز العلمي المقبول.....
١٧٧	المطلب الثاني: أمثلة تطبيقية على الإعجاز العلمي المردود.....
١٨٧	الخاتمة.....
١٩٠	ملحق.....
١٩١	فهرس الآيات القرآنية.....
٢٠٣	فهرس الأحاديث النبوية.....
٢٠٥	فهرس الأعلام.....
٢٠٧	فهرس الألفاظ الغريبة.....
٢٠٨	قائمة المصادر والمراجع.....
٢١٨	فهرس الموضوعات.....